

أخبار البُلْدان

لابْن الفَقيه الهَمَذاني

أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إسْحَاق

القسم الثاني



نشرة نقدية أعدَّتها

د. سهير يوسف الحداد

مراجعة

أ.د. أيمن فؤاد سَيِّد

المجلد الثاني

ابْن الفَقيه الهَمَذَانِي

أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إسْحَاق

القسم الثاني من كتاب



أخبار البُلْدان

المجلد الثاني

نشرة نقدية أعدَّتها

د.سهير يوسف الحداد

مراجعة

أ.د.أيمن فؤاد سَيِّد



القَوْل في هَمَذَان

قال أبو المُنْذِر هِشَام بن السَائِب الكَلْبِيُّ[1]: سُمِّيت هَمَذَان بهَمَذَان بن الفَلُّوجِ بن سَامِ بن نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهَمَذَان وأصْبَهان أخْوَان، بنَىٰ أحَدهمَا أصْبَهان والآخَر هَمَذَان، فسُمِّيت كلُّ مدَينةٍ منها بِاسْم بَانيهَا.

وسُمِّيت نَهَاوَنْد: لأنَّهم وجَدوهَا كما هي. ويقال أنَّها من بنَاء نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وإنَّما هي نُوح أونْد أي أنَّها من بِنَاء نُوح، وهي أعْتَقُ مَدِينةٍ بالجَبَلِ.

قال: وقَرأ عليَّ بعْضُ النَّصَارىٰ كِتابًا بالسُّريَانيَّة فيه أخْبَار المُلوك والبُلْدان، فتَرجمهُ لي وذَكَر أنَّ الذي بَنىٰ هَمَذَان مَلِكٌ يقُال له كَرمِيس بن حَلْيَمُون. وذكَر بعْضُ الفُرْس أنَّ اسْم هَمَذَان مَقْلُوب، إنَّما هي نَاذِمه ومعْنَاه المحْبُوبة.

وروي عن شُعْبَة[2] قال: الجِبَال عَسْكَر وهَمَذَان مَعْمَعَتُها وهي أعْذَبهَا مَاءً وأطْيَبهَا هَواءً. وروي عن رَبِيعَة بْن عُثْمَان[3]: [١١٤و] كان فَتحُ هَمَذَان في جمَادىٰ الأولىٰ علىٰ

[1] تقدمت ترجمته: ص١٢٨.

[2] شُعبة بن الحجاج بن الورد العتكيُّ الأزدي البصري، كان عالمًا بالأدب والشعر، صاحب تصانيف، توفي بالبصرة سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٨٠؛ ابن قتيبة: المعارف ص٥٠١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٣٥٣.

[3] ربيعة بن عثمان بن ربيعة بن عبد الله بن الهدير القرشي التميمي، يعد في الكوفيين، توفي سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م. انظر في ترجمته وأخباره: طبقات خليفة بن خياط، ص٤٧٤؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٧٦-٤٧٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ج٩، ص١٣٢-١٣٥.

رَأسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ من مَقْتلِ عُمَر بن الخَطَّابِ ﷺ وكان الذي فَتحهَا المُغِيرَة بن شُعْبَة[١] في سَنةِ أرْبَع وعِشْرِينَ من الهِجْرةِ.

٣ وفي خَبرٍ آخر قال: وجَّه المـُغِيرة بن شُعْبَة- وهو عامل عُمَر بن الخَطَّابِ ﷺ على الكُوفَةِ بعد عَزْلِ عَمَّـار بن يَاسِر عنها - جَرِير بن عَبْد الله البَجْليَّ[٢] إلى هَمَذَان في سَنةِ ثَلاثٍ وعِشْرين، فقَاتَلهُ أهْلهَا وأُصِيبتْ عَيْنهُ بسَهمٍ فذَهَبتْ. فقال: أحْتَسبُها ٦ عند الله الذي زَيَّن بها وجْهِي ونَوَّر لي ما شَاءَ ثمَّ سَلَبنيهَا في سَبِيله.

وجَرىٰ أمْرُ هَمَذَان علىٰ مِثلِ صُلْحِ نَهَاوَنْد[a] [٣] وذلك في آخر سَنةِ ثَلاث وعِشْرِينَ. وقال بَعْضُ عُلَماء الفُرْس: كانت هَمَذَان أكْبَر مَدِينةٍ بالجَبَلِ، وكَانت أرْبَع فرَاسِخ في ٩ مِثْلهَا، وكان طولها من الجبل إلىٰ قرية يقال لها "زَينوابَاذ".

وكان صفُّ الفَاخَرانيين[٤] بها وصَفُ الصَّيارفة بسِنْجَابَاذ[٥] [b]. وكان القَصْرُ الخَرَاب الذي بسِنْجَابَاذ تكون فيه الخزَائِن والأمْوَال.

---

[a] في ياقوت بزيادة «... وغلب على أرضها قسرًا وضمّها المغيرة إلى كثير بن شهاب والي الدينور، وإليه ينسب قصر كثير في نواحي الدينور...».

[b] في الأصل: سيجاباد. والتصويب من ياقوت.

---

[١] مرت ترجمته: ص١٠٠.

[٢] مرت ترجمته: ص٣٧٩.

[٣] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٣٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: همذان]، ج٥، ص٤١٠.

[٤] الفاخرانيين: صناع آنية الفخار.

[٥] سنجاباذ: وذكرت أيضًا سبجاباذ. قرية من همذان، كانت قديمًا داخلة في جملة المدينة، اشتهرت بالنشاط الصيرفي. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٦١.

وكان صفُّ البَزَّازين بقَريةٍ يقال لها: بَرْشِيقَان[a]. فيقال أنَّ بُخْت[نَصَّر] بعَث إليها قَائِدًا يقال له صُقْلاب في خَمْسَمِائةِ ألف رجُلٍ، فَأَنَاخ عليها وأقَامَ يُحَارب أهْلها
٣ مُدَة وهو لا يَقْدِر عليها، فلما أعْيَتْه الحِيلةَ فيها وعزَم علىٰ الانْصِرافِ اسْتَشار أصْحَابه. فقالوا له: الرَّأي أنْ تَكْتُب إلىٰ بُخْت نَصَّر تُعْلمهُ أمْرك وتَسْتأذِنهُ في الانْصِراف.

٦ فكَتَبَ إليه: أمَّا بعد فإني ورَدتُ علىٰ [مَدِينةٍ] حَصِينةٍ كَثِيرة الأهْلِ، مَنِيعة واسِعَة الأنْهَار مُلْتفَة الأشْجَار كَثِيرة المُقَاتلة، وقد رُمتُ فَتْحهَا فلم أقْدِر عليها، وقد ضَجِر أصْحَابي بالمُقَام وضَاقَت عليهم المِيْرة والعُلُوفة، فإنْ أذِنَ لي المَلِكُ بالانْصِراف
٩ أنْصَرِف.

فلمَّا ورَد الكِتَابُ علىٰ بُخْت نَصَّرٍ كَتبَ إليه: أمَّا بعد: فقد فَهِمتُ كتَابك وقد رَأيتُ أنْ تُصَوِّر لي المَدِينَة بجِبَالها وعُيونهَا وطُرقهَا وقُراهَا ومَنْبعُ مياهِهَا، وتُنْفِذُ إليَّ
١٢ بذلك حتىٰ يَأتِيك أمْرِي، ففعل صُقْلَاب ما أمَرهُ به وصَوَّر له المَدِينة.

وأنْفَذ الصُّورة إليه وهو بِبَابِل، فلمَّا وقَف عليها جَمَعَ الحُكَماء وقال: أجِيلوا الرَّأي في هذه الصُّورةِ وانْظُروا من أين تُفْتَح هذه المَدِينة. فأجْمَعوا علىٰ أنْ تُسدَّ عُيونهَا
١٥ [١١٤ظ] حَوْلًا ثمَّ يُفْتَح السَّد ويُرْسَل علىٰ المَدِينةِ فإنَّها تَغْرق[1].

[a] في الأصل: بريشقان.

[1] قارن: ياقوت الحموي، معجم البلدان، [مادة همذان]، ج٥، ص٤١١.

فكَتَبَ بُخْت نَصَّر إلىٰ صُقْلَاب بذلك وأمَره بما قاله الحُكَماء. ففعل ذلك، فلمَّا كان عند الحَول فتَح المَاء وأرْسَلهُ علىٰ المدِينةِ فهُدِم سُورهَا وغَرِق أكْثَرها ودخَلها صُقْلَاب، فقتَلَ المُقَاتَلةِ وسَبىٰ الذُّرِّيَّة وأقَام بها، فوقَع في أصْحَابه الطَّاعون فمَات عَامتهُم ولم يَبْق منهُم إلَّا القَلِيل. ودُفِنُوا في أحْوَاضٍ من خَزَف فقُبُورهُم معْرُوفةً إلىٰ وقْتِنا هذا تَبِينُ في المِحَال والسِّكَكِ.

ولم تَزل هَمَذَان خَرابًا حتىٰ كَانت حَرْبُ دَارَا بن دَارَا [١] و الإسْكَندر. فإنَّ دَارَا اسْتَشَار أصْحَابه في أمْرهَ فلمَّا أظَلهُ الإسْكَندر فأشَارُوا عليه بمحَارَبتِهِ بعد أنْ يُـحْرِز حُرمهُ وأمْوَالهُ وخَزَائِنهُ بمكَانٍ منِيع لا يوصَلُ إليه ويتجرَّد هو للقِتَال.

فقال: انظُرُوا مَوْضِعًا حرِيزًا حصِينًا لذلك. فقالوا له: من ورَاء المَاهَيْنِ جِبَالًا لا تُرَام وهي شَبِيهةٌ بالسِّنْدِ. وهناك رَسْم مَدِينةٍ عَتِيقَة قد خُرِّبت وبَادَتْ وهَلكَ أهْلهَا، وحَوْلهَا جِبالٌ شَامخِةٌ يقال لها هَمَذَان .

فالرَّأيُ للمَلِك أنْ يَبْعَث إليها من يَأمُره ببِنَائها وإحْكَامها، وأنْ يَجْعلَ في وسَطِها حِصْنًا يكُون للحُرُم والخَزَائن والعِيَال والأمْوَال، وتُبْنىٰ حَوْل الحِصْن دُورٌ لعِيالِ القُوادِ والخَاصَّة والمَرَازِبة. ثمَّ يوكَّلُ بالمَدِينةِ اثنا عَشْر ألف رَجُلٍ من خَاصَّةِ المَلِك وثِقَاته يَحْمُونها ويقَاتِلون عنها متىٰ رَامهَا أحَد.

فأمَر دَارَا بِبنَاء هَمَذَان وبنىٰ في وسَطِها قَصْرًا عَظِيمًا مُشْرِفًا له ثَلاثَةُ أوْجُه وسَمَّاه سَارُوق، وجَعَل فيه ألف مَخْبأ لخَزَائِنه وأمْوَالهِ، وأغلَق عليه ثَمانيةِ أبْوَاب حَدِيد، كلُّ

[١] مرت ترجمته ص١٦٤.

بابٍ في ارْتِفاع اثنا عَشْر ذِرَاعًا، ثمَّ أمَر بأهْلِهِ وولَدِه وخَزَائِنه فحُوِّلُوا إليها وأسْكِنُوها، وجعَل في وسَطِ القَصْرِ قَصْرًا آخَر صَيَّر فيه خَواصِّ حُرُمِهِ وأحْرَز
٣ أمْوَاله في تِلْكَ المخَابِئ. ووكَّل بالمدِينةِ اثنا عَشْر ألف رجُلٍ وجَعَلهُم حَرسًا عليها.

وذكَر بعْضُ مشَايخ همَذَان: أنَّها أعْتَقُ مَدِينة بالجَبَل واسْتَدلوا علىٰ ذلك من بَقِيَّة بِنَاءٍ قَدِيمٍ بَاقٍ إلىٰ اليَوْم. وهو طَاقٌ عَظِيمٌ شَاهِقٌ لا يُدْرىٰ من بَناهُ وللعَامَّة فيه
٦ أخْبَارٌ عَامِّيَّة[1] يذْكُرون [١١٥و] أنَّهم وجَدُوا في الطَّاقِ حَجَرًا مكْتُوب عليه: من إصْطَخْر غَدَوْنَا، وفي هذا الطَّاقِ قيَّلْنا، وبالشَّامِ مبِيتنَا.

ويَزْعمُونَ أنَّ بعض أصْحَاب سُلَيْمان بن دَاود كَتبهُ، وأنَّ سُلَيْمان عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْتَاز
٩ هذا المكَان فرَأىٰ غُرَابًا سَاقِطًا عليه- ويُقال إنَّ الغُرابَ يعيش ألْف سَنة- فقال له سُلَيْمان: خَبِّرني خَبر هذا الطَّاق ومن بَناه. فقال: أنا هَاهُنا منذ ستِّمائةِ سَنةٍ، وأقَام أبي قَبل هَاهُنا ألْفَ سَنةٍ، وجِدي قبل ذلك ألْفَ سَنةٍ وهو علىٰ حَالته كذا وجْدَناه ما
١٢ تَغيَّر منه شَيء.

وأخْبَر بَعْضُ أصْحَاب الأخْبَار: أنَّهم وجَدوا في بَعْضِ المخَابِئ التي في القَصْرِ المعْرُوف بسَارُوق، رُقْعةً فيها كِتَابة بالفَارِسيَّة فتُرجِمتْ فكانت: وظَّف المَلِكُ علىٰ
١٥ أهْلِ مَرْو لِبَنَاءِ هذه المَدِينة من الطِّين كذا وكذا ألف وقر.

---

[1] نقل ياقوت في مادة همذان جميع الأخبار السابقة عن ابن الفقيه، بنفس نسق الترتيب والصياغة، غير أنه لم يشر إلى نقله منه. قارن: معجم البلدان، مادة همذان: ج٥، ص٤١٠-٤١٢.

قال: وإذا تَفقَّدتَ طِين المَدِينة ونَظَرت إلىٰ أبْنِيتهَا القَدِيمةِ رَأيت الطِّين مُخْتلفًا ما بين أبْيَض وأحْمَر وأسْوَد وغير ذلك، وزَعَمُوا أنَّ المُلوكَ كانت تُوظِّفُ علىٰ رعَايَاهَا

٣ حمْل الطِّين في وَقْت، والمَاء في وَقْت، والآجُر والحِجَارة في وَقْت إلىٰ ما يَبْنُونهُ من المُدن ليَعْرفُوا بذلك سَمْعهُم وطَاعتهُم.

وعن بعْضِ أهْلِ هَمَذَان قال: قدمتُ علىٰ جَعْفَر بن محَمدٍ الصَّادِق ﵁ فقال لي:

٦ من أين أنت؟ قلتُ: من الجَبَلِ. قال: من أيِّ مَدِينةٍ؟ قلت: من مدِينةِ هَمَذَان. قال: أتَعْرِف جبَلهَا الذي يُقالُ له رُونْدَا؟ قلتُ: جعلَنِي الله فِدَاك إنَّما يقال له أرْوَنْد. قال: نعم. أمَّا إنَّ فيه عَينًا من عُيونِ الجَنَّة.

٩ قال: فأهْلُ البَلَدِ يَرونَ أنَّها الحَمَّة التي علىٰ قُلَّةِ الجَبلِ، وذلك أنَّ مَاءها يَخْرُج في وقتٍ من أوقَاتِ السَّنةِ المعْلُوم، ومَنْبعهُ من شِقٍّ في صَخْرةٍ. وهو مَاءٌ عَذبٌ يشْربُ منه الواحِد في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ مَائةُ رَطْلٍ وأكْثَر ولا يُروىٰ ولا يُؤْذِيه كَثْرة ما يشْرَبُ

١٢ منه، بل يَنْفعَه. فإذا تَجاوَزت أيَّامهُ المعْدُودةِ التي يَخْرُج فيها، وذهَب إلىٰ وقْتِه من العَامِ المُقْبِل لا يزِيدُ يَوْمًا ولا يَنْقُص يَوْمًا في خُروجِه وانْقِطَاعه[1] [a].

[a] في ياقوت بزيادة: «...وهو شفاء للمرضى يأتونه من كل وجه. ويقال إنّه يكثر إذا كثر الناس عليه ويقلّ إذا قلّوا عنه».

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة أروند] ج١، ص١٦٣-١٦٤.

وقال محَمَّد بن بَشَّارٍ[١] يَذْكُر أرْوَنْد في شِعْرٍ طَويل (شِعْر): [١١٥ظ]

[الكامل]

ولقَد أقُولُ تيَامُني وتَشاءَمي وتَواصَلي دِيَمًا علىٰ هَمَذَانِ
بَلدٌ نَبَاتُ الزَعْفَرانِ تُرابُهُ وشَرابُهُ عَسَلٌ بماءِ قِنَانِ
سَقْيًا لأوْجهِ من سُقِيت لذِكْرهِم مَاءَ الجوىٰ بزُجَاجَةِ الأحْزَانِ
كَادَ الفُؤادُ يطِيرُ ممَّا شَفَّهُ شَوْقًا بأجْنِحَةٍ من الخفَقَانِ
فكَسَا الرَبيعُ بِلادَ أهْلِكِ روْضَةً تَفْتَرُّ عن نَفْلٍ عن حَوذَانِ
حتىٰ تَعانَقَ من خُزامَاكِ الذَرىٰ بالجَـهْلَتينِ شَـقَائقُ النُّعـمانِ
وإذا تَبجَّسَت الثُلوجُ تَبجَّتت عن كَوْثرٍ شَبمٍ وعن حَيَوانِ
مُتَسلْسِلينَ علىٰ مذَانِب تَلْعَةٍ تَثغُو الجِداءُ بها مع الحُمْلَانِ

وقال أيضًا: ٣

[الطويل]

تزَيَّنتِ الدُّنْيَا وطَابَتْ جِنَانُها وناح علىٰ أغْصَانها ورْشَانُها
وأمْرعَت القِيعَانُ واخضَرَّ نَبْتُها وقام علىٰ الوَزْنِ السَّواءِ زَمَانُها
وجَاءَتْ جنُودٌ من قُرىٰ الهِنْدِ لم تكن لتَأتِي إلَّا حِينَ يَأتِي أوَانُها
مُسَوَّدةٌ دُعْجُ العُيون كأنَّما لُغَات بنَاتِ الهِندِ يَحْكِي لِسانُها
لعَمْرُك ما في الأرْضِ شَيءٌ نَلَذُّهُ من العَيْشِ إلَّا فَوْقَه هَمَذَانُها

[١] محمد بن بشار بن داود بن كيسان البصري البُنداري، الإمام الحافظ، لقب ببُندار الحديث لكثرة حفظه، توفي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٧٣؛ ابن حبان: الثقات، ج٩، ص١١١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج٢، ص٤٥٨.

إذا اسْتَقْبلَ الصَّيفُ الرَّبيعَ واعْشَبتْ شَماريخُ من أرْوَنْد شُمَّ قِنَانُها

وهَاجَ عَليْهِم بِالعِراق وأرْضِهِ هَوَاجِرُ يَشْوي أهْلَها لهَبَانُها

سَقتَك ذُرىٰ أرْوَنْد من سَيْحٍ ذَائبٍ من الثَّلجِ أنْهارًا عِذَابًا رِعانُها

تَرىٰ المَاءَ مُسْتنًّا علىٰ مَتْنِ صَخْرهِ يَنابيعَ يَزْهي حُسْنُها واسْتِنانُها

كَأنَّ بها شَوْبًا من الجَنَّة التي يَفِيضُ علىٰ سُكَّانها حيَوانُها

فيا سَاقِي كَأسِي أَصْبِحَاني مُدامةً علىٰ رَوْضَةٍ يَشْفِي المُحِبَّ جِنَانُها

مُكَـللـَّةٍ بالنُّورِ تحْـكِـي مَضَاحِكًا شقَائقُها في غَايةِ الحُسْنِ بانُها

كأنَّ عَرُوسَ الحَيِّ بَثَّتْ خِلالهَا قَلائِدُ يَاقُوتٍ زهَاهَا اقْتِرانُها

تَهاويلُ من حُمْرٍ وصُفْرٍ كأنَّها ثَنايا العَذَارىٰ ضَاحِكًا أقْحُوانُها

وقال أيْضًا[١]: [١١٦و] [البسيط]

سَقْيًا لظِلِّك يا أرْوَنْدُ من جبلٍ وإنْ رَمَيناك بِالهِجْرانِ والمَللِ

هل يَعْلمُ النَّاسُ ما كَلَّفْتني حِجَجًا من حبِّ مَائك إذ يَشْفِي من العِلَلِ

لازِلْت تُكْسَىٰ علىٰ الأنْوارِ أرْدِيةً من نَاضِرٍ أنِقٍ أو نَاعِمٍ خَضِلِ

حتىٰ تَزُور العَذَارىٰ كلَّ شَارِقةٍ أفياءَ سَفْحِك يَسْتَصْبِينَ ذا الغزَلِ

وأنت في حُلَلٍ والجَوُّ في حُلَلٍ والبِيْضُ في حُلَلٍ والرَّوْضُ في حُلَلِ

٣

[١] انظر: [مادة: أرْوَنْد] لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١، ص١٦٣-١٤٦.

[فَضْلُ الماءِ وخَواصُّه]

٣ وقالوا: أطْيبُ البُلْدَان ما طَابَ هَواؤهُ وعَذُبَ مَاؤهُ وكَثُرَكِلاؤهُ، والمَاءُ مِزَاجُ الرَّوحِ وصَفْي النَّفْسِ وقِوامُ الأبْدَانِ النَّاطِقُ وغيرُ النَّاطِق بمجَانسَتِه لها ومُعَادَلته إيَّاها، ومن فَضِيْلتِهِ أنَّ كلَّ شَرابٍ وإنْ رَقَّ وصَفا وعَذُب وجَلا فَليْسَ بعِوَضٍ منه

٦ ولا مُغْنٍ عنه، بل يَطِيبُ بمُمازَجةِ العَذْبِ بمُخَالطَتهِ حتىٰ يَجْري في العُروقِ بلطَافتهِ ويَنْسَاب في المَفَاصِل برقَّته مع خَاصِّيتهِ في ريِّ الظَمأ وإطْفَائِه ضِرام نَار الحَشا، ولوْلَاهُ ما عُرفَ فَضْلُ البُسْتَانِ علىٰ الجِنَانِ، ولكَان وغيرُه سِيَّان.

٩ ولقد جعَلتهُ العَربُ مثلًا فقال القُطَاميُّ[1] (شِعْر):

[البسيط]

فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به   مواقعَ الماءِ من ذِي الغُلَّة الصَادِي

وقال آخر[2]:

١٢ [الطويل]

أمانيَّ من سُعْدَىٰ عِذَابٌ كأنَّما   سَقَتْك بها سُعْدَىٰ علىٰ ظَمأ بَرْدَا

---

[1] تقدمت ترجمته ص١٨٣.

[2] البيت للشاعر: الرمَّاح بن ميادة المري، أحد الشعراء المشهورين. انظر في ترجمته: الدارقطني: المؤتلف والمختلف،ج٢، ص١١٠٠.

وذكر أبوجَعْفَر مـَحْبَرَةُ النَّدِيم[١] أنَّه حَمَل للمُوَفق عند خُروجهِ إلى الجَبلِ من مَاءِ دِجْلَةِ ألف خُمَاسِيَّة فلما وَافىٰ هَمَذَان وُصِف له مَاؤها فشَرِبَ منه واسْتَطَابه وتَركَ ماء ٣ دِجْلَة وجَعلهُ شَرابُه.

(*وطَلَبَ الشَّعْبيُّ[٢] علىٰ مائِدةِ قُتَيْبة بن مُسْلِم- وقد قِيل غَيره - مَاءً، فلم يُدْرَ اللَّبنُ يُريدُ أم العَسَلُ أم الماءُ، فقِيل له: أيُّ الأشْرِبةِ تُريد؟ فقال: أعَزُّها مَفْقُودًا ٦ وأهْونُها مَوْجُودًا. فقال قُتَيْبة: اسْقُوه ماءً.

وكان أبو العَتَاهِية[٣] في جمَاعةٍ من الشُّعراءِ عند بعض المُلوك فشَرِبِ رَجلٌ منهُم ماء وقال:

٩ بَـرُدَ الماءُ وطَابا . فقال أبو العتاهية: حَبَّذا الماءُ شَرَابًا.

وقال الله ﷻ مُفخمًا لأمْرِ الماءِ [١١٦ظ]: ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥].

---

[١] محبرة النديم هو: محمد بن يحيى بن أبى عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكري اللغوي المعروف بالنديم، كان حسن الأدب ونادم المعتضد، صنف كتابًا في اللغة سماه "جامع النطق". انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج١، ص١٧٦؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٦٢؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة،ج٣، ص٢٣٢.

(* من هنا تبدأ نقول "ابن الفقيه" من كتاب "الحيوان"، للجاحظ.

[٢] مرت ترجمته ص١٩٨.

[٣] أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، الشاعر المشهور المتوفى سنة٢١١هـ/٨٢٦م. انظر في ترجمته وأخباره:ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٧٨١؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٢٧-٢٣٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٢٢٦-٢٣٧.

أَلَا تَرىٰ أنَّه لم يَذْكُره بغير السَّلامةِ من التَّغيُّر إذا كان [المَاءُ][a] متى كان خَالِصًا لم يَحْتَج أنْ يُشْرَب بِشيءٍ [b) غَرِيبًا في[b] خلقته من الصفاء والعذوبة والبرَد والطيب

٣ والحسن[١].

قال عَدِيُّ بن زَيد[٢]:

[الرمل]

لَوْ بِغَيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالغَصَّانِ بالمَاء اعتِصَاري

٦ وفي قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قال: عن المَاءِ البَارِدِ في الصَّيفِ وعن الحَارِّ في الشِّتاءِ.

وقالوا في النَّظرِ إلى المَاءِ الدَّائِم والجَاري ما قالوا.

٩ وجَاء في الأثَر: من كان به مَرضٌ فليَأخُذ دِرْهمًا حَلالًا وليَشْتَري به عَسلًا ثمَّ ليشَربهُ بماءِ السَّماءِ فإنَّه يَبْرأ بإذنِ الله.

[a] زيادة من الجاحظ: الحيوان.

[b_ b] في الجاحظ: غير ما.

[١] ينقل هنا ابن الفقيه عن الجاحظ بتصرف يسير دون أن يشير إلى مصدره قارن: الحيوان: [باب ما قيل من الشعر في الماء] ج٥، ص٧٦.

[٢] عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي، شاعر من دهاة الجاهليين، كان يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، واتخذه في خاصته وجعله ترجمانا بينه وبين العرب، توفي سنة ٣٥ق.هـ/٥٩٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٢١٩-٢٢٤؛ المرزُباني: معجم الشعراء، ص٢٤٩.

والرِّيقُ[a] هو المَاء عند العَرب[١]. وما ظنُّك بشَرابٍ إذا مَلحَ وخَبثَ[b] أثْمَر العَنْبر وولَّدَ الدُّر، وإذا صَفا وطَاب أحْيَا الأنْفُس. وقال الله ﷻ:﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ﴾.[النمل:٤٤] لأنَّ الزُّجَاج أكْثَر ما يَخْرج به أنْ يُقال كأنَّه الماءُ الجَاري.

وقال الله تعالَى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾[فاطر:١٢] ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاء﴾[النور:٤٥] ويقال: إنَّه لَيْس شَيءٌ إلَّا وفيه مَاءٌ، أو قد أصَابهَ مَاءٌ، أو قد خُلِق من مَاءٍ، والنُّطْفَةُ تُسمَّى مَاءً والمَاءُ يُسمَّى نُطْفَة. وقال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]. وقال ابن عبَّاس: السَّماءُ مَوْجٌ.

وقال الله تعالَى:﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾. [ق:٩-١١] .

وحين اجْتَهدُوا في تَسمِيةِ امْرَأة بالجَمالِ والحُسْنِ والصَّفاءِ والبَياضِ قالوا: مَاء السَّماء، وقالوا: المُنْذِر بن مَاءِ السَّماء[٢] ويقولون: [c]صِبْغٌ له مَاءٌ، ولَوْنٌ له ماءٌ[c][٣] .

[a] رسمت في الأصل: ريف.
[b] رسمت في الأصل: خشب.
[c-c] ساقطة من الأصل: والتتمة من الجاحظ: الحيوان.

[١] انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة[ر ي ق]ج١٠، ص١٣٢-١٣٦.
[٢] لقبت به أم المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عدي، واسمها ماوية بنت عوف بن جشم، وسميت بماء السماء تشبيهًا به في الحسن والصفاء والطهارة. انظر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص٥٦٢.
[٣] انظر: الجاحظ: الحيوان،ج٥، ص٧٩.

وفُلانٌ لَيْسَ في وجْهِه مَاء، ورَدني فُلانٌ ووجْهي بمِائه[١].

قال الشاعر:

٣ [الطويل]

مَاءُ الحَيَـاءِ يـجُولُ في وجَنَاتِه

ووصَف الرَّاجِز جملًا كَرِيمًا فقال:

٦ أرَاكَ في مَاءِ المهَاري[٢] مُنقَّعُ.

وقالت أم فَروَة[٣] في صِفةِ الماء (شِعْر):

[الطويل]

وما مَاءُ مزنٍ أيَّ مَاءٍ تَقُولُهُ تحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طُوَالِ الذَّوَائِبِ

بِمُنْعَرِجٍ أَوْ بَطْنِ وَادٍ تحَدَّبَتْ عليْهِ رِيَاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ عَنْ مُتُونِهِ فَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعائِبِ

[a)بِأَطْيَبَ ممَّا يَقْصُرُ الْوَصْفُ تُقَى الله واسْتِحْيَاءُ تِلْكَ الْعَوَاقِبِ]a)

٩ [١١٧و] والأَبْيضَان: المَاءُ واللَّبنُ، والأسْوَدانِ: التَّمرُ والمَاءُ. وسَوادُ العِرَاق: مَاؤه الكَثِير. والمَاء إذا كان له عُمْقٌ أشْتدَّ سَوادُه في العَيْن.

(a-a) زيادة يتم بها المعنى. الجاحظ: الحيوان.

---

[١] انظر: الجاحظ: الحيوان،ج٥، ص٧٩.

[٢] المهاري: الإبل المهرية نسبة إلى مُهرة وهو حي من قضاعة. والإبل المهرية نجائب تسبق الخيل. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج١٤، ص١٥٨.

[٣] زينب بنت فروة المرية.انظر: أبو علي القالي: الأمالي، دار الكتب المصرية، القاهرة،٢٠٠٢م،ج٢، ص٨٧.

وقال الْعُكْلِيُّ[1] في صِفَة الماءِ (شِعْر)[2]:

[الرجز]

عَاوَدهُ من ذِكْرِ سَلْمَىٰ عُوَّدَهْ والليْلُ دَاجٍ مُطْلَخِمٌّ أسْوَدُه
فَبِتُ لَيْلِي سَاهِرًا ما أرْقُدُهْ مُرْتَفعًا أو قَائِمًا ما أقْعُدُه
حتَّىٰ إذا اللَّيْلُ تَولَّىٰ كَبِدُه وانْكَبَّ للغَور انْكِبَابًا فَرْقَدُه
وحَثَّهُ حَادٍ كَمِيْشٍ يطْرُدُه أغَرٌّ أجْلَىٰ مُعْرِبٌ مُجَرِّدُه
أصْبَحَ بالْقَلبِ جوًىٰ ما يُبردُه مَاءُ غَمَامٍ في الرَّصَافَةِ مِقْلَدُه
زَالَ به من رَأْسِ نَتِنٍ صَلْدُه عن ظَهْرِ صَفْوانٍ مُزِلُّ مَجْسَدُه
حتَّىٰ الخَلِيلُ تَناهَىٰ مَدَدُه ومُنْكِر المَاءِ الذي يَسْتَنْكِدُه
بين خُزامىٰ وأنَاجٍ تُلهِدُه ظِلُّ نَسِيمٍ من صِبا يَسْتَودِدُه
كأنَّمَا تَشْهدُهُ أو تَفْقِدُه فهو سَقَا الصَّبْرُ مما يَعْمدُه

٣ وقال جرير[3] (شِعْر):

[الكامل]

لو شِئْتُ قد نَقَعَ الفُؤادُ بشَرْبَةٍ تَدَعُ الحوائم لا يَجِدْنَ مقيلا
العَذْبُ مِنْ وسْطِ الفَلاتِ مَقِيلَةً قصر الأَبَاطِحِ لَا يزالُ ظَلِيلَا

---

[1] سويد بن عمرو العكلي، شاعر فارس مقدم، كان في العصر الأموي صاحب الرأي والتقدم في بني عكل. توفي سنة١٠٥هـ/٧٢٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٦١٩؛ ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص١٧١-١٧٧.

[2] قارن الأبيات لدى الجاحظ: الحيوان، ج٥، ص٨٠.

[3] مرت ترجمته ص ٤٦١.

قالوا: وفي المَاءِ، أنَّ أطْيبَ شَرابٍ عُمِلَ ورُكِّبَ مثل الجُلَّاب[١] والسَّكَنْجَبِينُ[٢] والمَيْعَةُ[a] [٣] وغير ذلك، مما يُشْرَب من الإنْبَجَاتِ والإفْشَرجَاتِ، فإنَّ تَمام لذَّتِهِ وغَايةِ

٣ طَعْمِهِ أنْ يَجْرع شَاربهِ بعد شُرْبهِ إيَّاه جَرْعًا من الماءِ يَغْسِل بها فمَهُ ويُطَيِّبُ بها نَفْسِه، فهو في هذا المَوْضُوع كالحُلَّةِ والحَمْضِ جمِيعًا، وهو لتَسْوِيغ الطَّعامِ في المَرِيء، وهو المُوصِّلُ الغِذَاءَ في الأعْضَاءِ.

٦ فالمَاء يُشْرَب صِرْفًا وممْزُوجًا، والأشْرِبةُ لا تُشْرَب صِرفًا ولا يُنْتَفعُ بها إلَّا بممَازَجَته. وهو بعَدُ طهُورُ الأبْدَان وغَسُولُ الأدْرَانِ. وقالوا: هو الماءُ الذي يُطهِّر كلَّ شَيءٍ ولا يُنجِّسهُ شيء.

٩ ولذلك قال النبي ﷺ :"المَاءُ لا يُنَجِّسهُ [١١٧ظ] شَيءٌ إلَّا ما ظَهر في طَعْمِهِ وريحِهِ"[٤]. ومنه يكُون الثَّلجُ، والثَّلجُ يجْمَع الحُسْنَ في العَينِ والكَرمَ في البَياضِ والصَّفاءَ وحُسنَ المَوْقِع من النَّفْسِ.

---

[a] في الجاحظ: البنفسج.

---

[١] الجلاب: لفظة فارسية معربة، تعني ماء الورد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٧٤.

[٢] السكنجبين: كلمة فارسية معربة، مركبة من سك أنكبين، وتعني شراب مركب من الخل والعسل. انظر: معجم الألفاظ الفارسية: ص٩٢.

[٣] الميعة: عطر طيب الرائحة، انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج٨، ص٣٤٥؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٢٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

[٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ:« قال رسول الله ﷺ: المَاءُ لا يُنَجِّسهُ شَيءٌ ». أما ما زاده ابن الفقيه على هذا فليس من متن الحديث أصلًا.

انظر: مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، حديث رقم ١١٢٨٨، ص٦٩٩.

ومن فَضْل الجَبَلِ علىٰ العِرَاق: أنَّك لو قُلتَ لمَرِيضٍ قد نَقَهَ من عِلَّتِهِ ببغْدَاد في أيَّام حُزَيْرانَ وتَـمُّوز وبنَاحِية الكُوفَة والبَصْرَة ما تَشْتَهي؟! لقال: أَشْتَهي شَرْبَةَ ماء بَارِد أو قِطْعَة ثَلْجٍ أو جَلِيد.

وقد أقْسَمُوا بالمَاءِ قال الشَّاعِر:

[السريع]

غَضْبَىٰ فلَا والله يا أَهْلَها لا أَشْرَب البَارِدَ أو تَرْضَىٰ

وسمى اللهُ ﷻ أصْلَ المَاء غيْثًا بعد أنْ قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]. وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ:١٤-١٦] ومن المَاءِ زَمْزَم وهو لِما شُرِبَ له[١]، ومنه ما يكُون دَوَاءً من الأدْواءِ الغَلِيْظَة كالحُمَّـات[*].

وبهَمَذَان حَمَّاتٌ كَثِيرةٌ نَافِعةٌ من أدْوَاءٍ غَلِيظَةٍ مثل النَّقْرسِ والجَرَبِ، والرِّيَاح المُسْتَصعَبة وغير ذلك فيَنْفَعها مَنْفعةً تَامة. منها مَاءُ[حَمَّـة][a] أَرْوَنْد ولُونْدان، و حَمَّـة بسازقين[b]، وحَمَّـة دَار نَبْهَان، وماء آست، وعَبْد الله أبَاذ، [وماء بذين][a] ومَاء سَامِين[c]. وغير ذلك[٢].

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من المختصر. [b] كذا في الأصل.

[c] في المختصر سامير.

[١] أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك، [باب الشرب من ماء زمزم] مجلد٤، حديث رقم: ٣١٧٨.

[*] إلى هنا تنتهي نقول "ابن الفقيه" من كتاب "الحيوان" للجاحظ.

[٢] قارن: مختصر الكتاب: ص٢٢٢-٢٢٣.

وقالوا: أحْسنُ الأشْيَاء: صَفْو هَواءٍ وعُذُوبةِ مَاءٍ وخُضْرةِ كِلاءٍ. والمَاءُ حَياةُ كُلِّ شَيءٍ، وهو أَحَدُ الأرْكَان الأرْبَعةِ التي هي: الأَرْضُ والمَاءُ والنَّارُ والهَواء.

٣ وقالوا: أفْضَلُ المِياه مَاء السَّماء إذا أُخِذَ في ثَوبٍ نَظِيفٍ، ثمَّ ما وقَع علىٰ جَبلٍ فاجْتَمعَ علىٰ صَخْرةٍ، ثمَّ مَاءُ الغُدْرَان العِظَام، [ثمَّ مَاء] المُسْتَنْقعِ في الصَّحَاري إذا لم يَكُن فيه عُشْب، ثمَّ مَاءُ القُنْي، ثمَّ مَاءُ الحَوْضِ الكَثِيرِ العُمْق، ثمَّ مَاءُ

٦ العُيون وما يَنْحِدر من الجِبَال والمَاء الجَاري المَغْلِي جيد من كلِّ شَيءٍ .وهو جيد للحُمَّىٰ والزُّكَامِ وجَيِّد للرِّياحِ والبَلْغَم.

وقالوا: لَوْلَا أنَّ مَاءَ هَمَذَان مُتَفرِّق -وهي أنْهَارٌ كَثِيرةٌ-في أقْطَارِها، لكان إذا

٩ اجْتَمع مَاؤها مثل دِجْلَة والفُرَات.

وقال ثَاذِينُس[a)][١]: المَاءُ حيَاةُ كلِّ شَيءٍ وهَلاكُ كلِّ شَيءٍ وغَضَارةُ كلِّ شَيءٍ وكَاسِفُ بَالِ كلِّ شيءٍ. فأمَّا قوله حَياةُ كلِّ شَيءٍ: فبه يَحْيَا الإنْسَانُ الذي لم يَخْلُق الله

١٢ أشْرَف صَنِيعةً منه، والنَّبات والشَّجَر وكلُّ مأكُولٍ من الثَّمرِ وغيره.

وهو غَضَارةُ هذه الأشْياء ونَضْرتها، وأمَّا كُسُوف بَال كلِّ شَيءٍ فإذا عدم منه المَاء تَغيَّرت نَضْرته وذلك كُسُوف باله، [b)] [وأمَّا هَلاكُ كلِّ شَيءٍ. فإنَّ الغَرق منه وكَثْرة

١٥ شُربهِ تُورِث الأدْواء كما أنَّ الاقْتِصَادَ فيه يُذْهِب كلَّ دَاءٍ][b)].

[a)] رسمت في الأصل: تياذوس، والتصويب من النديم.

[(b – b)] تتمة النص من المختصر.

---

[١] ثَاذِينُس:فليسوف يوناني تكلم في علم الفلك وما تحدث به الكواكب، وله تصانيف منها كتاب الطُّوفانات، وكتاب الكواكب المُذنَّبة. انظر: النديم: الفهرست،ج٢، ص٢٢٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص٨٠. (وهو فيه: باذنيوس).

وماءُ السَّماء إذا أُخِذ في شيءٍ نَقيٍّ وصُفِي [١١٨و] وشَرِبَ منه صَاحب السُّلِّ واليَرَقَان[١] نفَعهُما، وإذا أُخِذ منه في جَامٍ قبل أنْ يَقع إلىٰ الأرْضِ وشَربه من أرَاد
٣ الذَّكاء زَادَ في حِفْظِه وذَكَائِه.

وإنْ أُخِذ ماءُ السَّماء وخُلطَ مع العَسل والمُصْطُكىٰ[٢] وشُرِب نَفعَ من البَهق، وماء البَـرَد إذا أُخِذ وأُلْقِي علىٰ قَصَبٍ فَارِسيٍّ مُخَـرَّق واسْتِيك به نفَع من الحُفَرِ
٦ والقُلْحِ[٣] وأُذْهِب بذلك وصَلَّب الأسْنَان.

ومَاءُ الثَّلْج إذا أُخِذ مع عَرقِ إنْسَانٍ ثمَّ سُقِي به من الكُزَاز[٤] سَكَنَ فيه. وإذا أُخِذَ مع لَبنِ الإبِل وسُقِي من به خَفَقَان الفُؤاد سَكَّنه.

٩ وإنْ خُلِطَ به زَبَدُ البَحْرِ ثمَّ طُلِيَ به الجَرَبُ ذَهَب به. وإنْ أُخِذ مع رَمَاد الزَّيْتُون فطُلِيَ بها البَهق الأسْوَد نفعه. وإنْ أُخِذ مَاءُ البِئْر أوَّل ما يَنْبُع ثمَّ شَربه من سُقِي السُّم كان نَافِعًا له.

١٢

[١] اليرقان: مرض يصيب الإنسان يغير لونه إلىٰ صفرة أو سواد. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١٨٨؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٤.

[٢] المصطكى: العلك الرومي. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة،ج١٠، ص٢٦.

[٣] القُلح: جمع قَلح، وهو صفرة ووسخ تعتلي الأسنان من طول ترك السواك. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة ق ل ح] ج٧، ص٦٠-٦١.

[٤] الكُزاز: رعدة من حمى أو برد وقيل: داء يصيب الإنسان فيرعد حتى يموت. انظر: ابن سيده: المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.ج١، ص٤٧٥.

وإنْ أُخِذ أيْضًا ثمَّ فُتَّ فيه خُبْز من حِنْطَةٍ حدِيثةٍ وجُعِل معه قَنْد[١] وأكَلَه من به وجَع الفؤَاد نفعَه. وأوَّل مَا يَظْهَر من العَينِ عند حَفْرهَا فهو نَافعٌ من الجُنونِ والوَسْوَاس. ٣

وإنْ ظَهرتْ عَينٌ في سَبْخَةٍ فطُرِح فيها الإسْقِيل المَشْوي[٢] وأصْلُ الكَبَر كان دَواءً للمَجْذُومِين. والعُيون الكَبْرِيتيَّه تَنْفَع من الجَرَب. ومَاءُ البَحْرِ إذا أُخِذ مع السُّنْبُل المَدْقُوق والسُّعْد[٣] ودُلِّكَ به اللِّسَان قَطَع البَخْر وطَيَّب رَائِحة الفَم. ٦

وأُنْشِد لأبي صَالِحِ الحَذَّاء[٤] من شِعْرٍ طَويلٍ كتَب به إلى ابْنِه ـ وكان غَائِبًا ـ يذْكُر له طِيب هَواء همَذَان وحُسْنهَا ونُزْهَتها وعُذُوبَة مَائهَا ويُشوِّقه إليها (شِعْر): ٩

[السريع]

فَارْحَل إليْنَا رِحْلَةً قَبْل أنْ تَرنِي بِرَمْسٍ مَدْفُونِ
فَقْد هَدَتْ سُورَةُ أيَّامِنا وانْسَلخَتْ أيَّامُ تِشْرِينِ
وجَاءَنا الشَّهْرُ الذي صُفِّدَتْ فيه عَفَارِيتُ الشَّياطِينِ
وطَابَ للسَّارِينَ وجَه السُّرَىٰ في طُرقِ الرَّيِّ وقَزْوِينِ

[١] القند: عصارة قصب السكر، وقيل : عسل قصب السكر إذا جمد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٩٦٨؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة [ق ن د] ج٩، ص٧٣-٧٤.

[٢] الإسقيل: نبتة طبية تنبت في البراري على الماء والندى، يقال لها بصل العُنصل، وتعرف عند العامة ببصل الْفَار. انظر: الزبيدي، المصدر السابق، مادة[ع ص ل] ج٢٩، ص٤٨٩؛ المعجم الوسيط، ج١، ص٤٣٦.

[٣] السعد: نبت له أصل تحت الأرض أسود طيب الريح. الأزهري: تهذيب اللغة، ج٢،ص٤٤-٤٥؛ ابن منظور: المصدر السابق، ج٣، ٢١٦.

[٤] لم أجد له ترجمة.

والدَّهْرُ في تَقْوِيمِ سَاعَاتِهِ كَـدِرْهَـمٍ أَبْيَـض مَـوْزُونِ
هَذا وبنْتُ الكَرْم قد أُكْمِلَتْ عِدَّتُـها في الـنَـارِ والـطِّين
عَـذْوًا يَـاقُـوتـتَه أُبْـرِزَتْ تُخْطَبُ من خدْرِ الدَّهَاقِينِ
قَـوْمٌ تراهُـم فـتَرىٰ أنَّهم تُجَّـارُ عِـطْرٍ في الدَّكَاكِينِ
والطَّيْرُ قد آبَت إلىٰ آبَائِهَا بكـلِّ أَلْـوانِ التَّـزَايِـينِ
قَدْ أَقْبَلَـتْ وَارِدَةً أَرْضَـنا يَقْدُمـهَا سِـرْبُ الشَّـفَانِينِ
من بَعْد أنْ أَقْحَمهَا عُجْمَة غَنَّتْ بلَحْنٍ غَيْر مَلْحُونِ

[١١٨ظ]

تَزيَّنتْ في الجَوِّ مُخْتَالة تَحْتَدي تَرْجيع الوَرَاشِينِ
والوُرْقُ من ذِكْرِ فَواخيتِها تُسْعدُها خُضْرُ الوَرَاشِينِ
تَبْكِي علىٰ فُرْقَة أُلَّافِهَا شَجْوًا بَدمْعٍ غير مَهْتُونِ
وقَدْ بدا أَرْوَنْد يُبْدِي لنا من سَفْحِه كلَّ التَّحَاسِينِ
تَـزَيَّنتْ غُـرَّةُ أَفْـيَائهِ بِـوَشْيهِ أَحْـسَن تَزْيِـينِ
وانْحَسَـرت مـنه رُؤوسُ عن نَاضِرٍ أَخْضَر مَسْجُونِ
والقَبْجُ من نَسْمهِ أَرْدَفتْ فِرَاخَها خَوْفَ الشَّواهِينِ
وللظِبَا سِرْبٌ إذا أَقْبَلتْ من فَجِّه كالخُـرَّدِ العِينِ
والشَّاءُ تَثْغُوا بين حِمْلانِها قد أَمِنتْ كَيدَ السَّراحِينِ
والمَاءُ يَجْري من مِتُونِ النَّدا علىٰ الخُزَامىٰ والرَّيَاحِينِ
نَسِيمُها عند هُبُوب الصَّـبا أَطْيَب من نَفْحَةِ نِسْرِينِ

واللهُ يَسْقِي الرَّيَّ ريَّانةً من كَان من سُكَّانِ رامِينِ
إنَّ لهم من فَرْطِ شُكْري بها صَانُوك أجرًا غير ممْنُونِ
أجْرَ الألَى صَانُوا إمَامَ الهُدَىٰ أعْنِي عَلِيًّا يَوْمَ صِفِّينِ
فهَاكَها مَكْنُونةً صُغْتُها حُلْيًا لعَرْضٍ لك مَكْنُونِ
أبْكَارُ ألْفَاظٍ ومَا بِكْر ما يُهْدَىٰ من الألْفَاظِ كَالْعُونِ
تَمَّــتْ ثَمــانِينَ وتَـأرِيخُها في سَنةِ الإحْدَىٰ وتِسْعِين[1]

وقال آخر (شِعْر):

[الطويل]

تَذكَّرْتُ أَرْوَنْدا وطَيْب نَسِيمهِ فقُلْتُ لقَلْبٍ بالفُرَاقِ سَقِيمِ
سَقَىٰ الله أَرْوَنْدا ورَوْض شِعَابِه ومن حَلَّه من ظَاعِنٍ ومُقِيمِ
وأيَّامَنا إذْ نحنُ في الدَّارِ جِيْرة وإذ دَهْرُنَا بالوَصْلِ غير ذَمِيمِ

٣ وقال آخر (شِعْر):

[البسيط]

تَذكَّرْتُ أَرْوَنْدا وطَيْب نَسِيمهِ فقُلْتُ لقَلْبٍ بالفُرَاقِ سَقِيمِ
سَقَىٰ الله أَرْوَنْدا ورَوْض شِعَابِه ومن حَلَّه من ظَاعِنٍ ومُقِيمِ
وأيَّامَنا إذْ نحنُ في الدَّارِ جِيْرة وإذ دَهْرُنَا بالوَصْلِ غير ذَمِيمِ

٦

[1] قارن هذه الأبيات بما في المختصر، ص٢٤-٢٥.

وقال آخر (شِعْر):

[البسيط]

سَقْيًا لأَرْوَنْد مَا أَهْنَا المَصِيفَ به ظِلٌّ ظَلِيلٌ ومَاءٌ يَنْفَع الكَبِدَا

وتُرْبَةٌ كسَحِيقِ المِسْكِ نكْهَتُها وجِيرةٌ كبُحُورٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

٣ وقال آخر (شِعْر):

[البسيط]

قالوا ترىٰ النِّيلَ في مِصْر فتَألَفُه إذ تَرامىٰ علىٰ آذَئِه الزَّبَدُ

فقلتُ أحْسَنُ من نِيلٍ بمِصْركُم مَاءُ العُيون علىٰ الرَّضْراضِ يَطَّرِدُ

في جانِبَيه رِيَاضُ الزَّهْر زَيَّنَهَا نَسِيمُ نَوَّارها والطَّائِرُ الغَرِدُ

ترىٰ الخُزامَىٰ يُنَاغِي الأقْحُوانَ بها عند الغُدُو كما نَاغَىٰ أبًا وَلَدُ

وأنْشَد لوَهْبٍ بن شَاذَان الهَمَذَانيِّ[1] (شعر): [١١٩و

٦ [البسيط]

أَلْقَىٰ الرَّبِيعُ علىٰ أَرْوَنْدنا خُلَعًا خُضْرًا وخُلعَتهُ البَيْضَاءُ قد نَزَعا

كَسَاه ثَوْبًا من النَّوَّارِ تَنْسجُه أيْدِي الذي لفَّها خَفْضًا ومُرْتَفعَا

مَلَاءَةٌ نَسَجَتْها دِيمَةٌ فلها بَدائِعُ جَمَّةٌ قد فَاقتِ البِدَعَا

إذا بَكتْ مُزْنَةٌ من فَوْقِها ضَحِكَتْ شَقَائِقُ أخْرَجتْ من سِمْطِها لُمَعَا

طَوْدٌ مَنِيفٌ عليه شَمِيلةٌ نَسَجت خَضْراء فَارْتَفعتْ فيه كما ارْتَفَعَا

---

[1] له أشعار استشهد بها كل من الراغب الأصفهاني في: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج٢، ص٧٥٨؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان، قارن :[مادة همذان] ج٥، ص٤١٣.

فانْظُر إلىٰ بَطْنِ أَرْوَنْدَائِهم تَرىٰ   بَابًا إليه من الفَرْدَوْس قد شُرعَا
واسْمَع إذا قَرْقَر القُمْرِيُّ من طَرَبٍ   وهَاجَ وَرْشَانُه في سَفْحِه ودَعَا
من لم يَكْن في ذُرىٰ أَرْوَنْد مُعْتَكِفًا   فذاك عن صُحْبَةِ اللَّذَّات قد جَزَعَا

ويقُال: إنَّ أكثَر الجِبالِ مَاؤُه من أَسْفَلِهِ إلَّا أَرْوَنْد فإنَّ مَاءهُ في أعْلَاه ومنَابِعهُ في ذَرْوَتهِ. وأنشد لبعضهم في أروند (شعر): [الكامل]

أَرْدَىٰ الشِّتَاءُ وهَاجَ كلُّ مُغَرِّدِ   وبَدَتْ معَالِمُ للرَّبيعِ الأَغْيَدِ
عكَفتْ علىٰ أَرْوَنْدَ كلُّ سَحَابةٍ   سَوْدَاءَ مُظْلِمَةٌ كلَوْن الإثْمدِ
تَبْكِي مَدَامِعُها ويَضْحكُ ثَغْرُهَا   عن مُشْرِقٍ كَالكَوْكَبِ المُتوَقِّدِ
هَملَتْ بها حمَلَتْ فَأَلْبستْ الرُّبَىٰ   من نَسْجِهَا حُلَلًا وإنْ لم تُعْقَدِ
من كلِّ أخْضَر كالحَرِيرِ وفَاقِعٍ   غَضٍّ وأحْمَرَ سَاطِعٍ ومُوَرَّدِ
شَمِلَتْ عِصَابَةُ نُورِه هَامَ الثَّرىٰ   فتَعمَّمتْ منها هِضَابُ الفَدْفَدِ
صَارتْ عُيونًا للرُّبَىٰ لما بَكتْ   فيها السَّحَابُ بأعْيُنٍ لم تَجْمُدِ
وكأَنَّها قَمَرٌ وقَدْ طَلَعَتْ لها   شَمْسُ الضُّحَىٰ من جَوْهَرٍ مُتَبدِّدِ
حَسُنَتْ فحَسَّنتِ الثَّرىٰ ببدَائعٍ   حَسَرتْ مَسَاويءَ للشِّتَاءِ الأنْكَدِ
شَرِبتْ من الوَسْمِيِّ أَوَّلَ صَوْبِه   ومن الزُّلَالِ البَارِد المُتَطَرِّدِ
وكأنَّما لَبِسَ البِقَاعُ مُعَصْفَرًا   منها ووَشَّحَ صَدْرَه بمُوَرَّدِ
نفَتْ الصَّبا عنه القَذَىٰ بنَسِيمَها   فكأنَّه لَمَعَانُ مَتْنِ مُهَنَّدِ

٣ [١١٩ظ] وكانوا يقُولُون: شِتَاء بَغْدَاد، ورَبِيعُ هَمَذَان، ومَصِيفُ أَصْبَهَان، وخَرِيفُ الرَّيِّ.

وقالت الحُكَماءُ: أحْسَنُ الأرْضِ مَخْلُوقَةً الرَّيُّ ولها السُّرُّ والسَّرْبَان، وأحْسَنها مَصْنُوعة نَيْسَابُور ولهَا حُسْنُ الآبَار، ومَرْو لها الزِّرِيقُ والمَاجَان، ودِمَشْقُ لها الغُوطَةُ
٣ والوَادِيَان، ونَصِيبِين ولها هِرْمَاس، والصَّيْمَرَة ولها يـَحْوِي الحِصْنَان، والبَصْرَة ولها النَّهْرَوان، وفَارِس ولهَا شِعْب بَـوَّان، وشَهْرزُور ولها المُسْتَشْرَف، وبَاكَرْخي ولها من هَاهُنا بُسْتَان ومن هَاهُنا بُسْتَان، ونَهْرٌ [في] المِيَان، والمَدَائِنُ ولها دِجْلَة والسُّوس
٦ وتُسْتُر وهما بين أرْبَعَةَ أنْهَارٍ: دُجَيْل والمَسْرُقَان ومَهْرُوبان[a] وبَـرُوقان[b] ، وبَلْخ ونَهَاوَنْد وأصْبَهان[١].

---

[a] في الأصل: ماهينان، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه. [b] رسمت في الأصل: نرويان، والتصويب من ياقوت.

---

[١] نقل ابن الفقيه هذه المقولة عن ابن خُرَّداذْبه بتصرف يسير دون أن يشير إلى مصدره، ونصها كالتالي: « وقالت الحكماء: أحسن الأرض مخلوقة الرئ ولها السر والسربان، وأحسنها مصنوعة جرجان، وأحسنها مفروقة طبرستان، وأحسنها مستخرجة نيسابور، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جنديسابور ولها حسن أنهار، ومرو ولها الرِّزيق الرفيق والماجان، والغوطة ولها الواديان، ومن دام فيها يأكل البصل أربعين يومًا كلف وجهه، ونصيبين ولها الهرماس والصَّيمرة ولها ما يحوي الحصنان، والبصرة ولها النهران، وفارس ولها شعب بوَّان، ومستشرف شهرزور وباكرخى ولها من هاهنا بستان ومن هاهنا بستان، ونهر في الميان، والمدائن والسُّوس وتستر وهى بين أربعة أودية دجيل والمسرقان ومهروبان والباسيان، ونهاوند وأصفهان وبلخ، وأنزهها وأجمعها طيبًا وحسنًا مستشرف سمرقند من جبل السّغد، وقد شبّهها حضين بن المنذر الرقاشيُّ فقال: [كأنّها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للأشراق ونهرها المجرَّة للاعتراض وسورها الشمس للأطباق]. وقال قباذ الملك: أجود مملكتى فاكهة المدائن وسابور وأرَّجان والريُّ ونهاوند وحلوان وماسبذان» .

انظر: المسالك والممالك، ص١٧١-١٧٢؛ وقارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٥٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٣، ص٢٠٦.

وقال أَبُو الوَفَاء الهَمَذَانِيُّ[١] في إقْبالِ هَمَذَان ومُتنَزَّهَاتها في شِعْرٍ طَويلٍ(شِعْر):

[الكامل]

رَيَّانُ من مَـاءِ الـكُرُومِ كأنَّـني غُصْنٌ أمَالْتُه الصَّبا فتَأَوَدَا

أرْمِي بعَيْنَيَّ الرِّيَاضَ وأجْتَنِي من حُلْيِهِنَّ لآلِـئًا وزَبرْجَدا

مَا بَيْن أعْلَىٰ مُتَوَّجَين ودُونَهَا مُتَصوِّبًا طَوْرًا وطَوْرًا مُصْعِدَا

وإذا عَلْوتَ إلىٰ بِقَاعِ سَنْبَنس وأحَثَّ عَيْنَيْكَ المُرَادَ الأبْعَدَا

عَايَنْت أحْسَن مَنْظَرٍ ما جَال النَّدىٰ وشَمالُهُ من نَسْجِهِ لَن يَنْفِدا

زَهْرًا زَهَت غُرَرُ الرِّيَاضِ بنُورهِ لَمَّـا غَـدا أعـلىٰ الرُّبَىٰ مُتَسرِّدا

حَمْرَاءُ نَاصِعَةٌ وأصْفَر فَاقِعًا ومُزَعْفَـرًا في لَـوْنِه ومُوَرَّدَا

يَفْتَرُّ مُبْتَسِمًا كأنَّ وَمِيضُه شَررٌ أطَارَتْهُ الصّـبَا فَتـوقَّدَا

وإذا الغَزَالَةُ حُلَّ عَقْدُ خِمَارِهَا أهَدَتْ له منها نَدَىٰ مُتَجدِّدَا

نُورٌ تُنِيرُ له الرِّيَاضُ وتَغْتَدِي تَبْـدُو لـه أسْرَارَهُــنَّ إذا بَدَا

وتَرىٰ الجِنانَ قد اكْتَسَين نَضَارةً وجُلِينَ دُرًّا في الغُصُونِ مُنَضَّدَا

٣

[١] لم أقف على ترجمته، وربما يكون هو محمد بن عبد العزيز بن سهل، أحد أمراء الجبل من آل دلف، الذي نسب إليه أبو حيان التوحيدي هذه الأبيات في كتاب، البصائرو الذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م،ج٥، ص٢٠٨.

وقال أيضاً[١] [١٢٠و]:

[البسيط]

يَاللَّيَالِي تَرْمِينِي بَأَسَهُمِهَا ... ومَا لَهَا تِرَةٌ عِنْدي ولا ثَارُ
إذا اصْطَفَيْتُ خَلِيْلًا أو أَخَا ثِقَةٍ ... لا تَنْثَنِي منه أو تَنْأَىٰ به الدَّارُ
يا أَيُّها المُغْتَدِي نحو الجِبَالِ له ... فِيها هُنَاك لُبَانَاتٌ وأَوْطَارُ
اقْرَا السَّلامَ علىٰ أَرْوَنْدَ من جَبلٍ ... يَهِجنِي نَحْوَهُ شَوْقٌ وتِذْكَارُ
واخْصُص أمَاكِنَ فيه كُنْتُ أعْهدُهَا ... فيهنَّ مِنِّي عَلامَاتٌ وآثَارُ
وارْبَع بمُرتَبعٍ كنَّا نَلُوذُ به ... قد أَيْنعتْ فيه اللَّذَاتُ أَشْجَارُ
بِسَفْحِ مَرْجَانَةَ المَحْسُودُ سَاكِنُها ... رَوضٌ أَرِيضٌ ومَاءٌ ثَمَّ مَوَّارُ
شِعْبٌ قَرَوَّدَ فيه كلُّ مُونَقَةٍ ... وفيه للَّهْوِ أَشْجَارٌ وأنهَارُ
سَفْحٌ تَزَين في الدُّكَّان مجْتمَع ... فحلَّهُ كُلَّما حلَّتْهُ أمْطَارُ
مُسْتَشْرِفٌ فيه للأَبْصَارِ مُتَسعٌ ... يَرْوقُنا زَهْرٌ فيه وأنْوَارُ
وفيه للْقَلبِ والأَسْمَاعِ ما طَلَبَا ... من السُّرورِ إذا غرَّدْنَ أطْيَارُ
يُجِيبُ أَلْحَانَها منا إذا هزجَتْ ... وغَرَّدتْ طَرَبًا عُودٌ ومِزْمَارُ
تلك البِلادُ التي تَحْيَا النُّفُوسُ بها ... لا مَا تَلَهَّبَ في حَافَاتِهِ النَّارُ
أَرْضٌ تُنعِّمُ أَهْلِيهَا إذا نَعِمُوا ... بأَنْ تَكُنَّهم في الأَرْضِ آبَارُ

٣

[١] قارن: أبو حيان التوحيدي ، البصائرو الذخائر،ج٥، ص٢٠٨.

[مُجَاراة عَبْد القَاهِر والحُسَين بن أبي السَّرح
في مَدْحِ هَمَذَان والعِرَاق وذَمِّهما]

٣ وكان عَبْد القَاهِر بن حَمْزة الوَاسِطِيُّ والحُسَيْن بن أبي سَرْح[١] كَثِيرًا ما يَلْتَقِيان فيَتجَارَيانِ الآدَابَ ويتَذاكَرانِ العُلوم.

وكان عَبْد القَاهِر لا يَزال يَذُمُّ الجَبَلَ وهَواءَهُ وأهْلَهُ وشِتَاءهُ، لأنَّه رجُلٌ من أهْلِ ٦ العِرَاق، وكان ابنُ أبي سَرْحٍ مخَالِفًا له، كَثِيرُ الذَّمِّ للعْرِاق والطَّعْنِ علىٰ أهْله، فالْتَقيا يَوْمًا عند مُحَمَّدِ ابن اسْحاق بن الفَقِيه[٢] وكان يَوْمًا شَاتِيًا صَادِق البَرْدِ كَثِيرَ الثَّلْجِ. وكان البَرْدُ قد بَلغَ إلىٰ عَبْد القَاهِر، فلَمَّا دخَل وسَلَّم قال: لعَن اللهُ الجَبَلَ ولعَن ٩ سَاكِنيه، وخَصَّ اللهُ هَمَذَان من اللَّعْنِ[١٢٠ظ] بأوْفَرِهِ وأكثَرِه.

فما أكْدَرَ هَواءَهَا وأشَدَّ بَرْدَها وآذَاهَا وأكْثَر مَؤونَتها وأقَلَّ خَيْرَهَا. قد سَلَّط اللهُ عليها الزَّمْهَرير الذي يُعَذِّب به أهْلَ جَهنَّم مع ما يَحْتاجُ الإنْسَانُ فيها إليه من الدِّثَار ١٢ والمُؤَن المُجْحِفةِ.

[١] الواسطي وابن أبي السرح: من المصادر الشفهية التي اعتمد عليها ابن الفقيه في بناء مادة كتاب أخبار البلدان، حيث يصرح في أكثر من موضع بالأخذ عنهما، ويبدو أنهما من أصدقاء أبيه كما يتضح من سياق النص.

[٢] أبو عبد الله محمد بن إسحاق، والد المؤلف. وقد مر ذكره.

فوجُوهُكُم يا أهْلَ هَمَذَان مُتَشقِّقة وأنُفُكُم سَائِلةٌ وأطْرَافُكُم خَصِرة وثِيابُكم مُتَّسِخَة ورَوائِحُكُم قَذِرة ولِحَـاكُم دُخَانِيَّة[a] وسُبُلكُم مُنقَطِعةٌ والفَقْرُ علَيْكُم ظَاهِرٌ
٣ والمَستورُ في بَلدِكُم مَهْتُوك؛ لأنَّ شِتَاءَكُم يَهْدِم الحِيطَان ويُبْرِزُ الحُصَّان ويُفْسِدُ الطُّرقَ ويُشْعِثُ الآطَام[1].

فطُرُقُكم وحِلَةٌ تتَهافَتْ فيها الدَّوابُّ، وتَقْذُر فيها الثِّياب وتتَحطَّم الإِبِل
٦ وتنْخَسِف فيها الآبَار وتغِيضُ المِياه، وتَكِفُّ السُّطُوح وتَهيجُ الرِّياح العَواصِف، وتَكونُ فيه الزَّلازِلُ والخُسُوفُ والرُّعُودُ والبُروقُ والثُّلُوجُ والدَّمَقُ[b] فتَنْقطِعُ عند ذلك السُّبل ويَكْثُر المَوْت وتَضِيقُ المعَايِش.

٩ فالنَّاسُ في جبَلِكُم هذا سَائِرَ أيَّامِ الشِّتاء يتَوقَّعُونَ العَذَاب ويخَافُون السَّخطَة والعِقَاب، ثمَّ يُسمُّونهُ العَدوَّ المُحَاصِر والكَلْب الكَلِب. ولذلك [كَتبَ] عُمَرُ بن الخَطَّاب ﷺ إلى بَعْضِ عُمَّاله: أنَّه قد أظَلَّكُم الشِّتَاءُ وهو العَدوُّ المُحَاصِر فاسْتَعِدوا له
١٢ الفِرَاء واسْتنعِلوا الحِذَاء.

---

[a] رسمت في الأصل: دخانيكم. والتصويب من ياقوت.

[b] رسمت في الأصل: التيق، والتصويب من ياقوت.

---

[1] الآطام: الحصون والبيوت المرتفعة المبنية من الطين. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٤، ص٣٢؛ المعجم الوسيط،ج١، ص٢١.

وقد قال الشَّاعر[١]: [الوافر]

إذا جَاءَ الشِّتاءُ فأَدْفِئُوني فإنَّ الشَّيخَ يهدِمُهُ الشِّتَاءُ

فالشِّتاءُ يَهْدِمُ الحِيطَانَ فكيف الأَبْدَان لاسيِّما شِتَاؤكُم الملعُون؟!.

٣ ثمَّ فِيكُم أَخْلَاقُ الفُرْسِ وجِفَاءُ العُلُوج وبُخْلُ أَهْلِ أَصْبَهان ووقَاحَةُ أَهْل الرَّيِّ وفَدَامةُ[٢] أَهْلِ نهَاوند وغِلَظُ طَبْعِ أَهْلِ همَذَان. علىٰ أنَّ بَلدَكُم هذا أَشدُّ البُلْدان بَرْدًا وأَكْثَرُها ثَلْجًا وأَضْيَقُها طُرقًا وأَوْعَرُها مَسْلَكًا وأَفْقَرُها أَهْلًا.

٦ وكان يقال: إنَّ أَبْرَد البُلْدَان ثَلاثة: بَرْذَعَة[٣] وقَالِيقَلا[٤] وخُوارِزْم. وهذا قَوْلُ من لم يَدْخُل بلَدكَم ولم يُشَاهِد شِتَاءكُم.

وقد حَدَّثَني أبو جَعْفَر مُحَمَّد بن إسْحَاق المُكَتِّب قال: لمَّا قَدِمَ عَبْد الله بن ٩ المُبَارك[٥] همَذَان أُوقِدَتْ بين يَدَيهِ نَارٌ فكان إذا سَخِنَ بَاطِنُ كَفِّه أَصَابَ ظَاهِرَهَا البَرْدُ، وإذا سَخِنَ ظَاهِرُهَا أَصَابَ بَاطِنَها [البَرْد].

[١] ينسب هذا البيت إلى: ربيع بن ضبع الفزاري أحد المعمرين. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٢١، ص٤٨.

[٢] الفدامة: من الفدم، والفدم من الناس، العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٤٥٠.

[٣] بلد في أقصى أذربيجان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٩-٣٨٠.

[٤] قاليقلا: ناحية بأرمينية العظمى. نفسه، ج٤، ص٢٩٩-٢٣٠.

[٥] مرت ترجمته ص٣٨٥.

فقال (شِعْر) [١٢١و]:

[الوافر]

أقُولُ لها ونحْنُ علىٰ صِلَاءٍ   أمَا للنَّارِ عِنْدكِ حَرُّ نَارِ
لِئن خُيِّرتُ في البُلْدَانِ يَوْمًا   فما هَمَذَانُ عِنْدِي بِالخِيَارِ

٣ ثمَّ الْتَفتَ إلىٰ ابن أبي سَرْحٍ وقال: يا أبَا عَبْد الله! وهذا والدُكَ يقول (شِعْر):

[الكامل]

النَّارُ في هَمَذَان يَبْرُدُ حَرُّهَا   والبَرْدُ في هَمَذَانَ دَاءٌ مُسْقِمُ
والفَقْرُ يُكْتمُ في بِلَادٍ غَيْرِهَا   والفَقْرُ في هَمَذَان مَالَا يُكْتَمُ
قَدْ قَال كِسرىٰ حِينَ أبْصَربلدَكُم   هَمَذَان فانْصَرِفُوا فتِلْكَ جَهنَّمُ

والدَّلِيلُ علىٰ هذا أنَّ الأكَاسِرةَ كانت لاتَدْخُل هَمَذَان؛ لأنَّ بِنَاءهُم مُتَّصِل من
٦ المدَائِن إلىٰ أَزْرَمِيدُخْت[١] من أَسَدَآباذ[٢] ولم يجُوزوا عقبة أسَدَآباذ.

وبلَغنا أنَّ كِسْرىٰ أبْرَوِيز همَّ بدخُول هَمَذَان، فلمَّا بلَغ مَوْضِعًا يقال له: دُزوخ
دره ومعْنَاه بالعَربيَّة: كَهْفُ جهنَّم. قال لبعْضِ وزَرَائِه: ما يُسَمَّىٰ هذا المكان؟ فعرَفه.
٩ فقال: انْصَرفُوا لا حَاجةً لنَا في دخُول مَدِينة فيها ذِكرُ جهَنَّم.

---

[١] أزرميدخت: بليدة قرب قرميسين. سميت باسم ملكة من أواخر ملوك الفرس. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٨.

[٢] أسَدَآباذ: مدينة قريبة من همذان، كما تقع بالقرب من العراق. نفسه، ج١، ص١٧٦.

وقال شَاعِركُم: وهو وهْب بن شَاذَان الهَمَذَاني[١] (شِعْر):

[المتقارب]

أما آنَ من هَمَذَانَ الرَّحِيلُ   من البَلْدَةِ الحَزْنَةِ الجَامِدة
فَما في البِلادِ ولا أَهْلِهَا   من الخَيْر من خِصْلَةٍ واحِدة
يَشِيبُ الشَّبابُ ولا يَهْرمُوا   بها من ضَبَابتها الرَّاكِدة
سَأَلْتُهم أين أَقْصَىٰ الشِّتَاء   ومُسْتَقبَلُ السَّنةِ الوَارِدة
فقالوا إلىٰ جَمْرةِ المُنْتَهىٰ   فقد سَقَطتْ جَمْرةٌ خَامِدة

٣ وقال أيضًا (شِعْر):

[المنسرح]

يَوْمٌ من الزَّمْهَرير مَقْرُورُ   عليه جُبُّ الضَّبَابِ مَزْرُورُ
كأنَّما حَشْوُ جَوِّه إبَرٌ   وأرْضُه وَجْهُها قَوَارِيرُ
وشَمْسُهُ حَرَّةٌ مُخَدَّرةٌ   تَسلَّبَتْ حين حُمَّ مَقْدُورُ
تُخَالُ بالْوَجهِ من ضَبَابتِهَا   إذا أخَذتْ جِلْدَةٌ زنَانيرُ
يرىٰ البَصِيرُ الحَديد نَظْرتهُ   منها لأجْفَانِهِ سَمَادِيرُ

وسَأَلَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ ﷺ رجلًا فقال: من أين أنت؟ فقال: من هَمَذَان. قال
٦ أمَا أنَّها مَدِينَة همٍّ وأذىٰ تَجْمَدُ قُلوبُ أهْلهَا كما يجْمَد مَاؤهَا.

[١] مر ذكره ص٥٧٠.

وقال شاعركم أيضًا أحْمَد بن بَشَّار[١] يَذُمُّ بَلدكُم ويَذْكُر شِدَّة بَردِه وغِلَظَ طَبْعِ أهْلِهِ وما يَحْتَاجُون إليه من المؤَنِ المُجْحِفةِ الغَلِيظَة (شِعْر)[١٢١ظ]:

٣

[الطويل]

أتتْكَ إمَارَاتُ الشِّتَا ودَلَائِلُه ووَافَاكَ من بَرْدِ الخَرِيفِ
فأصْبَحْتُ محْزُونًا ودَمْعِي جُمانٌ علىٰ الخَدَّينِ يَنْثُر هَامِلُهْ
أمَامِي صَيْفٌ رَعَانِي بها وتِيهٌ رحِيبٌ جَوْزُهُ ومجَاهِلُهْ
إذا الثَّلْجُ رَدَّاهُ رِدَاءً كأنَّه مَلاءٌ عليه قد تَنوَّق غَاسِلُهْ
وهَبَّتْ له رِيحُ الصَّبَا ثمَّ جَنُوبًا وهَبَّتْ بعد ذَاك
وجَدْتُ فُؤادِي طَائِرًا من وقَلْبِي كَئِيبًا ما تكُفُّ بَلابِلُهْ

وقال آخر:

[المتقارب]

أتَانَا الزَّمَانُ بِبَردِ الشِّتَاءِ وسَال به سَيْلُه مُكْفَهِرَّا
وهَبَّتْ سُيولُ شَمالِ الرِّيَاحِ فكَزَّا الفَقِيرُ لها واقْشَعرَّا
يُقَرِّبُ من رَأسِهِ منْكبيهِ ويَغْدُو إلىٰ نَارِهِ مُشْمِرًا
وأَحْجَرتِ الكَلبَ هَوْجُ الرِّيَاحِ وصَرَّ بأذُنَيْهِ للبَرْدِ صَرَّا
وفَارقَتِ الوحْشُ أوْطَانَها إلىٰ كُلِّ غَوْرٍ يَقِيهنَّ شَرَّا
وكَرَّ الولَاة علىٰ من يكونُ فلمْ يَجِد المَرْءُ منهُم مَفرَّا
وشَحَّ البَخِيلُ علىٰ مَالِهِ وزَوَّىٰ له حَاجِبيهِ وهَرَّا

---

[١] أحمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة، أبو العباس الأنباري. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٨٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢١٥.

(*وقِيل لَأعْرابيٍّ دخَل هَمذَان ثمَّ انْصَرف إلى البَادِية: كيف رَأيتَ همَذَان؟ فقال: أما نَهارهَا فرُقَّاص وأما ليْلُهم فحُمَّال.

٣ يعني أنَّهم بالنَّهَار يَرْقُصونَ لِتَدفأ أرْجُلهُم، وباللَّيلِ حمَّالون لكَثْرةِ دِثَارهم. ووقَع أعرابيٌّ إلى همَذَان في الرَّبيعِ فاسْتَطابَ الزَّمَان وأنسَ بالأَشْجَار والأنْهَار، فلما جاء الشِّتاءُ، ورَدَ عليه ما لم يَعْهَده من البَردِ والأذَىٰ فقال:

٦ [الرجز]

بهَمذَانَ شَقِيتْ أمُورِي عند انْقِضَاءِ الصَّيفِ
جَاءتْ بِشَرٍّ شَرَ من عَقُور ورَمتْ الآفَاقَ بالهَرِيرِ
والثَّلْجُ مَقْرونٌ بزَمْهَرير لَوْلَا شِعَارُ العَاقرِ النَّزُورِ
أمُّ الكَبيرِ وأبُو الصَّغِير لمْ يَدْفَ إنْسَانٌ من التَخْصِيرِ

ولقد سَمِعتُ شَيْخًا من عُلمَائكُم وذَوي المَعْرفةِ منكم أنَّه يقول: يَرْبح أهْلُ هَمذَان إذا كان يَوْمٌ في الشِّتَاءِ صَافِيًا له شَمْسٌ حَارَّةٌ، مِائةَ ألْفِ دِرْهمٍ، لأنَّهم

٩ لا يَحْتَاجُون فيه إلى الوَقُود.

وقِيمتهُ في همَذَان ورَسَاتِيقها في كلِّ يَوْم مِائة ألْفِ دِرْهم. وقيل لابْنَة الخسِّ[١]: أيُّما أشَدُّ الشِّتاء أم الصَّيف؟ فقالت: من يَجْعل الأذَىٰ كالزَّمَانة[٢].

١٢

(* وقع هنا سقط بمقدار لوحتين تقريبًا.

[١] أبنة الخس: هند بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادي، امرأة فصيحة جاهلية، كانت ترد سوق عكاظ ولها أخبار فيه، ولقبت حكيمة العرب. انظر أخبارها لدى: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٥٥؛ ابن طيفور: بلاغات النساء، ص٥٨/٦٩.

[٢] الزمانة: العاهة والآفة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص١٩٩.

وقيل لأعْرَابيٍّ: ما غَايةُ البَرْدِ عِنْدكم؟ فقال: إذا كانت السَّماءُ نَقِيَّة والأرْضُ نَدِيــَّة والرِّيحُ شَاميــَّة فلا تَسْأل عن أهْلِ البَرِيَّة.

٣ وقد جَاء في الخَــبَر أنَّ همَذَان تــَخْرُب لِقلَّة الحَطَبِ. ودخَل أعْرَابيٌّ همَذَان فلمَّا رأىٰ هَواءَهَا وسَمِعَ كَلام أهْلهَا ذكَر بِلَاده وقال: [الوافر]

كَيْفَ أُجِيبُ دَاعِيكُم ودُوني جِبَالُ الثَّلْجِ مُشْرِفَةُ الرِّعَانِ
بِلَادٌ شَكْلُها من غَيْرِ شَكْلي وألْسُنُها مُخَالِفَةٌ لِسَانِي
وأسْـمَاءُ النِّسَـاء بهـا زَنَـانٌ وأقْرَبْ بالزَّنَان من الزَّوانِي

ودخَل بعْضُ الأعْرَابِ الجَبل في الشِّتاءِ فجَعلَ أنْفهُ يَرْعَم. فَرفعَ يَدهُ ووجَأه

٦ فقال: لا والذي جلَّ وعَلَا، ما رَأيْتُ عِضْوًا أنْتن منك. إذا جَمدَ كلُّ شَيءٍ فأنْت تَذُوب، وإذا ذَاب كلُّ شَيءٍ فأنْت تَجْمُد. أبَيْت إلَّا خِلافـًا وقال شَاعِرُكم وهو أحْمَدُ بن بَشْارٍ: [البسيط]

قد آنَ من همَذَان السَّيرُ فانْطَلِق وارْحَل علىٰ شَعْث شَمْلٍ غير مُتَّفِقِ
بِئْسَ اعْتيَاضُ الفَتىٰ أرْضَ الجَبالَ له من العِرَاقِ وبَابُ الرِّزْقِ لم يَضِقِ
أمَّا المُلوكُ فقد أوْدتْ سُراتُـهُمُ والغَابِرون بها في شِيمَة السُّوَقِ
ولَا مُقَامَ علىٰ عَيْشٍ تُرنِّقُهُ أيْدِي الخُطُوب وشَرُّ العَيْشِ ذُو الرَّنَقِ
قد كُنتُ أذْكُر شَيْئًا من محَاسِنها أيَّامَ لي فَنَنٌ كَاسٍ من الوَرِقِ
فَاليَوْم لا بُدَّ من نَعْتِي مَسَاوِئهَا كما يَغصُّ بها الثَاوي علىٰ شَرَقِ
لا خَيْرَ فيها ولَا في أنْ تُقِيمَ بها ولَوْ تقَلَّبْتَ بين التِّبْرِ والوَرِقِ
أرْضٌ يُعَذِّبُ أهْلُوهَا ثَمانِيةٌ من الشُّهورِ كما عُذِّبتُ بالرَّهَقِ
ثُلْثي حَياتكَ ما تَهْنَىٰ بِنَافِعةٍ إلَّا كما انْتَفعَ المَجْرُوضُ بالرَّمقِ

فإنْ رَضيتَ بثُلْثِ العَيْشِ فارْضَ به … علىٰ شَرَائِطَ من يَقْنَع بها يُبَقِ
إذا ذَوَىٰ البَقْلُ هَاجتْ في بِلَادهم … من جِربيَائِهم نَشَّافةُ العَرَقِ
تُبَشِّر النَّاسَ بِالْبَلوَىٰ وتُنْذِرهُم … مَا لَا يُداوىٰ بلِبْسِ الدِّرْع والدَّرَقِ
تَلفُّهم في عَجَاج لا تَقُومُ لها … قَوائِمُ الفِيل قبل المَأقِطِ الشَّبِقِ
لا يَمْلُك المَرءُ فيها كَوْرَ عِمَّتِهِ … حتىٰ تُطيِّرَهَا من فَرطِ مُخْتَرِقِ
فإنْ تكَلَّم لَاقتْهُ بِمَسْكَنةٍ … مِلءَ الخَيَاشِيم والأفْوَاهِ والحَدَقِ
فعِنْدها ذَهبَتْ أَلْوَانُهم جزعًا … واسْتَقْبلوا الجَمعَ واسْتَولُوا علىٰ العَلَقِ
حتىٰ تفَاجِئَهم شَهْباءُ مُعْضَلةٌ … تَسْتَوعِبُ النَّاسَ في سِرْبَالهَا اليَقَقِ
خَطْبٌ بها غير هَينٍ من خُطُوبهم … كالخَنْق ما منه من مَلْجَا لمُخْتَنِقِ
أمّا الغَنِيُّ فمَحْصُورٌ يكَابِدهَا … طُولَ الشِّتَاءِ مع اليَرْبُوع في نفَقِ
يقُول أَطْبِقْ وأَسْبِلْ يا غُلَام … وأرْخِ السِّتْرَ واعْجِل بردِّ البَاب واندفِقِ
وأَوْقِدُوا بتَنَانِيرٍ تُذكِّرهم … نَارَ الجَحِيم بها من يَصْلِ يَحْتَرِقِ
والمُحْلِقُون بها سُبْحَان ربِّهم … ماذا يقَاسُون طُولَ اللَّيلِ من أرَقِ
تَنْسَدُّ أَبْوَابُهم بالثَّلج فهو لهم … دُونَ الرِّتَاج رِتَاجٌ غير مُنْطَبِقِ
والأرْضُ تُصبِحُ والدُّنيَا لها طَبَقٌ … تَحارُ فيه عُيونُ النَّاسِ في الطُّرُقِ
حتىٰ إذا اسْتَحْكَمت بَرْدًا غَدا طَبَقٌ … من الضَّبَابِ فقد أوْفَىٰ علىٰ طَبقِ
يَنْهَلُّ منها عليهم دَائِبًا ديَما … بالزَّمْهَرير عَذَابًا صَبَّ من أُفُقِ
صِبْغُ الثِّيَابِ إذا حلَّ الشِّتاءُ بها … صِبْغُ المَآتَم للحُسَّانةِ الفُنُقِ
والذِّئبُ لَيس إذا أمْسَىٰ بمُحتَشِم … من أنْ يُخَالِط أهل الدَّارِ في النَّسَقِ
فوَيْلُ من كان في حِيطَانِهِ قِصَرٌ … ولمْ يَخُصَّ رِتَاجَ البَابِ بِالغَلَقِ
يَدْعُو الثُّبورَ علىٰ صِبْيانِهِ فَرقًا … بعد العِشَاءِ ويَدْعُوهُ من الفَرَقِ
وصَاحِب النُّسكِ ما تَهْدا فَرَائِصهُ … والمُسْتَغِيثُ بشُرْبِ الخَمْر في غَرَقِ

أمَّا الصَّلاةُ فودِّعْهَا سِوَىٰ طَلَلِ أقْوَىٰ وأقْفر من سُلْمَىٰ بِذِي العَمَقِ
تُمْسِي وتُصْبحُ والشَّيْطَانُ في قَرنٍ مُسْتَمْسِكًا من حِبَالِ الكُفْرِ بِالرَّبَقِ
والمَاءُ كَالمِلْح والأنْهَارُ جَامِدةٌ والأرْضُ أضْرَاسُها تَلْقَاكَ بالدَّبَقِ
حتىٰ كَأنَّ قُرُونَ العُفْرِ نَاتِئةٌ تَحْتَ المَوَاطِئِ والأقْدَام في الطُّرقِ
والنَّاسُ بِيْضُ اللِّحىٰ تَهْمي أنُوفُهمُ فَوْق الشَّوارِب كالمَصْدُوم ذي البَلَقِ
تِسْعِينَ يَوْمًا وعَشْرًا أكْلَمتْ مِائةً يَدْعُونَ لَيْلَة تمَّت لَيْلَةَ السَّدَقِ
كأنَّهم عَسْكَرٌ هَاجَ الحَرِيقُ بهم فهم يَمُوجُونَ والضُّوضَاءُ في فَرَقِ
كأنَّهم حين أفْضُوا في ثِيَابِهِم خَلفَ الغَرابِيلِ أوْهَاهَا من الخَرَقِ
فما ترَىٰ بعْدَها يَلْقَوْنَ من عَذَبٍ من الوحُولِ التي طمَّتْ علىٰ اللَّثَقِ
والمَشْي شَهْرَين بالمِيزَانِ قد زَهَقتْ نفُوسُهم فَرَقًا من خَشْيَة الزَّلَقِ
فكلُّ غَادٍ بها أو رَائِحٌ عَجِلٌ يَمْشِي علىٰ أهْلِهَا غَضْبَانَ ذا حَنَقِ
قَومٌ غِذَاؤهُم الألْبَانُ مُذْ خُلِقُوا فَمَا لهم غَيْرهَا من مَطْعَمٍ أنِقِ
لا يعَبْقُ الطِّيبُ في أصْدَاغِ نُسْوَتِهم ولا جُلُودهمُ تَبْتلُّ من عَرَقِ
فهم غِلَاظٌ جُفَاةٌ في طِبَاعهم إلَّا تَعِلَّةَ مَنْسُوبٍ إلىٰ الحُمُقِ
أفْنيَتُ عُمْري بها حَوْلَيْنِ من قَدرٍ لم أقْوَ منها علىٰ دَفْعٍ ولمْ أطِقْ(*)[١]

(*) إلى هنا ينتهي السقط الذي وقع من الناسخ في نسخة الأصل. وقد وجدنا جزءًا منه في الصفحات الأولى من الكتاب ضمن مادة الكوفة، وبتتبع النقول التي ورَدَت في المختصر، ومعجم البلدان، أكملت المادة الخاصة بهمذان على نفس النسق الذي نقله ياقوت بأكمله من ابن الفقيه.

[١] قارن: مختصر كتاب البلدان، ص٢٣٠-٢٣٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: همذان]، ج٥، ص٤١١_٤١٥.

فلمَّا بَلغَ عَبْد القَاهِر [إلى] هذا المكَان الْتَفتَ إليه ابْنُ أبي سَرْحٍ فقال: قد أكْثَرتَ المَقَال وأسْرَفتَ في الذَّمِ وأطَلْتَ الثَّلبَ وطَوَّلْت الخُطْبَة، وولَوْلا ما أجَزْتَ إليه من سُوءِ المَقَالِ وكَثْرةِ الهَذَيان لكُنَّا عن مجاوَبتَك بمَعْزلٍ وعن محَاوَرتَك في شُغْلٍ فمَهْما كان فِينَا ـ أبا عَلِيٍّ أعْزَكَ الله ـ وفي هَوائِنا وأرْضِنَا وبَلْدِنا وصُعْقِنَا. فلَيْس فِينَا جَفاءُ النَّبطِ وعَجْرَفيَّـة أهْل[١٢٢و] السَّوادِ وأخْلَاقُ الخُوَز وغَدْرُ أهْلِ الكُوفَةِ ودِقَّةُ نَظَر أهْلِ البَصْرَةِ وبُخْلُ أهْلِ الأهْوَاز وسُوءُ معَاشَرة أهْل بَغْدَاذ وشِدَّةُ حِيَلهِم وجَفَاءُ أهْل الجَزِيرةِ وغَباوَةُ أهْلِ الشَّام.

وأهْلُ الجَبَل فقد سَلِمُوا من شِدَّةِ حَـرِّ البَصْـرَةِ، ومن كَثْرةِ ذُبَاب بَغْدَاذ، ومن بَقّ البَطَائِح وبَراغِيث الكُوفَة، وتَغيُّر هَواءَ مِصْر، ومن جرَّارَات الأهْوَازِ وسمائِمها ومن عقَارِب نَصِيبِين، وثعَابِين مِصْر ومن أفَاعِي سَجِسْتَان.

وهل الخِصْبُ والخَيْر والنِّعمَةُ والدِّعةُ والأكْلُ والشُّربُ إلَّا في الشِّتاءِ الذي فيه تَغِيبُ الهَوام وتَنْحَجِز الحشَرات ويمُوتُ الذُّبَابُ ويَهْلَكُ البَعُوضُ ويَبْردُ المَاء ويَصْفُو الجَـوُّ ويَطِيبُ فيه العِنَاقُ ويَظْهَر فيه الفُرُشُ والبِزَّةُ والنِّعْمةِ الملُوكِيَّة والسَّرو[١] والخُـرَّهيَّة[٢].

[١] السَّرو: الجمال والنعمة، والسرو أيضًا: شجر ينبت بالجبال . انظر: ابن سيده: المخصص، ج١، ص٢٣٤؛ وقارن: ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٣٧٧.

[٢] الخرهية: لفظة فارسية تعني: الطلاوة والكرم. انظر: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج٢، ص٩٢٦.

وإذا مَـيَّزتَ الأقَالِيم صُعْقًا صُعْقًا وبَلدًا بَلدًا و كُورَة كُورَة وطَسُّوجًا طَسُّوجًا، عَلِمتَ أنَّه لَا يَخْلُو بَلدٌ من البُلْدَان ولَا إقْلِيمٌ من الأقَالِيمِ في شَرقِ الأرْضِ وغَرْبِهَا وبَرِّهَا وبَحْرِهَا وسَهْلِهَا وجبلها من حرٍّ وبرْدٍ أرْبَعة أشْهُرٍ. ٣

ولذلك قال أبو دُلَف[١] (شِعْر): [المتقارب]

إنِّي امْرؤٌ كِسْرَويٌّ الفِعَالِ أَصِيفُ الجِبَالَ وأشْتُو العِرَاقَا
وألْبَسُ للْحَربِ أثْوَابَهَا وأعْتَنِقُ الدَّارِعِينَ اعْتِنَاقَا

فاخْتَار بِفَضلِ رَأْيِهِ وجَوْدَة تَميِيزِه أنْ يَصِيفَ الجِبالَ لِيَسْلَم من سَمائِم العَرَاق وذُبَابِهِ وهَوامِّه وحَشرَاتِهِ وسُخونَةِ مَائِهِ وهَوائِهِ، واخْتَار أنْ يَشْتُو العَرَاق لِيَسْلمَ من زَمْهَرير الجِبالِ وكَثْرةِ أنْدَائِهَا ووحُولهَا وثُلُوجِها. ٦

وقد قال أيضًا في غَيرِ هذا المعْنَىٰ بل في ضِدِّه لسَببٍ دعَاهُ إلى ذلك (شِعْر):
[المتقارب] ٩

ألَمْ تَرَ حِينَ حَالَ الزَّمَانُ أَصِيفُ العِرَاقَ واشْتُو الجِبَالَا
سُمُومُ المصيف وبَرْدُ الشِّتَاءِ حَنَانَيْكَ حَالًا أزَالَتْكَ حَالَا
فَصَبْرًا علىٰ حَدَثَ النَّائِبَاتِ فإنَّ الخُطُوبَ تَذِلُّ الرِّجَالَا

---

[١] القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، أبو دلف العجلي، أمير الكرج. كان شجاعًا سخيًا فصيحًا شاعرًا وله شعر كثير، ولاه الخليفة المعتصم إمارة دمشق، توفي ببغداد سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٠٧-٤٠١٦.

والسَّببُ الذي من أجْلهِ قال هذه الأَبْيَات: أنَّه لما قال الأَبْيَاتَ القَافِيَّة التي كَتبْنَاهَا قَبْلَهَا اتَصلَتْ بعَبْدِ الله بن طَاهِرٍ - وكان سَيِّئُ الرَّأي في أبي دُلَفٍ- فقال (شِعْر): [١٢٢ظ]

[المتقارب]

ألَمْ تَرَ أنَّا جَلَبْنَا العَنَاقَ إلىٰ أرْضِ بَابِلَ قَبًّا عِتَاقَا

فَمَا زِلْن يَعْسِفنَ بالدَّراعِينَ طَوْرًا حَزونًا وطَوْرًا رِفَاقَا

إلىٰ أنْ دُوينَ بأدْوَائِهَا قُلُوبَ رِجَالٍ أرادُوا النِفَاقَا

وأنْتَ أبَا دُلفٍ نَاعِمٌ تَصِيفُ الجِبَالَ وتَشْتُو العِرَاقَا

فلمَّا وقَف أبُو دُلَف علىٰ هذه الأَبْيَات آلَىٰ علىٰ نَفْسِه أنْ لَا يَصِيفَ إلَّا ببَغْدَاد ولا يَشْتُو إلَّا بالجَبَلِ[١].

فإذا صَحَّ لنا ما قُلْنَا وتبيَّـنَ ما حَكيْنَا ثمَّ مَـيَّزتَ وتفـكَّرتَ ونظَرتَ وأنْصَفتَ، عَلِمتَ أنَّ البَردَ أصْلَحُ من الحَـرِّ، لأنَّك إذا أضَفْتَ البَردَ وهو الجِبَالُ إلىٰ ما يُقَاسِيهِ أهْلُ عُمَان وأهْلُ البَصْرَةِ وسِيْراف وبَغْدَاد من أذَىٰ السَّمَائِم القَاتِلة وإلىٰ مَا يَتبَعُ السَّمَائِم من الهَواءِ الكَدِرِ الغَلِيظ، والمَاءِ السَّخِنِ الزِّعَاق، وكَثْرةِ الذُّبَابِ والجِعْلَانِ[٢] والخَنَافِسِ والحَيَّاتِ والعَقَارِبِ والجَرَّارَاتِ والنَّمْلِ والبَعُوضِ، والبَقِّ والجِرْجِس وغيرِ ذلك ممَّا يَطُول ذِكْره[٣]، عَلِمتَ أنَّ العَيْش عَيْشُنا والنِّعْمة نِعْمَتنَا.

[١] الخبر والأبيات لدى ياقوت الحموي: انظر:[مادة: الجبال] ج٢، ص٩٩.

[٢] الجعلان: دويبة تشبه الخنفساء. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١١٢.

[٣] الجرجس: لفظة عامية يقصد بها القرقس: وهو حشرة تشبه البق. نفسه، ج٦، ص١٧٣.

ومُلُوكُ الجَبَل لا يعُدُّونَ العَيْشَ عَيْشًا والنِّعْمَةَ نِعْمةً إلَّا في أيَّام الشِّتاءِ؛ لأنَّهم يَفرشُونَ من الفِرَاش أسْرَاه ويَلْبَسُون من الثِّيابِ أحْسَنَهَا وأدْفَأَهَا.

٣ يَلْبسُونَ الثَّعَالِب البِيْض والسُّودَ والحُمَر والفَنَك[١] والسَّمُور[٢]، والْقَاقُم[٣]، والحَوَاصِل[٤] والوَشَق[٥] والدَّلْق[٦]، والفِرَاءَ اليَمانيـَّة.

ويَفْرشُون الخَزَّ الرَّقْم[٧] والأَرْمَني المحْفُور والـمَيْسَاني والقُطُوع والمِرْعِزَّي

٦ والسُّوسِنْجَرْد[٨]. ولهم المَضَاربُ والأَبْنِيَةُ والسِّتَارات والسُّرادِقات.

---

[١] الفنك: نوع صغير من الثعالب في حجم القطط فروته أجود أنوع الفراء. انظر: المعجم الوسيط: ج٢، ص٧٠٣.

[٢] السمور: حيوان ثديي ليلي يقطن شمالي آسيا، يتخذ من جلده فرو ثمين. نفسه، ج١، ص٤٤٨.

[٣] القاقم: دويبة تشبه السنجاب، يشبه جلده جلد الفنك، لكنه أعز قيمة من السنجاب. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٣٢٤.

[٤] الحواصل: المراد بها جلود صدور النسور وبطونها بما عليه من الريش الزغبي يتخذ منها فراء خفاف طيبة الريح مدفئة. انظر: رينهات دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٩م. ج٢، ص٢٢١.

[٥] الوشق: حيوان يشه القط، يتخذ فراءه للتدفئة. انظر: المعجم الوسيط: ج٢، ص١٠٣٤.

[٦] الدلق: لفظة فارسية معربة تطلق على فراؤه حيوان يشبه السمور، يقال إنه النمس. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص١٤٧.

[٧] الخز الرَّقِم: الحرير المطرز. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٢٤٨–٢٥٠.

[٨] جميعها فرش من الحرير الموشى بخيوط الذهب والفضة. انظر: الجاحظ: التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م. ص٢١.

والقِبَابُ التُّرْكِيَّة [a) [وأثْوَاب عَدَن وثِيَاب نَيْسَابُور ومَرْو وأصْبَهان والنِّعْمَة] [a) عِنْدنا في الشِّتاء أظْهَر، والخَيْرُ أكثر.

٣ ولَوْلَا الشِّتاءُ وثَلْجه وبرْدُه وريحه ومَطَره لما نَبتَ لنا في الصَّيفِ زَرْعٌ ولا دَرَّ [لنا] ضَرْعٌ ولا اخْضَّر [لنا] شَجَرٌ ولا اجْتني [لنا] ثَمرٌ. ولذلك قال الشَّاعِر :

[البسيط]

لَوْلَا الشِّتَاءُ ولَوْلَا قُبْحُ مَنْظَرِه لَمَا بَدا من رَبِيعٍ مَنْظَرٌ حَسَنُ

٦ وفي الشِّتَاءِ يسْتَلِذُّ المُلوك شُرْب المُدَامِ لطُولِ اللَّيْلِ وقِلَّةِ الهَوامِّ. والشَّرابُ صَدِيقُ النَّفْسِ وحَياة الأَبْدَان والسَّببُ إلى الزِّيادَةِ في الأعْمَار وصِحَّةِ الأجْسَام، ومُصَفاةُ الألْوَانِ، ومَهْضَمةُ الطَّعَامِ، وبَاعِثُ الحَرارَة الغَرِيزِيَّة، ومُرطِّبُ الأعْضَاءُ اليَابِسةِ،

٩ وطَارِدُ الهمِّ والفِكْرِ، والزَّائِدُ في ارْتِفَاعِ الهِمَّة.

وله اتُّخِذَت القُصُور[١٢٣و] المُشَيَّدةُ والمجَالِس المُنجَّدَةُ والنَمارِقُ المُمَهَّدة. هذا في الشِّتاء فإذا جَاء الرَّبِيعُ فلَنا الأفْياءُ الحَسنَة والرِّيَاضُ الخَضِرة والجِنَانُ المُتَّصِلة والمِياهُ

١٢ والـمُطَّرِدة والأَرْوَاحُ الطَّيِّبة والمَواضِع النَّزِهة.

ثمَّ لنَا من الأَنْوارِ والزَّهْر في الرِّيَاضِ والغُدْرَان ما لا يكون في بِلَادِكُم ولا يُعْرفُ عِنْدكم حتى لقد جَهِد مُلوكُكُم وكـتَّابكم وذُوو النِّعْمةِ منكم أنْ يغْرِسُوه في

١٥ بَسَاتِينهَم وجِنَانِهُم فلمْ يَسْتَوِ ذاك لهم ولا أفْلَح عندهم[١].

(a -a) تتمة من المختصر .

[١] راجع الخبر لدى المختصر: ص٢٣٥.

من ذلك الزَّعْفَران والدردار[a][١] والجِارْيَال[٢][b] والكَسْنَج[٣][c] والسخالة والكركنيس، وغير ذلك من الأنْوَار الجَلِيَّلة التي لا تكُون إلَّا في بِلَادنا.

ومما هو لنَا من دُونكُم ويَنْبُت في بِلَادِنا لا بِلادِكُم الرِّيبَاس، وهو من أَنْفَعُ ما يُؤكَل ويقال إنه يقوم مقام السَّكَنْجَبِينُ.

ولنَا أَنْوَاعٌ من الفَواكِه لَيْسَت لكم، وإذا حُمِلَ إليكم شَيءٌ منها تَفْتَخِرونَ به وتتَهَادُونه منها: الكُمَّثْرىٰ النَّهاوَنْدِي والصِّيْنِي والتُّفَّاح الشِّيري.

ولنَا أيضًا أَشْيَاء نَتَّخِذُهَا من الأَلْبَانِ ليْسَت لكم بل هي مُسْتَطرفُ عندكم.



[a] رسمت في الأصل: الزردلال.

[b] في الأصل: الجاولال.

[c] في الأصل: كسبج.

[١] الدردار: شجر له زهر أصفر يعرف بلسان العصافير يستخدم للتداوي. انظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٤، ص٣٢٣.

[٢] الجريال: نوع من الأصباغ، واسم من أسماء نبات شقائق النعمان. انظر:أدي شير:الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م. ص٤٠.

[٣] الكسنج: جنس من الكمأة ينبت في الرمال.نفسه ص١٣٥؛ دوزي، المصدر السابق، ج٩، ص٨٩.

منها اللُّورُ[١] والشِّيرَازُ[٢] وأنْوَاع الشَّوَارِير[٣] و الكَشْكُ[٤] المَعْمُول باللَّبَن. وإذا دخَل الكَاتِبُ أو العَامِلُ هَمَذَان ثمَّ انْصَرفَ عنها إلى بَلْدةٍ وسُئِل عمَّا فيها قال:

٣ إذا كَان خُبْزك من حِنْطَة أَزْنَاوه [a] [٥] مع جُبْن المِهْرَوَان ولَحْم الشَّرَّاهِين فلا تَسْأل عن شَيءٍ آخَر.

ولقد دخَل بها المُعْتَضِد فوصِفَ له ما يُتَّخذُ بها من الألْبَانِ فأكَلَ منه واسْتَطَابه، ٦ فلمَّا انْصَرفَ إلى العِرَاق أمَرَ أنْ يُحْملَ إليه. فكان يُوجَّهُ به مع الفُرَانقِيِّين[٦] وأصْحَاب البُرد.

---

[a] رسمت في الأصل: أزنارد، والتصويب من ياقوت.

---

[١] اللور: خليط من اللبن والسمن متوسط الصلابة يشبه الجبن، وأهل الشام يسمونه قريشة. انظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص٢٢٥.

[٢] الشيراز: صنف من الجبن يتخذ من السمن والزبد وماء الجبن يغلي فيسخن جدًّا يصير فيه حموضة. نفسه.ج٩، ص٢٨٦.

[٣] الشوارير: أنواع من العسل. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ش و ر] ج١٢، ص٢٥٢.

[٤] الكشك: لفظة فارسية معربة، وهو طعام يصنع من دقيق الحنطة أو الشعير مع اللبن ثم يجفف ويطبخ متى احتيج إليه. نفسه. ج٢٧، ص ٣١٣.

[٥] حنطة أزناوه: نسبة إلى قلعة الأجم وهي قلعة من نواحي همذان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٦٩.

[٦] فرونق: كلمة محرفة من برونك الفارسية. ومعناها: مفتشو البريد المعنييون بملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات. انظر: نظير حسان سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة، ١٩٥٣م، ص١٩-٢٠.

ولما مَيَّز قُبَاذ[١] إقْلِيم بَلده وجدَ أنْزَه بِقَاعه ثَلاثَة عَشْر مَوْضِعًا: المدَائِن والسُّوس وجُنْدَيسَابُور وتُسْتُر وسَابُور وأصْبَهان والرَّيّ وبَلْخ و سَمَرْقَنْد وبَاوَرْد ومَاسَبَنذَان ٣ ومِهْرجَانْقذف وتلّ مَاسِير وبَطْنًا بنهَاونْد- تُسمَّى رُوذَرَاور.

وهي ثَلاثَة فَرَاسِخ فيها ثَلاثَةٌ وتِسْعُونَ قَرْيَة مُتَّصِلة مع جِنَانٍ مُلْتَفَّةٍ وأَنْهُرٍ مُطَّردةٍ. نبَاتُها الزَّعْفَران وأشْجَارهَا جَمِيع الفَواكِه[a].

٦ وقال بَعْضُ الدِّمَشْقِيِّين ممن قد جَالَ الآفَاق ودَارَ البُلْدَان: دَخلْتُ غُوطَة دِمَشْق وأبُلَّة البَصْرَة واسْكَنْدَرِيَّة مِصر وصَنْعَاء اليَمَن ورأيْتُ خَورْنَق الكُوفَة وتُرْبَتهُ المُسَمَّاة خَدُّ العَذْرَاء[٢] وحَافَّتي دِجْلَة والفُرَات وبَغْدَاد وبَابَ الطَّاق وبَاب [١٢٣ظ] الكَرْخ مع ٩ سَائِر الأسْوَاق.

وشَاهَدْتُ شَبْذِير وقَرْمِيسِين وزَرَنْرُوذ[٣] أصْبَهَان وجُنْدَيسَابُور والأَهْوَاز، ودَخلْتُ سَابُور فَارِس، ونَظَرتُ إلى شِعبِ بَوَّان ومَاجَان مَرْو، وسَرْبان الرَّيِّ، ١٢ وشَاهدْتُ سَمَرْقَنْد والسُّغْد وبَلْخ فما رَأيْتُ بَلدًا أطْيَبُ هَواءً ولا أعْذَبُ ماءًا ولا أكْثَرُ خَيْرًا من إقْبَالِ هَمَذَان.

[a] في المختصر بزيادة: «... نباتها الزعفران وأشجارها جميع الفواكه العنب والرمان والجوز واللوز والتفاح والكمثرى وغير ذلك... ».

[١] مرَّ هذا الخبر في ذكر مدينة قرميسين، نقلًا عن أبي المنذر هشام بن السائب الكلبي. قارن: فيما تقدم ص٢٣٢.

[٢] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: خدوراء] ج٢، ص٣٤٨؛ و[مادة: الكوفة] ج٤، ص٤٩٠.

[٣] زرنروذ: اسم لنهر بأصبهان موصوف بعذوبة الماء. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص١٣٩.

فلمَّا بَلغَ ابنُ أبي سَرحٍ هذا المكان قال له صَاحِبُ المنْزِل[١]: يا أبَا عَبْد الله! ما فرَّطْتَ وقُلْتَ في الجَبلِ عَالهِ وعليِّه وهذا وقتٌ ضَيِّق وقد حَضَرت الصَّلاة.
٣ والصَّوابُ قَطْعُ هذه المُفَاخرَةِ وتَرْكُ هذه المُناظَرةِ فقال: قد قَطَعْتُ ذلك وإنْ عَاد عُدْنَا ثمَّ قامَ وهو يقول (شِعْر):

[السريع]

إنْ عَـادَتْ العَقْـرَبُ عُـدْنَا لهـا   وكَانَـت النَّعْـلُ لهـا حَـاضِرة

٦ وقال بعْضُ الشُّعَراء:

[الطويل]

[a) وبِالقَوْسِ لَمَّا حلَّتِ الشَّمْسُ   وأطْبَقَ أَرْوَنْد علىٰ هَمَذَانِ
وهَبَّتْ رِيَاحُ الزَّمْهَرِيرِ فأحْرَقَتْ   بها كلَّ ذِي جِنْسٍ من الحَيَوانِ
فَما أنْ ترىٰ شَيْئًا بها غيرَ جَامِد   مع النَّفْطِ والنُّفَّاطِ والقَطْرَانِ
ترىٰ النَّاس بين السُّوقِ والدُّورِ   عَداهُم من التِّرْدَادِ والجَوَلَانِ
فطُرقُهُم والدُّورِ مطْمُوسَةٌ بهم   يزيدُهُم طَمْسًا ولَيْسَ بِفَانِ
تَرىٰ الطَّيرَ في جَوِّ السَّماءِ مُعَلَّقًا   من البَرْدِ ممْنُوعًا من الطَّيَرَانِ
وتَجْمُدُ بين الحَائِطَينِ كِلابُهم   وكانت تُبَاري الخَيلَ يَوْمَ رِهَانِ
ولَيْسَ يَقِي من بَرْدِهَا جِلْدُ   بخُوَارِزْم مَدْبُوغٌ بغَيْر تَوانِي

[١] صاحب المنزل هو: والد مؤلف الكتاب، والذي تمت المناظرة في بيته بين عبد القاهر بن حمزة الواسطي، والحسين بن أبي سرح.

ولَا جِلْدُ سَمُّورٍ ولَا الفَـنَكِ   يُوقَّى به المقْرُورُ حَرَّ عُمَانِ

ولَيْسَ يَقِيهم منه لَفْحُ جَهَنَّم   وما لهم بِالزَّمْهَـرِيرِ يَدَانِ

أمَا مَهْرَبًا من ذا العِذَارِ فقد   عِظَامي ولا تَشْعُر به القَدَمَانِ

إلى الكَرْجِ الحَسْنَاء دَارِ أمِيرنَا   فنُوسِعُها حَمْدًا بكلِّ لِسَانِ

مُبَارَكَةٍ حَفَّت بخَصْبٍ ونِعْمَةٍ   بِماءِ عُيونٍ عَذْبةٍ وجِنَانِ

فأهْلُ التُّقَى والبِرِّ والفَضْلِ   ولَيْسَ لهم في المَشْرِقَيْـنِ مُـدَانِ]

(a-a) زيادة من المختصر.

---

١ انفرد صاحب المختصر بهذه الأبيات. ص ٢٣٧.

[في حُبِّ الأَوْطَان[١]]

٣

[a] ولَوْلَا اخْتِلافُ شَهوَاتِ النَّاس لَمَا اختَارُوا من الأَسْمَاءِ إلَّا أَحْسَنِها ومن البُلْدَانِ إلَّا أغْذَاهَا ومن الأَمْصَارِ إلَّا أَوْسَطهَا، ولو كانوا كذلك لتـشَاحَّوا علىٰ البُلْدَانِ العَذْبةِ، ولتَقاتَلوا علىٰ الأَمْصَارِ المُتوسِّطَةِ ولما وسَعتْهُم بِلادٌ ولا تمَّ بينهم صُلْحٌ. إلَّا أنَّ رِضَاهُم بأَوْطَانِهم واغْتِبَاطِهم بمَساقِط رؤوسِهم مَانعٌ لهم.

٦

والقَناعةُ ببُلْدَانِهم وإنْ كانت شَظِفة مجبُولةٌ عليه، وكيف لا يكونون كذلك وأنت لو حَوَّلتَ سَاكِني الآجَام إلىٰ الفَيافِي، وسَاكِني السَّهلِ إلىٰ الجِبالِ، وسَاكِني الجِبالِ إلىٰ السَّهلِ والبِحَارِ، وسَاكِني أهْلِ العُمدِ إلىٰ المَدَر لأذَابَ قُلوبَهم وأتَىٰ

٩

---

[a] في المختصر بزيادة: « ولَوْلَا أنَّ الله تعَالىٰ وتَقدَّس جَبلَ هذا العَالم علىٰ حُبِّ الأَوْطَان ورضىٰ كلَّ حزبٍ منهم ببَلدِه وحبَّب إليهم تُرْبتَهُم وأرْضِهم لَما فضَّل قَائلُ هذا الشِّعْرِ الكرَجْ مع ضِيقهَا وقَذرِها وقلَّة خَيْرها وشِدَّة بَرْدِها علىٰ همَذان. ولكنَّ الله قد خَالفَ بين طَبَائِع النَّاس ولَوْلَا اخْتِلاف... ».

---

[١] هنا يسير ابن الفقيه على نهج الجاحظ، ويعمل على مجاراته في طريقة التأليف؛ حيث نراه قد أطال الحديث عن بلده همذان، وأسرف في تناول محاسنها؛ ثم يأتي هنا ليقدم تبريرًا لهذا الحديث الطويل بالكلام عن حب الأوطان، الذي أفرد له الجاحظ إحدى رسائله الشهيرة، تتلاقى في كثير من أفكارها مع ما أورده ابن الفقيه هاهنا. وقد قام بنشر هذه الرسالة كلٌّ من: عبد السلام هارون ضمن رسائل الجاحظ بعنوان: الحنين إلى الأوطان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م؛ ودرسها ونشر جزءًا منها المستعرب الفرنسي شارل بلَّا بعنوان: من كتاب الأمصار وعجائب البلدان، مجلة المشرق، بيروت، ١٩٦٦م؛ ثم المؤرخ العراقي: صالح أحمد العلي، كتاب البلدان، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م.

عليهم فَرطُ النِّزاعِ، بل لو نقَلتَ أهْل القِفَار إلى العُمْرانِ وحوَّلتَ من في جزَائِر البِحَار إلى المُدنِ، لم تجدهُم رَاضِين بذلك ولا قَانِعينَ بل كنت تَجِدهُم يَحِنُّونَ إلى
٣ أوْطَانِهم ويتَذكَّرونَ أوْطَانهم.

وقَدْ قِيلَ في الأمْثالِ: عَمَّر الله البُلْدانَ بحُبِّ الأوْطَان والرِّجَال[١].

وقال عبد الله بن الزبيرﷺ: [ليس][a] النَّاسُ بشيءٍ من أقْسَامِهِم أقْنَع منهُم
٦ بأوطَانِهم. وقال مُعَاوِية ﷺ في قَوْمٍ من أهْل اليَمنِ رجعُوا إلى بِلادِهم بعد أنْ أنْزَلهُم من الشَّامِ منْزِلًا خِصْبًا وفَرضَ لهم في شَرفِ العَطَاء: هؤلاء يصِلُونَ[b] أوْطَانهُم بقَطِيعة أنْفُسِهم.

٩ وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾[النساء :٦٦] ، فقرَنَ الضَّنَ منهُم بالأوْطَانِ إلى الضَّنِ [١٢٤و] منهُم بالأنْفُس[٢].

١٢ وزُوِّجَتْ أعْرَابيَّـة[٣] في الحَضرِ وأُسْكِنتْ قَصْرًا فحَنَّت إلى البَدْوِ وقالت:

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من الجاحظ، و المختصر.

[b] في الأصل: يمنون.

---

[١] ينسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: الجاحظ: رسائل الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ج٢، ص٣٨٩.

[٢] نقل ابن الفقيه هذه الأقوال والآية الكريمة بتفسيرها عن الجاحظ من غير تصرف انظر: الحنين إلى الأوطان، ج٢، ص٣٨٩-٣٩٠؛ الحيوان: ج٣، ص١١٠.

[٣] قيل هي ميسون بنت بحدل الكلابية، زوج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٤٠٨.

(شِعْر):

[الوافر]

لَلُبْسُ عَباءَة وتَقَرَّ عَيْني أَحبُّ إلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

وَبَيْتٌ تَخْفِقُ الأَرْواحُ فِيهِ أَحبُّ إلَيَّ مِنَ قَصْرٍ مُنيفِ

وَبكر يتبعُ الأظْعَان صَعْبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن بغْلٍ زَفُوفِ

وكَلْبٌ يَنْبَحُ الأَضْيافَ لَيْلًا أَحبُّ إلَيَّ مِنْ دِيكٍ هَتُوفِ

٣ وبَناحِية الجَنُوبِ جَزِيرةٌ يُقال لها: تَارَان، يَنْزِلهَا قَومٌ يُقال لهم بَنُو جدَّان، معَاشُهُم صَيْدُ السَّمكِ، ولَيْس لهم مَاءٌ عَذْبٌ ولا زَرْعٌ ولا شَجْر، وبيُوتهُم من السُّفِنِ المُنْكَسرةِ وعِظَام السَّمك، يَسْتَطعِمُون الخَبْز ويسْتَعْذِبُون الماء ممن يَـجْتَاز بهم ٦ في الدَّهْرِ الطَّويل، وربمَا أَقَامُوا السِّنِين الكَثِيرة لا يَمرُّ بهم إنْسَانٌ، فإذا قِيلَ لهم أيُّ شيءٍ مقَامكُم في هذا البَلدِ؟ قالوا: اليَطْنِ اليَطْنِ. يرِيدُون الوَطَن[1].

وكذلك قالوا: من لُطْفِ النَّفْسِ أنْ تكُونَ إلى موْلِدها مُشْتَاقة وإلى مَسْقَط ٩ رأسِها توَّاقَة.

وقال بعْضُ الحُكَماء: حُرْمة بلدكِ عليك كَحُرمة أبَويك. إذ كانَ غِذَاؤكَ منهُما وغِذَاؤهُما منه. وقالوا: أرْضُ الرَّجُل ظِئْرهُ ودَارهُ مَهْدُه.

١٢ وأحبُّ البُلْدَان بالتَّوقِ إليه بَلدٌ مصَّكَ حَلبُ رَضَاعة. وقال آخر: إذا كان السَّبُعُ يحِنُّ إلى أوْطَانهِ. فالإنْسَان أوْلَىَ بالحَنِينِ إلى مكانه.

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: تاران] ج٢، ص٦.

وقال بُقراط: فِطْرة الإنْسَان معْجُونة بِحُبِّ الوَطَن، وكان أيضًا يقول: يُغَذَّىٰ كلُّ عَلِيلٍ بأطْعِمةِ أرْضِه، فإنَّ النَّفْسَ تتطلَّعُ إلىٰ غِذَائِها وقال الشَّاعِر(شِعْر):

٣ [الطويل]

تَـحِنُّ قَلُوصِي[1] من عذَاةَ[2] إلىٰ نَجْدِ ... ولم يُنْسِها أوْطَانَها قِدَمُ العَهْدِ
وقد هِجْتُ نَصبًا من تَذكُّرِ ما مَضَىٰ ... وأعْدَيْتَنِي لو كان هذا الهَوىٰ يُعْدَىٰ
وأذْكَرتْنِي قَوْمًا أصبُ إليْهِمُ ... وأشْتَاقُهُم في القُرْبِ وفي البُعْدِ
أولَئِكَ قَوْمٌ لو لَجَأتُ إليْهِمُ ... لكُنْتُ مكَان السَّيْفِ من وَسطِ الغَمْدِ

ودخَلَ بعْضُ الأعْرَاب الحَضَر فاشْتَاق إلىٰ البَدْو وقال(شعر)[3] : [١٢٤ظ]

[الطويل]

لعَمْرِي لنَوْرُ الأُقْحُوانِ بحَائِلٍ ... ونُورُ الخُزامَىٰ في ألَاءٍ وعَرْفَجِ
أحَبُّ إليْنَا يَا حَمِيدُ بن مَالِكٍ ... من الوَرْد والخَيْرِي ودهْنِ البَنفْسِجِ
وأكْلُ يَرابِيع وضَبٍّ وأرْنَبٍ ... أحَبُّ إليْنَا من سِمَاني وتَدْرُجِ
ونَصُّ القِلاصِ الصُّهْب تَدْمىٰ أُنوفُها ... يـَجُبْن بنا ما بيْن قَوٍّ فمِنْعَجِ
أحَبُّ إليْنَا من سَفِين بِدجْلَةٍ ... ودَرْبٍ متىٰ ما يُظْلِمُ اللَّيلُ يُرْتَجِ

٦

[1] جمع قلوص وهي شواب النوق اليافعة، انظر: الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٥، ص٦٣.
[2] عذاة: إسم لموضع طيب التربة كريم النبت. نفسه، ج٤، ص٩١.
[3] أورد ياقوت الحموي هذه الأبيات عند حديثه عن [مادة: حائل]. انظر: ج٢، ص٢١٠.

وقد قدمَ خَالِدُ بن فُرَيضٍ الهُجَيْمِيُّ[١] الأَهْوَاز، فلمَّا رَأى حَرَّها وأذَاهَا حنَّ إلى بَلدِهِ وقال:

٣

[الطويل]

نظَرتُ وقَدْ حَالَ القُرىٰ دُونَ مَنْظَري   وقَدْ عُمِّمَتْ أَجبَالُهَا بالعَيَاطِلِ
أَلَـمْحَةُ بَرْقٍ أَمْ شِتَاء النَّار شَبَّها   مُعَالُونَ لم يَسْتَصْحِبُوا بالقَبائِلِ
ومَا نَفحَةٌ من خَالِصِ المِسْكِ عُلِّيتْ   بأَطْيَبَ من أَرْوَاحِ تِلْكَ المنَازِلِ
وإذا مَا خُزَامَاهَا جَرىٰ في فُروعِهَا   مُذفَّرٌ عُودَه أو بَلَّه بالأَصَائِلِ

وقال آخر[٢] (شِعْر):

[الطويل]

خَلِيلَـيَّ قَوْمًا وأَشْرِفَا القَصْرَ فَانْظُرا   بأَعْيُنِنَا هل تُؤنْسَانِ لنَا نَجْدَا
وإنِي لأَخْشَىٰ إنْ عَلَوناهُ عَلْوَةً   ونَشْرَفُ أنْ نَزْدَادَ ويـحكُما وَجْدَا

٦

وقال آخر (شِعْر):

[الطويل]

أَلا أَيُّها الرَّكبُ المُخِبُّونَ هلْ لَكُم   بأَهْلِ العقِيقِ والمناقِبِ مِنْ عِلْمِ
فقَالوا نَعمْ تِلْكَ الطُّلُولُ كَعهْدِها   تَلُوحُ ومَا يُغْنِي سُؤالُكَ عَنْ رَسْمِ
فقُلْتُ بَلىٰ إنَّ الفُؤادَ يَهِيجُهُ   تَذَّكُّر أَوْطَانِ الأَحِبَّةِ والحُرُمِ

٩

---

[١] لم أقف له على ترجمة.

[٢] يذكر أن ياقوت قد نسب هذه الأبيات إلى: الصِّمَّة بن عبد الله القشيري. انظر: [مادة: ذرو]ج٣، ص٦.

وشَكا قَوْمٌ من أَهْلِ حِضْوَةِ [a] - وهي علىٰ ثَلاثَةِ مرَاحِل من المَدِينة. وكان اسْمُها عَفْوة[b] فسَمَّاها النَّبِيُّ ﷺ حِضْوَة[a]- إلىٰ عُمَرَ بن الخَطَّاب ﷺ وبَاء أرْضِهم فقال: لو تَركْتُموهَا؟ فقالوا: معَاشنَا ومَعَاش آبَائنا ووطَننا.

فسَأل عُمَرُ ﷺ الحَارِث بن كَلَدة[١] فقال الحَارِثَ: البِلادُ الوَبئَة ذَاتُ الأَدغَالِ والبَعُوض هي عُشُّ الأَوْبَاء. ولكن ليَخْرُج أهْلهَا منها إلىٰ مَا يُقَارِبهُم من الأَرْضِ [١٢٥و] العَذبَةِ إلىٰ تَرْبِيع النَّجْمِ وليَأْكُلوا البَصَل والكُرَّاث، ويُبَاكِروا السَّمْن العَربِيَّ فيَشْرَبُوه، وليَشِمُّوا الطِّيبَ ولَا يمْشُونَ حُفَاةً، ولا يَنَامُونَ بالنَّهارِ، فإنِّي أرْجُو أنْ يَسْلَمُوا[٢] .قال: فأمَرهُم عُمَر بذلك وأنْشَد[٣]:

[الطويل]

أقُولُ وفَوْقَ البَحْرِ تَجْرِي سَفِينةٌ ... تَمِيلُ علىٰ الأَعطَافِ كُلَّ مَمِيل

ألَا أيُّها الرَّكْبُ الذين دَلِيلُهُم ... سُهَيْلُ اليَمانِي دون كُلِّ دَلِيل

ألِمُّوا بأهْلِ الأبْرَقِينِ فَسلِّموا ... وذَاكَ لأَهلِ الأبْرَقين قَلِيل

بَأهْلِي أهْلُ الأبْرَقَينِ وجِيرةٌ ... سَأهْجُرهُم لا عن قِلىٰ فَأُطِيلُ

ألا هلْ إلىٰ سَرْحٍ ألِفْتُ ظِلالَهُ ... وتكْلِيم أهْلِ الأبْرَقِينِ سَبِيلُ

a) رسمت في الأصل: خضرة، والتصويب من ياقوت. b) رسمت في الأصل: عقرة، والتصويب من ياقوت.

[١] مرت ترجمته انظر فيما تقدم ص ٥٦١.

[٢] نقل ياقوت هذه الرواية كاملة عن ابن الفقيه بتصرف يسير دون أن يسمي مصدره. قارن: [مادة حضوة] ج٢، ص٢٧٢.

[٣] وردت هذه الأبيات لدى ياقوت الحموي في مادة الأبرقين والمذكورة في الأبيات، منسوبة إلى أحد الأعراب وليست لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: [مادة: الأبرقان]ج١، ص٦٦.

وقال المُفَضَّلُ[a] بن إسْحاق[١]: لقَيتُ أعْرابِيًّا فقُلتُ: ممَّن الرَّجُل؟ فقال: من بَنِي أَسَد. قلت: فمن أين أقْبَلت؟ قال: من هذه البَادِية. قلتُ: فأين مَسْكَنك منها؟ قال: مسَاقِط الحِمَى، حِمَى ضَرْية بِأَرْضٍ [لعَمْر الله][b] مَا نُريدُ بها بَدلًا، ولا عنها حِولًا. قد نفَحَتْها العَذَوات وحَفَّتها الفَلَوَات.

فلا يَمْلَولَح تُرابهَا ولَا يَمَّعَر جنَابهَا، لَيْس فيها أذَى ولَا قَذَى[ولَا عَك ولَا مَوْم][b]ولَا حُمَّى، فنحن منها بِأَرْفَه عَيْش وأوسَعه. قلت: ومَا طَعَامُكم؟ قال: بَخٍ بخٍ. عَيْشنَا والله عَيْشٌ تعَلَّلَ جَادِبهُ[٢] وطَعامنَا أطْيَبُ طَعامٍ وأهْنَاه وأمْرَاه: الفَثُّ والهَبِيد[٣] و الفَطْس[٤] والصَّلَب[٥] والعَنْكَث والعِلْهِز[٦]،

---

[a] رسمت في الأصل: الفضل.

[b] ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

---

[١] المفضل بن إسحاق، شيخ الإمامين: عبد الملك بن قريب الأصمعي، ومحمد بن جرير الطبري.

[٢] أي لم يجد مقالًا، فهو يتعلل بالشيء القليل وهو ليس بعيب. انظر:الزبيدي، تاج العروس، [مادة: ج د ب] ج٢، ص ١٣٦.

[٣] الهبيد: الحنظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص ٤٣١.

[٤] الفطس: شجر من أشجار البادية طيب الرائحة، قيل هو شجر الغار. انظر: ابن سيدة: المخصص، ج٣، ص ٢٦٤.

[٥] الصلب: الودك، ويستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها. نفسه، ج١، ص٤٣٤.

[٦] العلهز: نبات ينبت في بلاد بني سليم، له أصل كأصل البردي.انظر: الزبيدي: المصدر السابق، مادة: [ع ل ه ز] ج١٥، ص٢٤٣.

والذَّآنِين[١] [والطَّراثِيث][a] [٢] والعَراجِين[٣] والحِسَلةُ والضِّباب، وربما أكَلْنَا القَدَّ واشْتَوَيْنَا الجِلدَ، فما نرىٰ أنَّ أحَدًا أخْصَبُ منَّا.

٣ فالحَمدُ لله علىٰ مَا بَسطَ من الرِّزْقِ ورَزقَ من حُسْنِ الدِّعةِ. أوما سَمِعتَ بقَوْل قَائِلنَا وكان عَالِمًا بِلذَائِذ العَيْشِ وطِيبه[٤] (شِعْر):

[الطويل]

إذا مَا أصَبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مُذَيْقَةً وخَـمْسَ تُـمَيْراتٍ صِغَارٍ كَوَانِزِ

فَنحْنُ مُلُوكُ النَّاسِ شَرْقًا ومغْرِبًا ونَحْنُ أسُودُ النَّاسِ عِنْدَ الهَزَاهِزِ

وَكَمْ مُتَمَنٍّ عِيْشَةً لا يَنَالُها ولَوْ نَالَه أَضْحَىٰ بِهِ جدٌّ فَائِزِ

٦

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

---

[١] الذَّآنين: جمع ذؤنون، نبت طويل ضعيف لا ورق له، وله ثمرة صفراء في أعلاه. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص١٧١.

[٢] الطراثيث: مفرد طرثوثة، وهو نبت رملي طويل يشبه الفطر، وهو ضربان: فمنه الحلو وهو الأحمر ومنه المر وهو الأبيض. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، [مادة: ط ر ث] ج٥، ص٢٩٢.

[٣] العراجين: نبت أبيض مستدير الذي يقال له الفطر وهو طيب مادام غضًّا. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج٣، ص٢٠٥.

[٤] قارن هذه الرواية بما جاء في رسائل الجاحظ: رسالة فخر السودان على البيضان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م. ج٢، ص٣٩٤.

وقارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: ضرية] ج٣، ص٤٥٨.

[١٢٥ظ] الفَثُّ: نَباتٌ له حَبٌّ أَسْوَد. والعَنْكَث: نَبْتٌ. والذَّآنِين: نَبْتٌ. والحِسْلُ: ولَدِ الضَّبِّ. وقال بَعضُهم: (a من أَمَارَات العَاقِل إلْفهُ لإخْوَانهِ وحَنِينهِ لأوْطَانه a)[١].

٣ وقال أعْرَابيٌّ وقد سُئلَ عن بلَدهِ: كيف لا أشْتَاقُ إلى رَمْلةٍ كنت رَضِيعُ غمَامهَا ورَبِيبُ طعَامهَا. وقالوا: السُّرورُ لزُومُ الأوْطَان، وتَآلُف الجِيرَان، ومُنَادَمة الإخْوَان. وأنْشَدني صَديقٌ لي (شِعْر):

٦ [الطويل]

كفَىٰ حَزَنًا أنِّي ببَغْدَادَ نَازِلٌ ... وقَلْبِي بَأكْنَافِ الحِجَازِ رَهِينُ
إذا عنَّ ذِكرُ الحِجَازُ اسْتَفَزنِي ... إلىٰ [مَن] بأكْنَافِ الحِجَازِ حَنِينُ
وتَاللهِ ما فَارَقْتُهم قَالِيًا لهم ... ولكَنَّ مَا يُقْضَىٰ فَسَوف يَكونُ

وقال آخر[٢] (شِعْر):

[الوافر]

بأكْنَافِ الحِجَازِ هَوًىٰ دَفِينٌ ... يُؤرِّقُنِي وقد هَدَتِ العُيُونُ
أحِنُّ إلىٰ الحِجَازِ وسَاكِنيهِ ... حَنِينُ الإلْفِ فَارَقهُ القَرِينُ
وأبْكِي حِينَ يَهْدَأُ كلُّ خَلْقٍ ... بُكَاءً بَيْنَ زَفْرتِهِ أنِينُ
ومَا جَارَانِ مؤْتَلِفَانِ إلَّا ... سَتُفْرِقُ بين جمْعِهِما المَنُونُ

(a-a) في الجاحظ: «..من أمارات العاقل بره لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل زمانه».

[١] انظر: رسائل الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ج٢، ٣٨٩.

[٢] الأبيات للشاعر: الأشجع بن عمرو السلمي. انظر:- الصولي: الأوراق، طبعة القاهرة، ٢٠٠٤م. ج١، ص١١٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٠.

وأُنْشِدَ لأبي هِلَالٍ الأَسَدِيّ[١] (شِعْر):

[الوافر]

أشاقَتْكَ الشَّمائِلُ والجَنوبُ ومِنْ عَلْوِ الرِّياح لَهَا هُبوبُ
أتتك بنَفْحَةٍ من شِيح نَجْدٍ تَضَوَّعَ والعَرارُ بهَا مَشوبُ
ومِنْ بُسْتَانِ إِبْراهِيم غَنَّتْ حَمَائِمُ تحْتَهَا فَنَنٌ رَطِيبُ
فقُلْتُ لهَا وُقِيتِ سِهَامَ رَام ورُقْطَ الرِّيشِ[a] مطعمها القُلُوبُ
كما هيَّجتِ ذا طَرَبٍ حَزِينًا علىٰ أوْطَانِه فبكىٰ الغَرِيبُ[٢]

٣ وقالوا: إذا أَرَدْتَ أنْ تَعْرِف وَفَاءَ الرَّجُلِ ودَوامَ عَهْدِهِ فَانْظُر إلىٰ حنينِهِ إلىٰ أوْطَانِهِ وتشَوُّقِهِ إلىٰ إخْوَانِهِ وبُكَائِهِ علىٰ ما مَضَىٰ من زمَانِه[٣].

وقالوا: أكْرَمُ الخَيلِ أجْزَعُها من السَّوْطِ، وأكْيَس الصِّبْيَانِ أشَدُّهم بُغْضًا ٦ للكُتَّاب، وأكْرَمُ الصَّفَايا أشَدُّها ولـهًا إلىٰ أوْلَادها، وأكْرَمُ الإبلِ أشَدُّها حَنِينًا إلىٰ [١٢٦و] أوطَانِها[b]، وأكْرَمُ المِهَارَة أشدُّها مُلَازمةً لأُمَّهاتِهَا، وخَيرُ النَّاسِ أحبُّ النَّاسِ للنَّاس.

٩

[a] في الأصل: ورقط الركن، والتصويب من ياقوت.

[b] رسمت في الأصل: أعطانها. والتصويب من الجاحظ: فخر السودان على البيضان.

[١] ابي هلال الأسدي: عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى، أبو القاسم، أو أبو محمد الكوفي، شيخ الطبري، توفي سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م. انظر في ترجمته وأخباره: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١٦، ص٣٧٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات،ج١٨، ص٦.

[٢] قارن هذه الأبيات لدى: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: النير] ج٥، ص٣٣٠.

[٣] نسبت هذه المقولة إلى الأصمعي. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٨٤.

وأفْضَلُ المَمَالِيك الصِّغَار لأنَّهم أسْرَعُ طَاعةً وأسْرَعُ قَبُولًا [١].

ورُوِي عن حُلَيفٍ بن جَعْفَر الرَّبْعِيِّ [٢] قال: أرَدْتُ الخُروجَ إلى أخْوَالي بخُراسَان ٣ فقُلْتُ: والله لا خَرجْتُ حتى أُجَدِّد لي على سَيِّدي [عهْدًا] [a] فدخَل. فوالله مَا كان بين دُخُوله وخُروجِهِ إلَّا لَـمْحَة لَامِح. فدخَلتُ وسلَّمتُ فرَدَّ السَّلام ورَحَّب.

فبِأبي هو وأُمِي مَا رَأيْتُ أحَدًا آنسَ إلى أوْلِيائه ومُـحِبِّيه وشِيعتهِ منه، فضَاحَكني ٦ سُرورًا منه بي. ثمَّ قال: ما جَاءَ بِكَ يا حُلَيف؟ قلْتُ: بِأبي أنت وأُمي، إنِّي أرَدْتُ الخُروج إلى خُرَاسان لِزيَارة أخْوَالي. وإنِّي جِئْتُ مُسْتَشِيرًا فَأشِر عليَّ وأوْجِز وأطِل، فأنْتَ أوْلَى مني بنَفْسِي لعَلِّي أتَّعِظُ بمَوعِظَتك [b] ووصيَّتك أنْ تَداركَنِي عند آنَاءِ اللَّيلِ ٩ والنَّهارِ فتُنجيني من المُوبِقَات وتَرْدَعنِي عن المُعْضِلات.

فقال: عَلَيْهِ السَّلَامُ أمَا إنَّك لتجَاوِز النَّهرَ الأغَرَّ والبَلْدَة المَلْعُونة، شِرَارهَا شِرَارُ الخَلْقِ، وخَيارهَا كالتَّمْرِ المُعَلقِ فوق عَراجِين النَّخْل أما النَّاظِر لا يَنالَهُ من بُعْدِه، ١٢ هيْهَات ولَا يُدْركهُ إلا بفرَاق التَّراقِي. فإذا جَاوزْتهَا فلا تَأسَفنَّ عليها.

---

[a] زيادة يقتضيها السياق.

[b] رسمت في الأصل: بموعملتك.

---

[١] قارن: الجاحظ: فخر السودان على البيضان، ج٢، ص٣٨٩؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج٢، ص٦٧٢.

[٢] لم أقف له على ترجمة.

هذه بَغْدَادُ يُوشِك أنْ يَبْعَث اللهُ فيها غُلَامًا منَّا أَهْلَ البَيْت[a] ولن يُؤْمِن من أَهْلهَا إلَّا القَلِيل. أمَا إنَّك سَتُجَاوزهَا إلىٰ بَلدٍ تَقْطَعُ دونهَ آكَامًا وأَوْدِية حتىٰ تبْلُغ مَدِينةً يقال لها حُلْوان، شِرَارهَا كَالذَّر وخِيَارُها كالدُّر. يَدْفعُ الله من شِرارِهَا بخِيارِهَا.

أمَا إنَّك سَتجاوِز منها عَقبةً كَؤودًا تُشْرِفُ علىٰ مَدِينةٍ يقال لها هَمَذَان، شِرارُهَا شِرَار الخَلْقِ وخِيَارهَا كالشَّمْسِ بين الغَيْمِ، إذا غَابتْ لمْ يُعْرف مكَانهَا، وإذا طَلعتْ اهتُدِي إليها لحُسْنِها. أوْلِياءُ الله في شَواهِق جبَالهَا.

هل رَأيْتَ يا حُلَيف طَالبَ خيرٍ إلَّا نَاله؟ وهل رَأيتَ مُـجَانِبًا للشرِّ إلَّا أُقْصِي عنه؟ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣٢] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. ألمْ ترَ يا حُلَيْف أَعْمَىٰ يَمْشِي علىٰ ظَهْرِ طَرِيق مُسْتَقِيم؟ ألمْ ترَ أَعْجَمًا يَنْطِقُ بالحَقِّ؟ قال حليف: بلىٰ. قال: تِلْك يكْشِفهَا النُّور. [١٢٦ظ] ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:٣٥]. ﴿وَيَضْرِبُ الله الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٥].

أمَا إنَّك سَتُجَاوِز منها جِبَالًا وأَوْدِيةً حتىٰ تُشْرِف علىٰ مَدِينةٍ يقال لها: الرَّي. إذا ذُكِرتْ القُرىٰ فنَسِيهَا الله ولا ذَكرهَا. فإنَّ بها مَصَارِعُ الأَخْيَار، واللهُ لأهْلِها ـ إلَّا بَعْضَهم ـ أشَدُّ حَنْـقًا عَلَيْنا من كَفرَةِ بني إسْرَائِيل علىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يُقْتَل فيها رِجَالُنا ويُسْتَحلُّ بها شَتْمُنا. أفَلهُم فِينا ثَأرٌ فيُقَيِدونَنا بثَأرِهم؟ أمْ لهم قَبلنَا حَقٌّ فيُطَالِبُوننا بحَقِّهم. منَعوا منَّا حقَّ الله من مَالِ الله قسْرًا ومَنعُونَا خُمْسَ الله

---

[a] في الأصل: أهل البلد.

فلم ننَازِعهم. ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة:٥٠] الله بَيْننَا وبَيْنَهم عند إقَامةِ المِيزَان الذي لَا يُبْخَسُ فيه حقُّ المُحِقِّينَ عند جُحُود المُبْطِلين.

٣ فوالله لا تَزال تِلْك العِصَابة علىٰ هذا حتىٰ يبْعَث الله عليهم نِقمًا منَّا أهْل البَيْتِ بقَومٍ لاخَلاقَ لهم، تُقْتَلُ فيها رِجَالهُم وتفْنَىٰ أمْوَالهُم وتُسْبىٰ ذَرارِيهم ويَتواتَر الشَّرُّ عليهم. سَمِعتُ جَدي صلىٰالله‌عليه بَأثَره عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: هَيْهَات هَيْهَات معَاشِر ٦ الأُمَّة! لتَأمـرُنَّ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَون عن المُنْكَر أو لِيُسلِطنَّ اللهُ عليكم شِرَاركُم. فعِنْدهَا يَدْعُو خِيَاركُم فلَا يُسْتَجَاب لهُم[١].

[هَاتُوا بُرْهَانًا][a] ويـحَكُمُ كَبُرهَاننا؟! فإن لمْ تَتأْتُوا بِبُرهَانٍ فقولوا: صَدقْتَ. فإنَّ ٩ الله لَا يَسْتَحِي من الحَقِّ، وإنَّ الله ﷻ ﴿لا يُغَادِر صَغِيرةٍ ولا كَبِيرةٍ إلَّا أحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. ويـحَك يا حُلَيْف فهذه الرَّيُّ فلَا تَسْكُنها، ودَارُ البَلَاءِ فلا تَحلَّها.

١٢ وإذا قَارَبْتَها فحِدْ عنها فإنَّها مَصرعُ البَلاءِ.أمَا إنَّك سَتُجاوِز منها أودِية حتىٰ تُشْرِف علىٰ مَدِينةٍ قَدْ [مُدَّت][a] إليها أعْنَاقُ الشَّياطِين من الجِنِّ والإنْسِ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] أولَئِك أهْل نَيسَابُور نسَّيَك ١٥ اللهُ ولا ذَكَّركَ الاعْتِذَار.

---

[a] زيادة يقتضيها السياق.

---

[١] تضاربت أقوال المحدثين بشأن هذا الحديث، وهو غير معروف على هذا الوجه في كتب الصحاح البته، ولكن وردت صيغ شبيهة به في بعض كتب المتأخرين منسوبة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وتارة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإلى الإمام الحسن رضي الله عنه.

وأنَّ أعْلَامًا بِيضًا سَيُمِيتُ بها قُلوبَ الفُجَّار كما يَذُوبُ المِلحُ في المَاءِ فعِند ذلك فَلْيَسكُنها الأبْرَارُ من أوْلِيَائِنا. صَحِبكَ اللهُ يا حُلَيفُ حيثُ ما تَوجَّهْت[١].

٣ وقال ابن عَيَّاش: كانت الفُرْسُ تُقَسِّط علىٰ أذْرَبيْجَان وطَبَرِسْتَانَ ودَباوَنْد وقَرْمِيسِين ومِهْرجَانْقذف [١٢٧و] وقُوْمِس وحُلْوَان والرَّيِّ وهَمَذَان، ولم تَكُن أصْبَهَان تدخل في هذا التَّقسِيط ثَلاثِين ألف دِرْهَم.

٦ وقَبِلَ عُبَيْد الله بن سُلَيْمان[٢] هَمذَانَ [من التَّـنَّائِين][a] في سَنةِ أرْبَع وثمانِين [ومِائتَينِ][a] بمَائةِ ألْفٍ وسَبْعِين ألْفَ دِينَارٍ بالكِفَايةِ علىٰ أنْ لا مَؤنةَ علىٰ السُّلْطَان.

وهي أرْبَعةٌ وعشْرُون رِسْتَاقًا منها: هَمَذَان، فرواز، وقوهياباذ، وأناموج، ٩ وسيسار، وشرَّاة العليا، وشرَّاة الميانج، والإسْفِيذجان، وبحر، وأباجر، وأرغين، والمغارة، [b]والأجم والأعلم[b]، وأرناد، وسمير روذ، وسردروذ، والمهران، وأسفيذار، وكورَدور، ورُوذَه، وسَاوَه، وكان منها بَسَا، وسَلْفَانروذ وخرَّقَان.

١٢

---

[a] ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

[b-b] في ياقوت: العلم الأحمر.

---

[١] راجعت عددًا كبيرًا من المظان فلم أعثر لهذه الحكاية على شبيه أو أصل نقلت عنه، ما يدل على انفراد ابن الفقيه بها، وتبدو فيها ميوله الشيعية.

[٢] عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، أبو القاسم، أحد أكابر الكتّاب، استوزره الخليفة المعتمد العباسي، وأقره بعده المعتضد. واستمرت وزارته عشر سنين. توفي سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م. انظر في ترجمته وأخباره: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٥٢؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج١، ص١٩٥-٢٠١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٧، ص٣٥-٤٠.

ثمَّ نُقِلت إلىٰ قَزْوِين وهي [a]سبْعُمائةٍ وسِتُّون قَرْية[a]، وعمَلُها من بَابِ الكَرْجِ إلىٰ سِيسَر طُولًا، وعَرْضُها من عَقبة أسدآبَاذ إلىٰ سَاوَه[١].

٣ وحدَّث زِيَادُ بن عبد الرَّحمٰنِ البَلْخِيّ[٢]: عن أشْيَاخٍ من أهْل سِيسَر، أنَّها سُمِّيت بهذا الاسْمِ لأنَّها: في انْخِفَاضٍ من الأَرْضِ بين رُؤوسِ آكَامٍ ثَلاثِين، فقيل: ثَلاثُونَ رَأسًا. وكانت سِيسَرُ تُدْعَىٰ صَدْخَانِيَّة لكَثرة عُيونِها ومنَابِعها، ولمْ تَزل [سِيسَرُ][b]

٦ ومَا والَاهَا مَراعِي لَمواشِي الأكْرَاد وغَيْرِهِم حتىٰ أنْفَذ المَهْدِيُّ إليها مَوْلىٰ له يُعْرَف: بسُلَيْمَان بن قِيرَاط - وأبُوهُ صَاحِب الصَّحَراء التي تُسَمَّىٰ صَحْراء قِيرَاط ببغْدَاد- ومعه شَرِيكٌ له اسمه سلَّام ويُعْرف بالطَّيْفُوريِّ، وكان طَيْفُور مَولىٰ المَنْصُور فوَهَبه

٩ للمَهْدِي، ثمَّ إنَّ الصَّعالِيكَ والذُّعَّار انْتَشرُوا بالجَبلِ وجعَلُوا هذه النَّاحِية لهم مَلْجَأً. فكانوا يَقْطَعونَ ويَأوونُ إليها فلا يُطْلَبُون لأنَّها من حدِّ هَمَذَان إلىٰ الدِّينَور وأذْرَبِيجَان.

١٢

[a-a] في ياقوت: ستمائة وستون قرية.

[b] ساقطة من الأصل: والتتمة من البلاذري: فتوح البلدان.

[١] قمت بتصويب جميع هذه الرَّسَاتِيق من ياقوت دونما إشارة إليها في هامش فروق النسخ لقلة الاختلاف في الرسم. انظر: معجم البلدان: [مادة: همذان] ج٥، ص٤١٤.

[٢] نقل ابن الفقيه هذه الرواية من فتوح البلدان للبلاذري بتصرف طفيف، فبدأ بقوله: حدث زياد بن عبدالرحمن البلخي بينما استفتح البلاذري هذه الرواية بقوله: « وحدثني زياد بن عبدالرحمن البلخي...». قارن: فتوح البلدان، ص٤٣٤-٤٣٥؛ وعنهما أخذ ياقوت الحموي هذه الرواية عند حديثه عن سيسر. انظر: معجم البلدان: (مادة سيسر) ج٢، ص ٢٩٧.

فكَتبَ سُلَيْمانُ بن قِيرَاطٍ وشَرِيكهُ إلىٰ المَهْدِيّ يُعَرفَانِهِ ما قد اجْتَمعَ في أيْدِيهم من الأغْنَامِ والمَواشِي والدَّوَابِ التي في المُرُوجِ للسُّلْطَان، فوَجهَ إليهما جَيْشًا وأمَرهُما
٣ بِبِنَاءِ حصْنٍ يَأويَانِ إليه مع جميع الأغْنَامِ والمَوَاشِي والدَّوابِ.

فبَنيَا مَدِينة سِيسَرُ وحَصَّناهَا وأسْكَنَاهَا النَّاس، ثمَّ ضَمَّ السُّلْطَان إليها رُسْتَاقًا من الدِّينَور يُقالُ له: ماينهرج [a] رُسْتَاقًا آخَر يُقالُ له الجُوذَمَة من أذْرَبِيجَان من
٦ كُورَةِ بَرْزَة [١٢٧ظ] (b [ورُسْتَاق خَانْيجر فكُوِّرت بها الرَّسَاتِيق] b) وولاهَا عَامِلًا مُفرَدًا فلم يَزل علىٰ ذلك إلىٰ أيَّامِ الرَّشِيد. فإنَّ الصَّعَالِيكَ كَثروا بهذه النَّاحِية وزَادَ أمْرهُم، وكان حِصْن سِيسَر قد تَشعَّثَ فعَرِف الرَّشِيدُ ذلك، فأمر ببِنَائِهِ وتحْصِينهِ،
٩ ورَتَّبَ فيها ألْفَ رَجُلٍ (c [من أصْحَاب خَاقَان الخَادِمِ السُّغْدِيِّ، ففِيها قَوْمٌ من أوْلَادهِم] c) فلمَّا كان في آخِرِ أيَّام الرَّشِيد تَغلَّب مُرَّة بن أبي مُرَّة [الرُّدَيْنِي] (c) العَجْلِيُّ عليها[١]، فحَاول عُثْمَان الأوْدِيُّ مُغَالبَته فلم يَقْدِر علىٰ ذلك.
١٢ (c [وغَلبَهُ علىٰ ما كان في يَدهِ من أذْرَبِيجَان أو أكثَره] c) ولم يَزلْ مُرَّة بن أبي مُرَّة يُؤدِي الخَرَاجَ عنها في أيَّام الأمِين علىٰ مُقَاطَعةٍ مَعْلُومةٍ قَاطَعهُ عنها إلىٰ أنْ وقعَتْ الفِتْنة فمَنعَ ما قُوطِع عليه. فلمَّا اسْتَقرَّ الأمْرَ للمَأمُون أُخِذَت من مُرَّة وأُخْرِجت
١٥ عن يَدهِ وجُعِلَت في ضِياعِ الخِلَافةِ.

(a) في الأصل: ما ينمرج، والتصويب من: البلاذري، وياقوت.

(b - b) ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت . (c - c) ساقطة من الأصل: والتتمة من البلاذري.

---

[١] مرة بن أبي مرة الرديني العجلي، عامل الخليفة العباسي هارون الرشيد على سيسر. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٣٥.

[عجَائِب هَمذَان]

٣ ومن العَجَائِب التي بهَمَذَان أَسدٌ من حَجَرٍ علىٰ بَابِ المدِينة يُقالُ أنَّه طَلْسَمٌ للبَرَدِ من عَملِ بُلُنْيَاس صَاحِب الطَّلْسَمات- حِينَ وجَهَّهُ قُبَاذ ليُطَلْسِم آفَات البِلَاد-. ويُقَال إنَّ الفَارِس كان يَغْرَق بفَرسِهِ في الثَّلْجِ بهَمَذَان لكَثْرةِ ثُلوجِهَا وبَرْدِها، فلمَّا ٦ عَمِل لها هذا الطَّلْسَم في صُورَةِ الأسَدِ قلَّ ثَلْجهَا وصَلُحَ أمْرهُا. وعَمِلَ أيْضًا علىٰ يَمِين الأسَدِ طَلْسَمًا للحَيَّات فقلَّت، وآخَر للعَقَاربِ فنَقُصَت، وآخَر للغَرقِ فأَمَنُوه، وآخَر للبَرَاغِيث فهي قَلِيلةٌ جِدًّا بهَمَذَان.

٩ ولما عَمِل بُلُنْيَاس هذه الطَّلْسَمات بهَمَذَان [اسْتَهَان][a] به أهْلهَا ولم يلْتَفِتوا إليه فاتَّخَذَ علىٰ جَبَلهِم الذي يُقال له أرْوَنْد طَلْسَمًا مُشْرِفًا علىٰ المدِينةِ للْجِفَاء والغِلَظ فهم أجْفَىٰ النَّاسِ وأغْلَظُهُم طَبْعًا، وعَمِل آخَر للغَدْرِ فهم أغْدَر النَّاس، ولذلك ١٢ حوَّلت المُلُوكُ الخَزَائِن عنها خَوْفًا من غَدْر أهْلها. واتَّخذَ طَلْسَمًا آخَر للحُروبِ والعَسَاكِر لتَكْثُر بها فلَيْس تَخْلُو من عَسْكَرٍ أو حَرْبٍ[١].

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

---

[١] قارن الخبر بتمامه لدى : ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة:همذان]، ج٥، ص٤١٥.

قال: وأنشدني مُحَمَّد بن أَحْمدالمُعْرُوف بِابْن الحَاجِب[1] لنَفْسِه في الأَسَدِ الذي ببِابِ هَمَذَان (شِعْر)[2]: [الطويل]

أَلَا أيُّها اللَّيْثُ الطَّوِيلُ مُقَامهُ ... علىٰ نُوَبِ الأَيَّامِ والحَدَثَانِ

أَقَمْتَ فما تَنْوِي البَرَاحَ بحِيلَةٍ ... كأَنَّكَ بَوَّابٌ علىٰ هَمَذَانِ

أطَالِبُ ذحلٍ أنت من عِنْد ... أبِنْ لِي بِحَقٍّ واقِعٍ ببَيَانِ

أرَاكَ علىٰ الأَيَّام تَزْدَاد جِدَّةً ... كأَنَّك منها آخِذٌ بأَمَانِ

[١٢٨و] أقَبْلَك كان الدَّهرُ أم ... فَنَعْلَم أم رُبِّيتُما بِلُبَانِ

وهَل أَنْتُما ضِدَّان كُلٌّ تَفرَّدَتْ ... به نِسْبَةٌ أم أَنْتُما أَخَوَانِ

بَقِيتَ فما تَفْنَىٰ وأَفْنَيتَ عَالَمًا ... سَاطَا بهم مَوتٌ بكُلِّ مَكَانِ

فَلْو كُنْتَ ذَا نُطقٍ جَلَسْتَ ... فحَدَّثْنَا عن أَهْلِ كلِّ زَمَانِ

ولَوْ كُنْتَ ذا رَوحٍ تُطَالِبُ مَأْكَلًا ... لأَفْنَيتَ أَكْلًا سَائِرَ الحَيَوَانِ

أَجُنِّبْتَ شَرَّ المَوْتِ أم أنتَ مُنْظَرٌ ... وإبْلِيسَ حتىٰ يُبْعَثَ الثَّقَلانِ

فَلا هِرَمًا تَخْشَىٰ ولا المَوْت تَتَّقِي ... بمَضْرَبِ سَيْفٍ أو شَباةِ سِنَانِ

وعمَّا قَلِيلٍ سَوفَ تَلْحَقُ من ... وجِسْمُكَ أبْقَىٰ من حِرا وأبَانِ

٣

[1] محمد بن أحمد المعروف بابن الحاجب أديب، شاعر، وكان صديقًا لابن الروميِّ وخِدْناً له. انظر في ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ص٤٥٢.

[2] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه من ابن الفقيه، في معجمه البلداني ولم يشر. انظر: [مادة: همذان] ج٥، ص٤١٥؛ و قارن ما أورده القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، [مادة: همذان] ص٤٨٦.

[a] [وأنْشَدَني أبو مُحمَّد عَبْد الله بن مُحمَّد بن زَنْجَويَه يَذْكُر لِنَفْسه فيها الأسَد وكلَّ صُورةٍ مَشْهُورةٍ في الأرْضِ.

٣

[الطويل]

أَأَرِقْتَ للْبَرقِ اللَّمُوع اللَّائحِ ... وحَمَائِمٍ فَوْقَ الغُصُونِ نَوائِح

أمْ شَاقَك الطَّيْفُ المُلِمُّ ببَيْنِه ... فَظَلَلْتَ تَرْعَىٰ كلَّ نَجْمٍ لَائِحِ

أمْ قَدْ ذَهِلْتَ بلَيْثٍ غَابٍ رَائِعٍ ... مُذْ كَان عن هَمَذَان لَيْس بِنَازِحِ

مُوفٍ علىٰ صُمِّ الصُّخُور كأنَّه ... يَبْغِي الوُثُوبَ علىٰ الغَزَالِ

في الصِّيْفِ تُحْرِقُه السَّمُومُ ... بَرْدُ الشِّتَاء بزَمْهَرِيرٍ لافِحِ

وإذا الرِّياحُ عَصَفنَ من أَرْوَنْدنا ... خِلْتَ الهَرِيرَ بمِثل تُرْسِ الرَّامحِ

وإذا الرُّعُودُ تتَابَعتْ بِسَحَابةٍ ... لقِيَ الزَّمَاهِر بِالمِجَنِّ الكَالحِ

وإذا الرَّبِيعُ تتَابعَتْ أَنْوَاؤه ... وتَنفَّسَتْ أَنْوارُهُ بروَائِحِ

أَلْفَيْتَهُ مُتَبسِّمًا لنَسِيمهَا ... ومُحَيِّيًا أَرْوَنْد فِعْلَ مصَافِحِ

لو كان يَفْهَمُ عنك خَبَّر بالذي ... أفْنَىٰ الدُّهُور وكُلَّ أمرٍ فَادِحِ

ولقَالَ إنَّ المَرْءَ يُنْقِذُه التُّقىٰ ... ونَجَاتهُ قَصْدُ الطَّريق الوَاضِحِ

تَمْضِي الدُّهُورُ ومَا يَرُومُ فَرِيسَةً ... فِعْلَ الطِّمِرِّ الكِسْرَوِيِّ القَارِحِ

شَبْدِيز إذ هو وَاقِفٌ في طَاقه ... يَعْلُوهُ بَرْوِيزٌ بِحُسْنٍ وَاضِحِ

ما إنْ تَرَاهُ عليه في غُلْوائِه ... يَوْم الهياج ولا الطِّمِرِّ بسَابِحِ

بَرْوِيزُ عن شَبْدِيزَ لَيْسَ ببَارحٍ ... واللَّيْثُ عن همَذَان لَيْس بِبَارحِ

وكَذا بِتَدْمُر صُورَتَانِ تَعانَقا ... في الحُسْنِ أَشْبَهتَا ببَنْتِيَ ضَارحِ

لا يَسْأمَانِ من القِيامِ وطَالما ... صَبَرا علىٰ صَرْفِ الزَّمَانِ

وبِأرْض عَادٍ فَارِسٌ يَسْقِيهِم ... بِالعَيْن عَذْبًا كَالفُراتِ السَّائِحِ

فإذا انْقَضَىٰ الشَّهرُ الحَرامُ ... تِلْك الحِياضُ تَجفُّ عَيْنُ الرَّامِحِ

بِأرْضِ وادِي الرَّمْلِ بين مهَامِهِ ... يَلْقَاك قبل الحَتْف نُصْح

طَرْفٌ هنالك بَاسِطٌ بيَمِينه ... أنْ لَيْس بَعْدِي مَسْلَكٌ للسَّائحِ

وبفَارِسٍ سَابُور صَوَّر عِبْرَةً ... فكأنَّه يُصْغِي لَمدحِ المَادِحِ

خُذْهَا إليك وقُلْ مقَالَة عَادِلٍ ... لَيْس الضَّنِين بعِلْمه كمُسَامحِ

قَدْ كُنتُ قُلتُ قَصِيدةً سَوَّغتُها ... من رابَها بِتَجالُدٍ وتكَافُحِ

سِينِيَّةٌ فجَعلْتُها حَائيَّةً ... فيها عجَائِبُ من صَحِيحٍ فَاتِح

فإذا أَبَيْتَ جَعلْتُها ضَاديَّةً ... من جَوْهريَّة ما تُجِنُّ جَوانِحِ] [a)

وقد كان المُكْتَفِي همَّ بحَمْلِ الأسَدِ من بابِ همَذَان إلىٰ بَغْدَاد، وذلك أنَّه نظَر إليه فَاسْتَحْسَنهُ وكتَب إلىٰ عَامِلِ البَلدِ يَأمُرهُ بذلك، فأجْمعَ وجُوه أهْل النَّاحِية وقالوا: هذا طَلْسَمٌ لبَلدِنَا من آفَاتٍ كَثيرةٍ، ولا يجوز قَلعُه فيَهْلَك البَلَد. ٣

فكَتبَ العَامِل بذلك إلىٰ الوَزِير وقد كَان كَتبَ إليه أنْ قَدِّر النَّفَقةَ عليه فإنَّا نوَجِّه بحَمْلِه، الفِيلَة تحْمِلهُ علىٰ العَجَلة، فلما ورَدَ كِتَابه إلىٰ السُّلْطَانِ بامْتِعاضِ أهْلِ البَلدِ من ذَاك، وفي الكِتَابِ أيضًا أنَّه لا يَسْتَوِي حَمْلُه للجِبَالِ والعِقَاب التي في الطَّرِيق لاسيَّما في الحُدورِ. فأجَابه أنْ اضْرِب عن حَمْلِه. ٦

(a-a) زيادة من المختصر.

---

[١] انفرد المختصر بذكر هذه القصيدة. جدير بالذكر أن القزويني – المعروف بنقله عن ابن الفقيه– قد نقل بعض أبياتها عن نفس الشاعر المذكور آنفًا. قارن: آثار البلاد وأخبار العباد، [مادة: همذان] ص٤٨٦.

[من عَجَائِب نهَاوَنْد]

٣ والعَامَّةُ تَزْعُم أنَّ الأَسَد ممَّا عمِلَتهُ الجِنُّ لسُلَيْمانَ بن دَاودَ عَليْهما السَّلام. وعلىٰ ابْرَا[١] جَبلِ نهَاوَنْد طَلْسَمان وهما صُورَة ثَور وسَمكَة من ثَلْجٍ لا يَذُوبَان شِتَاءًا ولَا صَيْفًا، وهما ظَاهِران مَشْهُورَانِ يَراهُما النَّاس .ويُقَال أنَّهما للمَاءِ حتىٰ لا يَقِل بنَهَاوَنْد

٦ ما في ذلك الجَبل خَاصَّة فأمَّا ذلك الجَبل فينْقَسم نِصْفَين: نِصف يَأْخُذ إلىٰ نَهاوَنْد، ونِصْف يَأْخُذ في الغَربِ حتىٰ يَسْقِي رُسْتَاقًا يُعْرَف برُسْتَاقِ الأشْتَر[٢].

و بنَهاوَنْد قَصَب تُتَّخذُ منه ذَرِيرة وهي هذا الحَنُوط[٣]، فما دَامَ بنَهاوَنْد وشيء

٩ من رسَاتِيقُها فهو والخَشب بمَنْزِلة [واحِدة][a] لا رَائِحة له، فإذا حُمِل منها وجَاوز العقَبة [١٢٨ظ] التي يُقَالُ لها عَقبةُ الرُّكَاب، فاحَت رَائِحته وزَالتْ الخَشبِيَّة عنه[٤].

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

---

[١] لفظة فارسية ربما كانت اسم الجبل.

[٢] نقل هذا الخبر عن ابن الفقيه كلا من ياقوت الحموي، والقزويني، وأشارا إلى أنها نقلاه عنه. انظر: معجم البلدان،[مادة أشتر] ج١، ص١٩٦؛ و[مادة: نهاوند] ج٥، ص٣١٣؛ آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٤٦.

[٣] الذريرة: البخور. والحنوط: خليط من الطيب يطيب به الجسم. انظر: ابن منظور:لسان العرب، ج٧، ص٢٧٨-٢٧٩.

[٤] يبدو أن هذه العجيبة من مشاهير عجائب همذان، حيث يذكر ياقوت أنه قرأ عنها في أكثر من كتاب. انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٣١٣؛ وقارن ما أورده القزويني عن عجائب نهاوند مصرحا بنقلها عن ابن الفقيه، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٧١.

وقد ذُكِر مثلُ هذا عن التُّفَّاح الشَّاميِّ، وأنَّه يُحْملُ من الشَّامِ ولَيْسَتْ له رَائِحة، ولا يَزال كذلك يُتَّخذ في الفُراتِ، فإذا انْحَدر فَاحتْ رَائِحتهُ وذكَّتْ، وهو شَيءٌ ٣ صَحِيحٌ لا يتَمارَىٰ فيه اثْنَان من أَمْرِ الذَّرِيرة وأَمْرِ التُّفَّاح.

وبنَهاوَنْد مَوْضعٌ يُقال له وَازْوَاز[a] البلَّاعة[b]، فيه حَجَرٌ كَبِيرٌ فيه ثُقبٌ يكُون فَتْحُه أكْثَر من شِبْرٍ يَفُورُ منه المَاءُ في كلِّ يَوْمٍ مَرةً أو مَرتَين. فيَخْرجُ وله صَوْتٌ عَظِيمٌ ٦ وخَرِيرٌ هَائِلٌ فيَسْقِي أرْضِينَ كَثِيرةً، ثمَّ يتَراجَع حتىٰ يَدْخُل ذلك الثُّقْبَ وينْقَطِع.

وذكر ابن الكَلْبي: أنَّ هذا الحَجرَ مُطَلْسَم بِسَبب المَاء لا يَخْرُج إلَّا وقَت الحَاجةِ ثمَّ يَغُور حين يُسْتَغْنىٰ عنه. ويقال إنَّ الأَكَّارَ[c] [1] يَجِيءُ إليه وقَتَ الحَاجَةِ فَيقِفُ بِإزَاءِ ٩ الثُّقْبِ ثمَّ يَنْقُرهُ بالـمَرِّ[2] دُفْعةً أو دُفْعَتينِ فيَفُور المَاء بَدَوِيٍّ شَدِيدٍ. فإذا سَقىٰ ما يُريد وبلَغ منه حَاجَتهُ تَراجَع إلىٰ الثُّقْبِ وغَارَ فَمهُ إلىٰ وَقْتِ الحَاجَة إليه. قال: وهَذا مَشْهورٌ بالنَّاحِية يَنْظُر إليه كلُّ من أحبَّ ذلك وأرَاده[3].

---

[a] رسمت في الأصل: وازوان. والتصويب من ياقوت.

[b] في المختصر بزيادة: في رستاق الاسفيدهان.

[c] في ياقوت: الفلاح.

---

[1] الأكار: هو من يقوم على زراعة الأرض وحرثها. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: أ ك ر]ج١٠، ص٦٧.

[2] المر: معزق من حديد أو نحوه مما يحفر به. انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج١، ص١٣٢.

[3] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه من ابن الفقيه، وصرَّح بذلك. إلا أنه علق في نهاية النقل بقوله: «... قلت: وهذا لنا مما فيه مرتاب». انظر: معجم البلدان، [مادة وازواز] ج٥، ص٣٤٧.

وبنَهاوَنْد أيضًا أعْجُوبةٌ مَشْهُورةٌ: وهي صَخْرةٌ عَظِيمةٌ في جَبلِهم يُقال لها كَلَان. فمن غَابَ له غَائِبٌ أو أَبَقَ له آبِق أو كان له عَلِيلٌ أو سُرِقَ منه شَيءٌ وأتىٰ إلىٰ الصَّخْرةِ فنَامَ عِنْدهَا. فإنَّه يَرىٰ أيِّ هذه الأمُورِ أرَاد علىٰ الصُّورَة التي هو علَيْها من الخَيرِ وغَيْرِه.

قال: ويوجَد علىٰ حَافَتي نهْرَها طِينٌ أسْودُ للخَتْمِ، وهو أجْوَدُ ما يَكون من الطِّينِ وأشَدُّهُ سَوادًا وتعلُّكًا. يزْعُم أهْلُ النَّاحِية أنَّ السَّرَاطِينَ تُخْرِجهُ من جَوْفِ النَّهْر وتُلْقِيه علىٰ حَافَّاته. ويقولون: إنَّهم لو حَفَروا في قَرارِ النَّهْرِ وجَوانِبهُ مَائة ذِرَاع أو أكثر ما وجَدُوا منه شَيْئًا إلَّا ما تُخْرجُهُ السَّراطِين[١].

وحدَّثَني رجُلٌ من أهْلِ الأدَبِ قال: رأيْتُ بنَهاوَنْد فتىٰ من الكُتَّابِ وهو شَبِيهٌ بالسَّاهِي[a] فقُلتُ له: ما حَالك؟ فقال (شِعْر):

[السريع]

يَا طُولَ لَيْلِي بنَهَاوَنْد   مُفكِّرًا في البَثِّ والوَجْدِ

فَمَرَّةً آخُذُ من مُنْيَةٍ   لَا تَجْلُبُ الخَيْرَ ولا تُجْدِي

ومَرَّةً أشْدُو بِصَوْتٍ إذا   غَنَّيْتهُ صدَّعَ لي كَبِدِي

قَد جَالَ الدَّهْرُ في جَوْلَةٍ   فَصِرْتُ منها ببَرُوجَرد

[١٢٩و] كأنَّني في خَانِها   مُسْتَوْحِشٌ في كَفِّ مُرْتَدِّ

الحَمْدُ لله علىٰ كُلِّ ما   قَدَّر من قَبْلي ومن بَعْدِي

[a] رسمت في الأصل: الساكي.

[١] انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، [مادة نهاوند] ج٥، ص٣١٣-٣١٤؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٧١.

وفي رُسْتَاقٍ من رَسَاتِيقِ نهَاوَنْد قَرْيَة يُقال لها: ليخَواسْت على تَلٍّ لها صُورَة فَرسٍ من حَشِيشٍ أخْضَر يَراهُ النَّاس في الشِّتاءِ والصَّيفِ نَاضِر الخُضْرةِ لَا يتغيَّر يقال أنَّها ٣ طَلْسَمٌ للكَلأ، فهي أكثَر بِلَاد الله حشِيشًا[١].

[من عجَائِب همَذَان]

٦ وبهَمَذَان صَخْرةٌ عَظِيمةٌ في موْضِعٍ يقال له تبنَابر[a] من دَارنَبْهَان[b]، وهذه الصَّخْرَة في سَفْحِ جَبلٍ وقد نُقِر فيها طَاقَان مُرْتَفعَان يكُونَان قَامتَين وبَسْطَة من الأَرْضِ يُقال [له] نبشت خزَايَان. وقَد نُقِرَ في كلِّ واحِدٍ من هذين الطَّاقَين مثل ٩ الأَلْوَاح في كلِّ واحدٍ منها عشْرُونَ سَطْرًا مَنْقُورةٌ مكْتُوبةٌ تُعْرَف بالكُشْتِج[٢].

يقال: إنَّ الإسْكَنْدَر اجْتَاز بهمَذَان ونظَر إلى هذه الصَّخْرة وحُسْنِها وارْتِفاعِهَا ومَلاسَتِها في سَفْحِ هذا الجَبلِ فأمَر بنَقْرِ الطَّاقَين فيها وكتَب عليها ما هو مَكْتُوب.

---

[a] رسمت كذا في الأصل.

[b] في الأصل: داذ نبهان.

---

[١] انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٥١.

[٢] الكشتج: كتابة فارسية تتكون من ثمانية وعشرين حرفًا، كان يكتب بها العهود والمرزبة والقطائع، وبهذه الكتابة كانت تنقش خواتيم الفرس وطرز ثيابهم وفرشهم وسكة ودراهمهم. للمزيد، انظر: النديم: الفهرست، ج١، ص٣٣.

وقَدْ ذكَر جَماعَة من عُلَماءِ النَّاحِية أنَّهم لا يَعْلَمون مَنْ عمِلَ الطَّاقَين وكَتبَ الكِتَابة لأنَّها قَدِيمة، وأنَّ الإسْكَنْدَر اجْتَاز بالمَوْضِع ونظَر إلىٰ الصَّخْرةِ وما عليها من الكِتَابةِ فاسْتَحْسَن ذلك وأمَر بِقَراءَة ما علىٰ اللَّوْحِ فقُرِئت. ٣

وكانت: الصِّدْقُ مِيزَانَ الله الذي يَدُورُ عليه العَدْل، والكَذِبُ مِكْيَالَ الشَّيْطَان الذي يَدْورُ عليه الجَور وهما يتَعَاجَان ويتَعاقَبان ويتَعَاوَرانِ في العِبَادِ والبِلَادِ، فإذا رَجحَ الصِّدقُ بالكَذِب رجحَ العَدْلُ بالجُورِ. ٦

وإذا مَالَ الكَذِب بالصِّدْقِ مال الجَور بالعَدْلِ فأطْبقَت الأرْضُ ذُنوبًا، فقُولوا الصِّدْق ولَوْ بمِقْيَاس شَعْرة، فإنَّه نُورٌ من نُورِ الله.

واجْتَنِبوا الكَذِبَ ولو بمِقْيَاس شَعْرة، فإنَّه عُدَّة من عُدَد الشَّيْطَان. واصْدُقُوا من صَدَقكُم يُولِّد الصِّدقُ صِدْقًا، ولا تُكَذِّبُوا من كَذَّبكُم فيُولِّد الكَذِبُ كَذِبًا. فإنَّ لهَمَا من طِبَاعِهمَا وجِنْسِهمَا لِقَاحًا ولهنَّ حَلبًا، فحَلبُ الصِّدْق ولِقَاحُه لمن تَمسَّكَ به النَّجاة، وحَلبُ الكَذِب ولِقَاحُه لمن تمَسَّك به الهَلكَة، وثَمرةُ ذاك دَاء، وثَمرَةُ هذا دَوَاء. ٩ ١٢

فكُونوا أيُّها الحُكَماء صِدِّيقِينَ تمتَلِئ أفْوَاهُكم نُورًا، ولا تكُونُوا كَذَّابِين فيَغلُب علىٰ ألْسِنَتكُم اللَّعْنة، فإنِّي افْتتَحْتُ بالله كَلَامًا كُنت به صَادِقًا، فمَشَيْتُ علىٰ المَاءِ وافْتَتَحْتُ [١٢٩ظ] بالشَّيْطَان كَلامًا كنتُ به كَاذِبًا فهَويْتُ في الظُّلْمةِ. فجَعلْتُ تَوْبَتي من تِلْكَ الكَذبَة عِظَتي في هذه الصَّخْرة ليَتَّعِظَ بي مُتَّعِظ ويَأْخُذ عن تَجْرِبتي آخِذ. فخُذُوا هذه الحِكْمَة النَّاطِقة عن هذه الصَّخْرَة الصَّامِتة. ١٥ ١٨

[a) ووقَفْتُ أنا وعَبْد الله بن مُحَمَّد بن زَنْجَويَه بن مَهْران، وهو من بُنْك[١] دهَاقِنة همَذَان وأصْحَاب سَارُوق وحِصْنهَا، فقَرأتُ عليه خَبَرَ الإسْكَنْدَر فأنْشَدني لنَفْسه:

٣ [السريع]

قَدْك عن القَهْوَة والحُورِ لَسْتَ مع الشَّيْب بمَعْذُورِ
تَقْدِمَةُ المَوْتِ مَشِيبٌ فهل أنْتَ عن اللَّهْو بمَزْجُورِ
كمْ لكَ يَا عَاقِلُ من عِبْرَة لَوْ نفَعَ الحَذَرُ لَمحْذورِ
كِتابَةٌ في سَفْحِ أرْوَنْدَنا في صَخْرَة من عَهْدِ سَابُورِ
الصِّدْقُ مِيزَانُ الجَوادِ الذي باليُسْرِ يَأتِي بعْد معْسُورِ
والـمَيْنُ مِكْيَال اللَّعين الذي أخْرَجنَا من مَعْدنِ الحُورِ
يا أيُّها النَّاطِق صِدْقًا لقد مُلئ به فُوكَ من النُّورِ
وأيُّها الشَّاهِدُ زُورًا لقد هَويتَ في هُوَّة دُرْدُورِ
إنِّي افْتَتَحْتُ القَوْل باللهِ كَي أمْشِي علىٰ سَاحلٍ مـَمْخُورِ
فظَلْتُ فوْقَ المَاء والبَحْرُ لي والمَوْجُ في طَاعةِ مَأمُورِ
وقُلتُ بالشَّيْطَانِ قَوْلًا به ظَلَلْتُ في ظُلْمَةِ دَيْجُورِ
كفَاكَ أنِّي تَائبٌ واعِظٌ في الحَجَرِ الصَّلْد عن الزُّورِ
خُذ هذه الحِكْمة عن صَخْرة تَبْقىٰ إلىٰ النَّفْخةِ في الصُّورِ] a)

(a-a) زيادة من المختصر.

[١] البنك: لفظة فارسية، تعني أصل الشيء. والمعنى أنه ينتمي إلى أصل طائفة الدهاقنة.

وقال بَعْضُ الحُكَماءِ: وجَدْنَا النَّاس قَبْلَنا كَانوا أعْظَم أجْسَامًا وأعْظَمَ من أجْسَامهُم أحْلَامًا، وأشدَّ قوَّة وأشَدَّ بقوَّتِهم امْتِحانًا، وأطْول أعْمَارًا وأطْولَ
٣ بأعْمَارِهِم للأمُورِ اخْتِبارًا.

فكَان صَاحِبُ الدِّين منهُم أبْلَغَ في أمْرِ الدِّينِ عِلْمًا وعَملًا من صَاحِب الدِّينِ منَّا، وكان صَاحِبُ الدُّنْيا علىٰ مثل ذلك من المُبالَغةِ والفَضْل، ووَجَدْناهُم لم يَرْضُوا
٦ بما قُلِّدُوا به من الفَضْلِ حتىٰ أشْرَكُونا معهم بأنْفُسِهم فيما ابْتَغُوا من عِلْمِ الآخِرةِ والأولَىٰ، فكَتبُوا به الكُتب البَاقِية [a][وضَربُوا الأمْثَالَ الشَّافِية][a] وكَفَوْنا به [مَؤونَة][b] التَّجَارِب والفِطَن.

٩ وبلَغ من اهْتِمامِهِم بذلك أنَّ الرَّجُل منهُم كان يُفْتَح له بَابٌ من العِلْمِ أو كَلِمةٌ من الصَّوابِ وهو بِالْبَلدِ غير المأهُول، فيَكْتبهُ في صخْرَةٍ من جَبلٍ وعلىٰ بَابِ قَصْرٍ خَراب ضنًّا منه بذلك وكَراهِية أنْ يسْقُط ذلك البَاب وتَشذُّ تلك الكَلِمةُ علىٰ من
١٢ يَأتي بعدهم، فكَتبُوا الكتب البَاقِية من العِلْمِ، وكان صَنِيعهُم في ذلك صَنِيعَ الوَالِد المُشْفِق علىٰ الولَد البَار[١].

(a-a) ساقطة من الأصل: والتتمة من ابن المقفع.

b) ساقطة من الأصل: والتتمة من ابن المقفع.

---

[١] هذه الفقرة بتمامها نقلها ابن الفقيه دون تنويه من كتاب الأدب الكبير والأدب الصغير، للأديب عبد الله بن المقفع، المتوفى ١٤٢هـ/٧٥٩م، دار الجيل، بيروت، دت. ص٧-٩.

وكانوا يعْمَدون إلىٰ المَوَاضِع المَشْهُورةِ والأمَاكِن المَعْروفَة التي هي أجْدَرُ أنْ تَبْقَىٰ علىٰ وجَه الدَّهْرِ وتَبْعد من الدُّرُوس فيَجْعَلون فيها الشَّيء من الحِكَمِ والبَابَ من العِلْم، كما كَتَبُوا علىٰ قبَّة غُمْدَان، وعلىٰ عمُودِ مَأرِب، وعلىٰ رُكْنِ المُشقَّر، وعلىٰ سَوَاري الإسْكَنْدرية، وعلىٰ إيوَان الحَضر وعلىٰ الأَبْلَقِ الفَرد، وعلىٰ الهَرَمَينِ، وعلىٰ بَابِ الرُّها، وعلىٰ بَابِ القَيْرَوان، وعلىٰ بَابِ سَمَرقَنْد، وعلىٰ صَخْرةِ هَمَذَان[1] .

[مملَحَة فَـرَاهَان]

قالوا: ومن عَجَائِب هَمَذَان المَلَّاحَة التي برُسْتَاقٍ يُقال له فَرَاهَان، وهي بُحِيرة تكُون أرْبَعة فَراسِخ في مِثْلِهَا، فإذا كانت أيَّام الخَرِيف واسْتَغْنىٰ أهْل تلك الرَّسَاتِيق عن المِياهِ للزِّرَاعة صُوِّبت سَائِر المَياه إلىٰ هذه البُحَيرة، فلا تَزال تُصَبُّ إليها سَائِر الخَرَيف والشِّتاء، فإذا كان وقتُ الرَّبِيع واحْتَاج النَّاس إلىٰ المَاءِ وقُطِعَ عنها فصَار[١٣٠و] مَاؤهَا كله مِلْحًا فَيأخُذهُ النَّاس ويحْمِلهُ الأكْرَاد الجَابَارِقَةُ وغيرهم إلىٰ البُلْدَان فَيُباع.

وزَعمَ ابن الكَلْبي أنَّ بُلُنْيَاس طَلْسَم هذه البُحَيْرة أنْ تكون مِلْحًا ما لم يُحْظَر عليها ويُمْنَع النَّاس، فمتىٰ حُظِر عليها ومُنِع النَّاس منها نَشفَت الماء أوَّلًا فأوَّلًا ولم يكن فيها شَيء من المِلْحِ[2] .

---

[1] انظر: الجاحظ: الحيوان، ج١، ص٤٩؛ المحاسن والأضداد، ص١٩.

[2] انظر [مادة: فراهان] لدى كل من: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٨؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٣١.

[في فَضْلِ النَّار]

٣ وفي هذا الرُّسْتَاقِ قَرْية يقال لها الفُرْدَجان، وكان فيها بَيْت نَار عَتِيق. وهي أَحْدُ النَّيرَان التي غَلتْ فيها المَجُوس مثل [نَار] آذرخُرَّه، جَمَّ شَاذَّ [a)] [١] وهي الأولَى.

ونَار ماجُشْنَسْف وهي نَار كَيْخِسْرُو [٢] لأنَّ المَجُوس غلَتْ في هذه النِّيران غُلوًّا

٦ لا تَضْبِطهُ العُقول فقالوا: كان مع زَرَادُشْتَ [٣] مَلَكٌ يشْهَد له عند كُشْتَاسف [٤] أنَّه رسُول ثمَّ عَاد نَارًا.

[a)] في الأصل جم الشيذ: والتصويب من الحيوان.

[١] جم شاذ بن يوَنْجهان: أول من ملك الأرض من ولد آدم عليه السلام، قيل إنه كان يقطع الدنيا كل يوم كما تقطعها الشمس، وهو عندهم سليمان النبي عليه السلام. انظر في ترجمته: ابن قتيبة، المصدر السابق، ج١، ص٦٥٢؛ محمد بن حبيب: المحبر، ص٣٩٢.

[٢] كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس، أحد ملوك الفرس الأُول. يقال إنه حكم بلاد الفرس ستين سنة. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج١، ص٥٠١؛ مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج١، ص٧٦.

[٣] زرادشت بن سقيمان، ادعى النبوة وتبعه المجوس، صنف كتابًا يقع في اثني عشر ألف جلد من جلود البقر، وسماه أشتا. انظر في ترجمته: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٧٩-٨٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٢٥-٢٢٧.

[٤] كشتاسف: أحد ملوك الفرس، وهو الذي أتاه «زرادشت» بكتاب المجوس، وكان ملكه تسعين سنة. انظر: ابن قتيبة الدينوري: المعارف،ج١، ص٦٥٢.

وأما نَار جَمَّ شَاذَّ [a] فهي نَار آذْخُرَّه كانت بخَوَارَزْم فنقَلهَا أَنُوشِرْوَان إلىٰ الكَارِيَان، فلمَّا ملكتِ العَرب تَخوَّفَت المَجُوس أنْ تُطْفأ فصَيَّـروهَا جُزئَينِ جُزء بالكَارِيَان وجُزْءٌ حُمِلَ إلىٰ فَسَا.

لأنَّهم قالوا إنْ طُفِئت واحِدَة بقِيَت الأُخْرىٰ. فأما آذَرجُشْنَسْف نَارُ كَيْخِسْرُو فإنها كانت ببَرزَة من أذْرَبِيجَان فنظَر أَنُوشَرْوَان في ذلك وفكَّر فنَقلهَا إلىٰ الشِّيز لأنَّها عظِيمةٌ عندهم[1].

وفي زَمْزَمَةِ المَجُوس[2] أن نَارَ آذَرجُشْنَسْف يُوكَّلُ بها مَلكٌ بالبركةِ، وبالبركةِ مَلكٌ بجَبلٍ يقال له سَيْلَان مُلْك وإنَّ هَؤلَاء الأمْلَاك الثلاثَةِ مَأمُورونَ بتَأْييد أَصْحَاب الجُيوش.

فقال أَنُوشرْوَان: لا يُمْكنني أنْ أنْقُل نَار آذَرجُشْنَسْف والبركَة إلىٰ سَيْلَان فأجمَعهُنَّ ثَلاثَتهنَّ، فإذا فَاتَني هذا فإنِّي أنْقُل آذَرجُشْنَسْف إلىٰ هذه البركةِ لتُعَاون الملَكَين.

وأما نَارُ زَرَادُشْتَ فهي بنَاحِيةِ نَيْسَابُور ولم تُحوَّل وهي [أَحَدُ] [b] الأَصُول من نِيَرانِهم، ومَّما غَلتَ فيه المَجُوس أيضًا نَار آذَرجُشْنَسْف وهي النَّارُ التي بالفَراهَان.

[a] في الأصل جم الشيذ: والتصويب من الحيوان.

[b] زيادة من المختصر.

[1] قارن هذا النص بما لدى: القمي: تاريخ قم، مطبعة مجلس، طهران، ١٩٣٤م. ص٨٨.

[2] الزمزمة: تكلف المجوس الكلام عند الأكل وهم صموت لا يستعمل اللسان ولا الشفة في كلامها، وإنما هو صوت منه تديره في خياشيمها فيعرف بعضهم كلام بعض. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ز م ز م] ج٣٢، ص٣٢٨-٣٣٢.

قال المُتوكِّليُّ[١] : فحدَّثني بعضُ المَجُوسِ ممَّن رَآهَا أن مَزْدَق[٢] لمَّا غلَب علىٰ قُبَاذ[٣] قال: يَنْبغِي أنْ تُبْطَل النِّيرانُ كلُّها إلَّا الثَّلاثَ الأَوائِلَ وتُنْقَل هذه إليهن [ففَعل][a].

فذكَر أنَّ نَار آذَرجُشْنَسْف خرجَت حتىٰ صَارت إلىٰ آذَرجُشْنَسْف بأذْرَبِيجَان فاخْتَلطَت معها فكانوا إذا أضْرَمُوها ظَهرت نَار آذَرجُشْنَسْف حَمْراء وظَهرتْ آذَرجُشْنَسْف بيْضَاء إذا دَسَّمُوها بالشَّحْم.

فلمَّا قُتل مَزْدَق رَدَّ النَّاسُ النِّيرانَ [١٣٠ظ] إلىٰ أماكِنهَا فافْتَقدُوها بأذْرَبِيجَان، فلم يزَالوا يقْتَفُون أثَرها حتىٰ وقَفُوا علىٰ أنَّها رجَعتْ إلىٰ الفُرْدَجَان. فلم تَزل في هذا البَيْت وفي هذه القَرْية إلىٰ سنة اثْنَتيْنِ وثَمانِينَ ومِائتَين.فإنَّه صَار إليها أبْزُون التُّركيُّ وكان يتولَّىٰ قُم فنَصبَ علىٰ سُور القَرْية المجَانِيق والعَرَّادَات حتىٰ افْتَتحَها وأخْرَب سُورهَا وهَدمَ البَيْت وأطْفَأ النَّار وحمَل الكَانُون إلىٰ قُمَّ فبَطلَت النَّار مُنذ يومئِذ.



[a] زيادة من المختصر.

[١] المتوكلي: زرادشت بن آذرخور، ويعرف بمحمد المتوكلي، نقل عنه ياقوت مادة جغرافية تتعلق بسورستان العراق. انظر: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٩.

[٢] مزدق بن بامداذ، ويقال فيه: مزدك، وتفسيره: حديد الملك. دعا إلى دين زرادشت، وإليه تنسب النظرية التي تسمى المزدقية، أو العدلية. انظر في ترجمته: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٩؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٨٨-٨٩.

[٣] قباذ بن فيروز. انظر ترجمته فيما تقدم ص٤٢١.

وزَرَادُشْتَ[١] شَدَّد عليهم في الوَعِيد لما رَأىٰ من بردِ بِلَادهِم، ولذلك أمَرهُم بعِبَادة النِّيران، لأنَّ أهْل الكَلام يزْعمُون أنَّ زَرَادُشْتَ جَاء من بَلخ فادَّعَىٰ الوَحي وأنَّه نزلَ عليه الوَحي علىٰ جَبلٍ يقال له سَيْلَان، وأنَّه حين رَأىٰ سُكَّان تِلكَ النَّاحِية البَارِدة لا يعْرِفُون إلَّا الأذَىٰ بالبَرد، ولا يَضْرِبُون المَثل إلَّا به ولا يتوعَّدُون إلَّا به؛ حتىٰ يقُول الرَّجُل لعَبْدِه إذا أذْنَب ذَنبًا عظِيمًا: لئِن عُدْتَ إلىٰ مثل هذا لأنْزِعَنَّ ثِيابَك ولأقُيمَنَّك في الرِّيح، ولأطْرَحنَّك في الثَّلْجِ، فلمَّا رأىٰ أنَّ مَوْضِع البَرد عندهم هذا المَوْقِع جعَل الوَعِيد بتَضاعيفه، وظنَّ أنَّ ذلك أزْجَرُ لهم.

وقال عَبْدُ الله بن زِيَادٍ[٢]: كان سَببُ عِبادَة النَّار عند المَجُوس أنَّه لَمَّا وُلِدَ المَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رأىٰ المَلِكُ الذي كان وَقْتهُ للفُرْسِ ـ وقد قِيلَ أنَّه كان أرْدَشِير ـ كان يَرْقَىٰ نَعْشًا ثمَّ أُحْرِقَ نَجْمه، فهَالهُ ذلك وجزَع منه، وسَأَل عن القصَّة فبَلغهَ خبَرُ المَسِيح. فأهْدَىٰ إليه هَدِيةً فيها صَبْرٌ وعَسلٌ مع ثَلاثَة رجَالٍ من أهْل فَارِس، فانْطَلقُوا إلىٰ بِلادِ الشَّام حتىٰ لَقوه ودَفَعوا إليه الهديَّة، فقَبِلها.

ثمَّ إنَّ المَسِيح أهْدَىٰ إلىٰ مَلِكِ الفُرْسِ ثَلاثَة أقْراصٍ من خُبْزِ شَعِيرِ قُرْبَانًا مع الرُّسلِ وأوْصَاهُم بوَصِيَّة. فخَرجُوا من الشَّامِ يُرِيدُون بَلَدَ فَارِس.

فبَيْنَما هم في الطَّرِيق إذ قَال واحِدٌ منهُم: لو أكَل كلُّ واحِدٍ منَّا قُرْصًا من هذه الأقْرَاص فكان يَفُوز بالفَضْلِ الذي فيها، فإنِّ هذا الرَّجُل - يعنِي المَسِيح- لم يَكن

---

[١] من هنا إلى آخر الخبر نقلٍ عن الجاحظ: انظر: الحيوان، ح٥، ص٦٧.

[٢] عبد الله بن زياد بن سمعان المدني الفقيه، ضعيف عند أهل الحديث. انظر في ترجمته: الدارقطني: الضعفاء والمتروكون،ج٢، ص١٥٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص١٢٣.

يوجِّه إلىٰ المَلكِ هذه الأقْرَاصَ إلَّا لفَضْلٍ عَظِيمٍ فيها، فتتَابع اثْنَان علىٰ ذلك وأكَلاَ قُرْصَيهِما وأبَىٰ الثَّالث أنْ يفْعَل. فقَالَا له: إنَّا نخَافُ علىٰ أنْفُسِنا من المَلِك إنْ وقفَ
٣ علىٰ ما فعَلنَا. فإمَّا [١٣١و] أنْ تَأكُل قُرْصَك وإمَّا أنْ نقتُلَك.

قال: فإنِّي آكِلهُ. وأوهَمهُم ذلك ثمَّ دفَنه، وانْطَلقُوا حتىٰ صَارُوا إلىٰ صَاحِبهِم فقال لهم: ما الذي قال لكم ؟ فعرَّفُوه ما أوْصَاهُم به.

٦ قال: فأيُّ شيءٍ وجَّه معكُم؟ قالوا: لم يُوجِّه معنا شيئًا. فقال: كذَبْتم. ما كان ليرُدَّكُم بغَير شَيءٍ. أصْدِقُوني ما الذي صَنعْتُم بما أعْطَاكُم؟ فصَدقُوه عن الأمْرِ. وعرَّفهُ الذي لم يَأكُل القُرْصَ ما فعَل به ووصَفَ له المكان الذي دَفنهُ فيه.

٩ فقال: انْطَلق بنَا حتىٰ تقِفْنَا علىٰ المَوْضِع الذي دَفنْتَهُ فيه. فانْطَلقَ والمَلِكُ معه. فلمَّا صَار إلىٰ المَوْضِع أوقَفهُ عليه. فأمَر أنْ يُحفَر المكَان ويُسْتَخْرج القُرْص، ففعَلوا ذلك. فهَاجتْ في وجُوهِهم نَارٌ عَظِيمةٌ منَعتْهُم من اسْتِخْراجه. فحَاولُوا ذلك غير
١٢ مرَّة وهي تَمْنَعهُم. فقال أرْدَشِير: بهذه النَّار أرْسَلكُم. فمن يومئِذ عَظَّمت فَارِس النَّار وعَبدتها.

ورأينَا جَماعةً من عُلَماءِ المَجُوسِ يَدْفعُونَ هذا ولَا يعْتَرِفُون به، ويَزْعمُونَ أنَّ
١٥ تعْظِيمَ النَّارِ قبلَ مَوْلِد المَسِيح بالدَّهْرِ الطَّويل[١].

[١] لهذه الواقعة ذكر مختلف لدى المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص٢٤٥-٢٤٦.

وقال الجَاحِظ:[١] من المَواضِع التي عُظِّمت النَّار لها، أنَّ الله ﷻ جعَلهَا لَبِني إسْرَائِيل في مَوْضِعِ امتِحَانِ إخْلاصِهِم، وتَعرُّفِ صِدقِ نِيَّاتِهِم، فكانوا يتقَرَّبُون بالقُرْبان. فمن كان منهُم مُخْلِصًا نزلَتْ نَارٌ من قِبَلَ السَّماءِ حتىٰ تُحِيطَ بقُرْبَانه فتَأكُلهُ، ومن لم تَأكُل النَّار قُرْبَانه قَضُوا علىٰ صَاحِبه أنَّه مَذْمُوم القَلْبِ فَاسِد النِّيَّـةِ. فهذا بَابٌ ممَّا عظَّمَ الله به شَأن النَّار في صُدورِ النَّاس.

ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:٩- ١٢]

وقال في مَوْضِعٍ آخَر: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠] والنَّار من أكبَرِ المَاعُون، [وأعْظَمِ المَرافِق][a] ولَوْ لم يكُن فيها إلَّا أنَّ الله ﷻ جَعلهَا الزَّاجِرة عن المعَاصِي لكان ذلك ممَّا يزِيد في قَدْرِها وفي نَبَاهةِ ذِكْرِها.

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٠- ٧٣] وقِفْ عند هذا القَوْل. فإنْ كُنتَ مؤمِنًا فتذَكَّر ما فيها من النِّعمَةِ أوَّلًا ثمَّ النِّقْمةِ آخرًا، ثمَّ قَوِّم مقَادِيرَ النِّعمِ وتصَاريفهَا.

---

[١] قارن: الحيوان: ج٤، ص٤٦١-٤٦٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٧٢.

وقد عَلمْنَا أنَّ الله ﷻ قد عذَّب الأممَ بالَغرَق، والرِّياحِ، والحَاصِب، والصَّواعِق، والخَسْف وغير ذلك، ولم يَبْعث عليهم نَارًا كما بَعثَ عليهم مَاءً ورِيحًا وأحْجَارًا. وجعَل النَّار من عِقَاب الآخِرة، ونَهىٰ أنْ يُحْرَق بها شَيء من الحَيوانِ والهَوامِّ فقد عظَّمهَا كما ترىٰ.

وقال ﷻ: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٣٥-٣٦] فجعَل الشُّواظَ والنُّحَاسَ وهمَا النَّارُ والدُّخَانُ من الآيَة. فلذلك قال علىٰ نَسَق الآيَةِ: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن:٣٦] .

ونَارٌ أُخْرَىٰ، وهي نَارُ إبْرَاهيمعَلَيْهِالسَّلَامُ التي أُلْقِي فيها فجَعلهَا الله ﷻ عليه برْدًا وسَلَامًا.

ونَارٌ أخْرَىٰ، وهي النَّارُ التي كانوا [يَسْتَمْطِرونَ بها][a] في الجَاهِليَّةِ [الأولىٰ فإنَّهم كانوا][a] إذا تَتابعَتْ عليهم الأزمَات واحْتَاجُوا إلىٰ الاسْتِمْطَار، اجْتَمعُوا وجمعَوا ما قَدَرُوا عليه من البَقرِ، ثمَّ عقدُوا في أذْنَابها السَّلع والعُشَر[١] المَشْدُود في أذْنَابِ البَقر [b][ثمَّ صَعِدُوا بها في جَبلٍ وعرٍ، وأشْعَلُوا فيها النِّيرانَ][b] وضَجُّوا بالبُكَاء والدُّعَاءِ والتضَرُّع. فكَانوا يَرْوْنَ أنَّ ذلك من أسْبَابِ السُّقْيا لهم[٢].

---

[a] تتمة من: الجاحظ: الحيوان.

(b - b) تكملة العبارة من الجاحظ: الحيوان.

---

[١] السلع والعشر: ضربان من الشجر، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذي ذكره الجاحظ.

[٢] قارن: الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٦١-٤٧١.

ولذلك قال الشَّاعر[١] (شِعْر):

[البسيط]

لا دَرَّ دَرُّ رِجَالٍ خَابَ سَعْيُهُم يَسْتَمْطِرُون لدَىٰ الأَزَمَاتِ بالعُشَرِ

أجَاعِلٌ أنت بَيْقُورًا مُسَلَّعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بينَ الله والمَطَرِ

٣ ونَارٌ أُخْرَىٰ كانوا يُوقِدُونَها عند التَّحَالُف والتَّعَاقُد [a][فلا يعْقِدون حِلفَهُم إلَّا عندها][a] فَيَذْكُرون منَافِعها ويدْعُون الله بالحِرمَان والمَنع من منَافِعها علىٰ الذي يَنْقُض العَهْد ويَخِيس[٢] العَقْد، وربَّما دَنوْا من النَّار حتىٰ تكَاد تحْرِقهُم ويهوِّلون بذلك

٦ علىٰ من يَخافُون غَدره.وقال الكُمَيْت[٣] (شِعْر):

[الطويل]

كَمَا شَبَّ نَارَ الحَالِفينَ المهَوِّلُ[٤]

٩

(a-a) التتمة من: الجاحظ.

---

[١] ذكر الجاحظ أن من أنشد هذه الأبيات: هو الوليد بن هشام القذحمي، للورل الطائيِّ.

[٢] خاس العهد: أي نقضه وغدر به. انظر: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج١، ص٦٠٠.

[٣] لا ندري عن أي كميت نقل المؤلف. ذلك أن من يقال له الكميت ثلاثة من بني أسد بن خزيمة: فمنهم الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس، والكميت بن زيد بن خنس الأسدي، والكميت بن معروف بن الكميت الأكبر .انظر: الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم، ص٢٢٣؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٤٧-٣٤٨.

[٤] استشهد الجاحظ ببيت آخر للكميت، انظر: الحيوان، ج٤، ص٤٧٠؛ والبيت بتمامه:

هم خوفونا بالعمى هوة الردى ... كَمَا شب نَار الحالفين المهول.

انظر: عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م. ج٧، ص١٥٢.

ونَارٌ أخرَىٰ كانوا يوْقدونَها خَلفَ المُسَافِر الذي لا يَروْن أنْ يعُود من سَفَره.

ونَارٌ أخْرَىٰ وهي نَارُ الحرَّتَين[١]: نَار خَالِد بن أبي سِنَان أحَد بَنِي مَخْزُوم من بَنِي قَطيْعَة بن عَبْس – وكان يُقال نَبِي– ولم يكُن في بَنِي إسْماعِيل بن إبْرَاهِيم ﷺ نَبِيٌ قبله. [a]وهو الذي [١٣٢و] أطْفَأ نَار الحرَّة[a] بِبلاد بَني عَبْس حرَّة تَسْطَع بالنَّهار دخَانًا وتَتَّقِد باللَّيل نَارًا، وربَّما بدَرت منها العُنق فأتَتْ علىٰ كلِّ شَيءٍ تناله.

فكان أهْلُ تِلك الأرْضِ منها في بَلاءٍ عَظِيم حتىٰ بعَث الله خَالِد بن سِنَانٍ فسَاقهَا بعَصَاه حتىٰ أدخلَها بِئْرًا كانت بالحَرَّة ثمَّ اقْتَحم معها البِئر حتىٰ غيَّبها ثمَّ خَرج. وقد ذكَرنا أخْبَاره في كِتَاب العجَائِب[٢].

والمُتكَلِّمونَ يدْفَعُون أمْرَ خَالِدًا ويقُولُون: كان أعْرَابِيًّا وبَرِيًّا من أهْلِ شَرْجٍ ونَاظِرَة[٣]، ولم يْبَعث الله نَبِيًّا قَطُّ من العرَبِ الذين ينْزِلُون البَادِية ويسْكُنونَ بُيوتَ الوَبَر[٤] وإنَّما يبْعَثهُم من القُرىٰ وسَاكِني المُدُنِ.

(a-a) في الجاحظ: وهو الذي أطفأ الله به نار الحرَّتين.

---

[١] قارن: الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٩٧.
والحرة: أرض ذات حجارة نخرة سود. والحرتان: هما حرة ليلى لبني مرة، وحرة النار لغطفان. أما حرة ليلى فهي من وراء وادي القرى من جهة المدينة. وحرة النار قريبة من حرة ليلى قرب المدينة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٥– ٢٤٧.

[٢] يشير ابن الفقيه هنا إلى كتاب العجائب الذي ألفه قبل كتاب أخبار البلدان، بيد أن هذا الكتاب لم يصلنا.

[٣] شرج وناظرة: ماءان لعبس. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٤– ج٥، ص٢٥٢.

[٤] أهل الوبر: هم قوم من أهل البادية يعيشون في بيوت من وبر الإبل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٢٧١.

وقال خُلَيْلدُ بن عَيْنَيْنِ العَبْدِيُّ[١] (شِعْر):

[الطويل]

وأيُّ نَبِيٍّ كان في غَيرِ قَوْمِهِ وهَلْ كان حُكْمُ الله إلَّا مع النَّخْلِ

٣ وأَهْلُ الكِتاب يزْعُمُون أنَّ الله أَوْصَاهُم بالنَّار، وقال: «لا تُطفِئوا النَّار من بُيوتِي» فلذلك لا تَجِد الكنائِس وجَمِيع بيُوتِ العِبَادَة تَخْلُو من نَارٍ مُوقَدةٍ في سُرُجٍ وقَنادِيل لَيْلًا ونَهارًا.

٦ أمَّا المَجُوس فإنَّهم لم يَرْضُوا بمَصَابِيح أهْلِ الكِتَاب لَيْلًا ونَهارًا حتى اتَّخذُوا للنِّيرانِ البُيُوت والسَّدَنَة ووقَفُوا عليها الغَلَّاتِ الكَثِيرة. وهم يُقدِّمُون النَّار في التَّعْظِيم على المَاءِ، ويُقدِّمُون المَاءَ في التَّعْظِيم على الأَرْضِ. ولا يكَادُون يَذْكُرون ٩ الهَواء. ومازَالتْ السَّدنَةُ تحْتَال للنَّاس من جِهة النِّيرَان بأنْوَاع الحِيل كاحْتِيالِ رُهْبَان كَنيسَةِ القِيامَةِ ببَيْتِ المَقْدِس [بمَصَابِيحهَا][a] [٢].

بقَوْلهم في بَعْضِ الأعْيَاد: يُطْفِئونَ سَائِر القَنادِيل التي في البَيْعَة، وأنَّ نَارًا تَنْزِل ١٢ من السَّماءِ حتى تُلْهِب قِنْدِيلًا قد جعَلُوه لذلك. وأنَّ النَّار التي تُلْهِبه تكون بَيْضَاء ليْسَت لها حَرَارة، فكُلَّما أُلْهِبَ منها قِنْدِيل آخَر أَخَذَتْ في الاحْمِرار والحَرَارة حتى

[a] الزيادة من: الحيوان.

[١] خليد بن عينين العبدي: شاعر من ولد عبد الله بن دارم ،كان ينزل أرضًا بالبحرين يقال لها "عينين" فنسب إليها. انظر: ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج١، ص٤٥٥.

[٢] قارن: الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٦١-٤٧١.

تعُودَ إلىٰ الطَّبْعِ. وكمَا قالت المَجُوس في آذَر وجَوي وشَق حين بَنَوا الكَانُون علىٰ قيَّارة ونفَّاطَة.

ونِيَرانٌ أُخَر منها: نَارُ البَرقِ ونَار الحَبَاحِب وهي اليَرَاعَةُ. واليَراعَة: دُودَةٌ خَضْراءُ تَكون في آخِر الرَّبيع تَطِيرُ باللَّيلِ كأنَّهَا شَرارَةُ نَار. فإنْ أخَذَها آخِذٌ وجَعلَها في يَدِهِ ونظَر إليها كأنَّهَا نَارٌ. وأهْلِ القرىٰ يجعلونها جباههم يلعبون بذلك وهي بالنهار دودة خضراء.

ويقال إنَّ بطَلًا أرَاد السُّلْطَانُ معَاقَبتَه، فأقَامَهُ في مَاءٍ بعْض النَّهار [١٣٢ظ] وكانت لَيْلَة بَارِدَة كثِيرة الثَّلْجِ، فنظَر إلىٰ مِصْبَاحٍ في القَرْيةِ فوَضَع عَيْنَيهِ عليه، ولم يَزل في الحَيَاةِ حتىٰ خمَد المِصْبَاح. فلمَّا خمَد مَاتَ الرَّجُل من وقْتِه، فكَانت حَياتُه بنَظَرِهِ إلىٰ النَّار.

وذكر الله ﷻ فضل النار في عدة مواضع من كتابه من ذلك قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]. فجعَلهَا من أعْظَم المَاعُون معُونَةً، وأخفَّها مَؤونَة. والمَاعُون الأكْبَر: المَاء والنَّار، ثمَّ الكَلأ والملْح.

والوَجْه الآخَر من الامْتِنَان بالنَّار قوله: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ...﴾ الآية [الرحمن:٣٥] . ولَيْس يُريد أنَّ إحْرَاق العِبَاد بالنَّار من آلائِهِ ونعْمَائِه، ولكنْ أرَادَ به الوَعِيد الصَّادِق إذ كان في غَايةِ الزَّجْر فهو من النِّعَم السَّابِغةِ والآلَاءِ العِظَام. وكذلك نقوُل في خَلْقِ جهنَّم: إنَّهَا نِعْمةٌ عظِيمةٌ ومِنَّةٌ جَلِيلَةٌ، إذ كان زَاجِرًا عن نَفْسِه نَاهِيًا وإلىٰ الجنَّةِ دَاعِيًا.

ثمَّ بالنَّار يَعِيشُ أهْلُ الأرْضِ من وجُوه: فمن ذلك صَنِيعُ الشَّمْسِ في البَرْدِ والمَاءِ والأرْضِ؛ ولأنَّها صَلاحُ[a] جمِيع الحَيَوان عِنْد حَاجَتِها إلى دَفْعِ عَادِيَة البَرْدِ. ثم ٣ سِراجُهم الذي به يسْتَصْبحُونَ [به][b] وبضِيائِه يُميِّزون [بين][b] الأُمُور.

وفي الأَرْضِ عُيون نَار، وعُيونُ زِئْبَق، وعُيونُ نَفْط وكَبْرِيت، ومعَادِن ذَهَب وفِضَّة ورُصَاص ونُحَاس وحَدِيد. فَلوْلَا ما في بَطْنِ الأَرْضِ من أجْزَاءِ النَّار ما ذَابَ ٦ في قَعْرِهَا جَامِدٌ، ولما انْسَبك في معَادِنِها شَيءٌ من الجَواهِر، [c] ولمَا كان لقُواهَا جَامِع ولخُبْثِهَا مُفَرِّق[c][1].

[رسَاتِيق هَمَذَان]

٩ ثمَّ رجَعَ بنا القَولُ إلى ذِكْرِ البُلْدَان، قالوا: وفي بَعْض رسَاتِيق هَمَذَان عُيونُ مَاءٍ تَنْبُع، فإذا جَرىٰ من مَكانِه وزَال عن مَوْضِعهِ يـتَحَجَّر وصَارَ صَخْرًا يُبْنَىٰ به الأبْنِية. وقيل أيضًا: إنَّ الشَبَّ اليَمانِيَّ إنَّما هو مَاءٌ يَقْطُر من كُهوفٍ في جَبالِ باليَمن.

١٢

[a] في الجاحظ: صلاء.

[b] الزيادة من: الجاحظ.

[c - c] في الجاحظ: ولما كان لمتقاربها جامع، ولمختلفها مفرق.

[1] إلى هنا ينتهي ما استخرجه ابن الفقيه من كتاب الحيوان، للجاحظ. ج٤، ص٤٦١ - ٤٧١: ج٥، ص٦٧-١٠٢.

فإذا وقَع إلىٰ الأَرْضِ اسْتَحْجَر وصَار شَبـًّا وحُمِل إلىٰ سَائِر البُلْدَان. وكذلك النُّوشَاذر ومَعْدَنهُ كَهْفٌ بكَرْمَان.

٣ وزَعِمُوا أنَّه بُخَارٌ يتكَاثفُ في ذلك الكَهْفِ، فإذا اجْتَمعَ خَرجَ إليه السُّلْطَان وأهْلُ البَلدِ فجَمعُوه وأخَذَ السُّلْطَان حِصَّةً منه، وسَلَّم البَاقِي إلىٰ أهْل البَلدِ فتَوزَّعُوه علىٰ رُسومٍ قد تَراضُوا بها.

٦



[ذكْرُ ما خَصَّ الله به كلَّ بَلْدةٍ
٣ بشَيءٍ من الأَمْتِعةِ دون غَيْرِهَا]

وقال بعْضُ العُلَماء: لَوْلَا أنَّ الله ﷻ بلُطْفِه خَصَّ كلَّ بَلدٍ من البُلْدَان وأعْطَىٰ كلَّ إقْلِيمٍ من الأقَالِيم شيئًا قد منَعهُ غيره [١٣٣و] لبَطلَتْ التِّجَارات وذَهبَت الصِّنَاعَات،
٦ ولَمَا تغَرَّب أحَدٌ ولا سَافَر إنْسَان ولتَركُوا التَّهَادِي فيما بينهم من العَجَائِب ولذَهَب الشِّرىٰ والبَيْعُ والأَخْذُ والإعْطَاء.

إلَّا أنَّ الله جَلَّ وتقَدَّس أعْطَىٰ كلَّ صَقْعٍ نَوْعًا من الخَيْرَات لم يُعْطِه الصّقْع الآخَر
٩ ليُسَافِر هذا إلىٰ بَلدِ هذا، فيَحْمِلَ مَتَاع أرْضِه. وهذا إلىٰ مَدِينةِ هذا فيَحْمِل عجَائِب مَدِينَته.[a) ويَسْتَمْتِع قَوْمٌ بأمتِعةِ قَوْمٍ ليَعْتَدِلَ القَسْمُ ويَنْتَظِمَ التَّدبِيرُ، قال الله ﷻ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
١٢ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[a) [الزخرف:٣٢].

وقيلَ في قَوْل الله ﷻ: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ [فصّلت: ١٠] إنَّه أرَادَ ما جعَلهُ في بَلَدٍ دون بَلَدٍ، مثل الكَاغِد بسَمَرْقَند، والقِرْطَاس بِمصْرَ[١].

١٥

(a-a) ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

---

[١] قارن: مختصر الكتاب، ص٢٥١.

ولذلك خَصَّ بِلَادَ الهِنْدِ بأَنْوَاعِ الطَّيِّبِ والجَوَاهِر واليَواقِيتِ وأَشْبَاهِ اليَواقِيتِ، وغير ذلك من الأَحْجَارِ الْمُثَمَّنَةِ.

٣ وهم أَصْنَافُ الطِّيبِ كالعُودِ والعَنْبَرِ والكَافُورِ والقُرنْفُل والخُولَنْجَان والدَّارَصِينِي وغير ذلك من أنواع الطيب.

وهم من الصَّيْدلة: التُوتْيَاء، والهَلَيْلج، وأَنْواعٌ كَثِيرةٌ لو ذكَرْنَاهَا لطَال بها ٦ الخَطْبُ، ولخَرجَ الكِتَابُ من الغَرضِ الذي قَصدنَاه.

وهم القِثَّاء والخَيْزُرَان[١] والبُقَّم[٢] والصَّنْدَل الأَحْمَر والأَبْيَض، وهم السَّاج والفُلْفُل وفي بِلَادِهم الطَّوَاوِيس والفِيَلَةُ والكَرْكَدَّن[٣].

٩ وقد خَصَّ الله أَهْلَ الصِّين بإحْكَام الصِّنَاعَات وأَعْطَاهم ما لم يُعْطِ أَحَدًا، فلهُم الحَرِيرُ الصِّينِيُّ والغَضَائِر الصِّيْنِيُّ والسُّرُوج الصِّيْنِيُّ وغير ذلك من الآلَات الْمُحْكَمةِ العَجِيبة الصَّنْعَة الْمُتْقَنةِ العَمل، وهم أيضًا مِسْكٌ إلَّا أنَّه ليس بجَيِّدٍ. وقالوا ١٢ إنَّما يتَغيَّـرُ في البَّحرِ لطُولِ المسَافة.

[١] الخيزران: نوع من النباتات يعد من الفصيلة النجيلية لين القضبان أملس العيدان. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٢٣٧.

[٢] البقم: نوع من الخشب، تطبخ أوراقه ويستخدم للتداوي. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ب ق م] ج٢٢، ص٢٩٤.

[٣] الكركدن: حيوان ثديي عظيم الجثة، وهو ما يعرف لدينا الآن "بوحيد القرن": انظر: المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٨٤.

ثمَّ الرُّومُ وما قد خَصَّهُم الله به من العُلومِ والآدَابِ وما قَدْ أعْطُوا من الهَنْدَسَةِ والفَلْسَفةِ والحَذقِ بالأبْنِيةِ والمصَانِع واتِخَاذِ الحُصُون وعَقْد القَنَاطِرِ والجُسُور، وعمَلِ الكِمْيَاءِ والكِسَاءِ الرُّوميِّ والفرفِير[١] والبُزْيُون[٢]. وفي بلادهم المَيْعَة[٣] والمُصْطُكى[٤].

ثمَّ النُّوبة وما قد خُصُّوا به من جَوْدَة الرَّمي، وما قد انْفَردَ به بلَدهُم من العَجَائِب. ولهم الخَيلُ العَجِيبة والنُّجَب[٥] التي تَسْبقُ الخَيْل، ولهم الكِلَابُ التي تُقَاتِل الأُسْدَ. وكذلك البَجَة[٦] وفي بِلَادِهم الزَّبْرجَد ومَعْدن الذَّهَبِ (a)وزِيُّهم زِيُّ العَرَبِ كأنَّهم من رِجَالِ اليَمَن(a).

ولأهْل المَغْرِب البِغَالُ البَربَرِيـةّ [١٣٣ظ] والجَوَارِي الأنْدَلُسيَّات والنُّمُور الزِّنْجِيَّة[٧].

(a - a) في المختصر: «... وزيُّهم شَبِيهٌ بزيِّ العَربِ كأنَّها قِطْعَةٌ من بِلَاد اليَمن».

---

[١] الفرفير: نوع من الحرير الأسود اللامع.

[٢] البزيون: نوع من الحرير الرقيق. انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج١٣، ص٥٢.

[٣] الميعة: عطر طيب الرائحة، وصمغ يسيل من شجرٍ بالروم. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١٩٥؛ ابن سيده: المخصص، ج٣، ص٢٦٥.

[٤] المصطكى: العلك الرومي. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج١٠، ص٢٦.

[٥] النُّجب: جمع النجيب من الأبل. انظر: ابن سيده: المخصص، ج٢، ص١٩٦.

[٦] البجة: المنطقة الواقعة بين بلاد الصومال وأرض الحبشة ـ أثيوبيا الحالية ـ على البحر الأحمر. انظر: اليعقوبي: البلدان، ص١٣٠.

[٧] قارن: مختصر الكتاب، ص٢٥٢.

ثمَّ ما قد خَصَّ به أهْل مِصْر من النِّيْلِ وعجَائِب ما فيه من طَرَائِف السَّمكِ والتَّماسِيح. ولهم السَّمكُ الرَّعَّاد[١] إذا وقَعَ في شَبكَةِ الصَّياد ارْتَعدتْ يَدهُ ولم يمْلُك من أمْره شيئًا حتىٰ يـُخَلِّي هذا النَّوْع من شَبكتهِ. ولهم السَّقَنْقُوْر وخَاصِّيتُهُ في الجِماع لا تُدْفَع.

ولهم الثِّيابُ الدَّبِيْقيَّة والشَطَوِيَّة والأَرْدِية التي تكَاد سُلوكها تَختفِي عن من نظَر إليها. ويقال إنَّ نسَّاجِيها أوْسَخُ النَّاس وأقْذَرهُم يَأكُلون الأطْعِمة الكَريهة الرَّاوائِحَ من السُّموكِ المَالِحة واللُّحُوم الغثَّة، ولا يَغْسِلون أيْدِيَهم وتُنَتَّنُ روَائِحَهُم.

وإذا قَطَعُوا الثَّوبَ بعد ما قَدْ نالَهُ من وسَخِهم ودَرِنِ أبْدَانِهم ما لا يُوصَفُ، وُجِدَ في نِهاية الحُسْنِ وطِيب الرَّائِحة.

وكذلك أيضًا نسَّاجو الدِّيبَاج بتُسْتُر، وحَاكةُ الخَزِّ بالسُّوس علىٰ ما وصَفْنَا من القَذَرِ والنَّتنِ والرَّائِحَةِ الكَريهَة والوَسَخ، وتَخْرُج الثِّيابُ من أيْدِيهم وهم يَنْسِجون هذه الثِّيابَ التي تُخْفِي دِقةً من الحُسْنِ والرَّائِحة بغَير أثَرٍ ولا تَغيُّر.

وهذه خاصِّيتة يَشْكُل أمْرهَا علىٰ سَائِر من تَفقَّدهَا وأرَادَ الوقُوف علىٰ العِلَّة فيها. ولهم أيضًا ضُروبٌ أُخَر من الثِّيابِ منها المُسَيَّر، وهم أحْذَقُ النَّاس بعَملِ ثِيابِ الصُّوفِ والأكْسِية. ولهم البِغَالُ المِصْرِيَّة والحُمُر المَرِيسِيَّة، والثِّيابُ التِّنِّيسيَّة والإسْكَنْدَريَّة.

[١] قارن: ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٢، ص١١٤.

ولأهْل اليَمنِ الحُلَل اليَمانِيَّة والثِّيابُ السَّعِيديَّة والبُرْدُ العُذَيبيَّة [والعَدنيَّة][a]، وفي بلادهم الوَرْس[١] والكُنْدُر[٢] ولهم النَّجائِب المُهَريَّة والسُّيوف اليَمانيَّة. وفي بِلَادهم
٣ القِردَة والنَّسْنَاس وغير ذلك من أنْوَاعِ العجَائِب.

ثمَّ العِرَاقُ وسَطُ الأرْضِ وخَزانَةُ السُّلْطَان ودَارُ المَمْلكَةِ.

وما قد أُعْطِي أهْل الكُوفَةِ من عمَلِ الوَشْيِ والخَزِّ وغيرِ ذلك من أنْوَاعِ الثِّياب
٦ والأمْتِعةِ والتُّمُور، فإنَّ فيها من أنْوَاعِ التُّمُور والعُشُوب ما قَدْ عُدِم مثله بالبَصْرَةِ والأهْوَاز وبغْدَاد والحِجَاز. فمن تُمورِهم الهَيْرُون والنِّرْسِيان والقَسْب العَنْبَري والأزَاذ وغير ذلك.

٩ ثمَّ قُل في عَجائِب بغْدَاد التي قدْ اجْتَمعَ فيها ما هو مُفرَّقٌ في جَميعِ أقَالِيم الأرْضِ من أنْوَاع [١٣٤و] التِّجَارات والصِّنَاعَات. فلَهم الذي لا يُشْركهُم فيه أحَد: الثِّيابُ المَرْويَّة والمُلْحَمُ القِيَراطِي[٣] وغير ذلك.

١٢ ولهم أنْوَاعُ الزُّجَاج المُحْكَم من الأقْدَاحِ والأقْحَافُ المَخْرُوطَة والمُجَرَّدة التي تُخْتَار علىٰ البَلُّور لرِقتِها وصَفَاء جَوْهَرها.

---

[a] التكملة من المختصر.

---

[١] الورس: نبات بأرض اليمن تتخذ منه الأصباغ. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٥٤.

[٢] الكندر: ضرب من الأصماغ ينبت ببلاد اليمن. انظر: ابن سيده: المخصص، ج٣، ص٢٧٨.

[٣] انظر فيما تقدم ص٣٢٤.

ولهم الدَّارِشُ[a] واللَّكَّاءُ[1] وفيهما أعجُوبَةٌ لا نَقِفُ عَليها ولا يُدْرَىٰ ما العِلَّةُ فيها، وذلك أن اللَّكَّاءَ إنْ عمل في الجانب الذي يعمل فيه الدَّارِشُ لم يَسْتَوِ بنَفْسِه ولا ٣ يكونُ منه شَيءٌ، وكذلك الدَّارِشُ أيضًا إنْ عُمِلَ في الجَانب الذي يُعْمَل فيه اللَّكَّاء انْفَسدَ وقد عُمِل ذلك غَير مَرةٍ فكان كما قُلْنا في الفَسَاد.

ومِثْلُ هذه أَشْيَاءُ كَثِيرةٌ منها القَراطِيسُ التي تُعْمَلُ بمِصَر فإنَّها لا تَسْتَوي إلا ٦ بمِصَر دُون غيرها من سَائِر البُلْدَان، وقد نَقلَ صُنَّاعَها المُعْتَصِم من مِصْرَ إلىٰ سُرَّ مَرَّىٰ فَما اسْتَوىٰ لهم منها إلَّا شَيءٌ ردِيءٌ ولا تُحـرَّر المُكَتابة فيه.

وكذلك أيضًا البِطِّيخُ النَّاعُوري، فإنَّه لا يَكونُ جَيِّـدًا إلَّا في ضَيْعَةٍ من ضِياعِ ٩ المُوصِل تُعْرفُ بالنَّاعور، وقَد حَرِصَ المُعْتَضِد علىٰ أنْ يَسْتَوي ببَغْدَاد وحَمل مع بِزْرِه تُرابًا من تُرْبَتهِ ومَاءً من العَينِ التي تُسْقِيه فلم يَفْلَح. فسَأَل عن العِّلةِ في ذلك، فقيل: التُّرْبة. قال: قد حَملنَا منها. قِيل: فالمَاء. قال: قد أمَرنَا بحَمْلِه في السُّفن المُقَيَّـرة[2] ١٢ فحُمِل ولم يُنْجِب. قيل: فهو المَوْضِع. قال: هذا لَا حِيلَة لنَا فيه.

ثمَّ ما قد خُصَّت به كُور دِجْلَة والسَّواد ومِيْسَان ودَسْتُميْسَان من عمَلِ السُّتُور والبُسُط. وقد خُصَّت البَصْرَة من بين البُلْدَان بكَثْرة النَّخِيل وأنْوَاع الأرْطَاب ١٥ والتُّمور.

---

[a] في الأصل: الدارشي.

---

[1] انظر فيما تقدم، ص٣٧٨.

[2] السُّفن المُقَيَّرة: هي السُّفن التي تطلى بالقار من الداخل والخارج ليمنع تسرب الماء منها وإليها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٧٤.

(aوذكر بعْضُهم a) أنَّ جَماعةً من أهْل المَعْرفَةِ بالنَّخْلِ أحْصُوا أصْنَاف نَخْلِ البَصْرَة دون نَخْلِ المَدِينة[١]، ودُون نَخْل اليَمامَة والبَحْرِين وعُمان وفَارِس وكَرْمَان والكُوفَة وسَوادَها وخَيْبَر وذَاوتها والأهْوَازِ وأعْمَالهَا فإذا هي ثَلاثُمائةٍ وثَمانُون ضَرْبًا من مُغِلٍّ معْرُوف وخَارِجيٍّ مَوْصُوف وبَدِيعٍ غَرِيب ومُثْمنٍ مَشْهُور.

ثمَّ الأَهْوَاز وما قد خُصُّوا به وأُعْطُوا من أنْوَاعِ السُّكَّر وكَثْرةِ التُّمُور. وما بالسُّوسِ وجُنْدَيسَابُور من أنْوَاعِ ثِيابِ الخَزِّ والدِّيبَاج وغير ذلك من أصْنَافِ الإبرَسِيم [١٣٤ظ] والقَـز.

ثمَّ الجَبَل وعجَائِبه وما قَدْ أُعْطي أهْله من أصْنَاف الفَواكِه الشِّتْوية والعَجَائِب البَدِيعة. هذا إلى طِيبِ بُلْدَانه وكَثْرةِ مِيَاهِهِ واطِّرَادِ أنْهَارِهِ ونضَارَةِ أشْجَاره، وما يتخذ فيه من الألبان والشَّوابِير[٢] التي يَسْتَعِزُّ بها مُلُوك العِرَاق ويَسْتظرِفُونها ويَسْتَهْدُونها.

ولأهْل هَمَذَان خَاصَّة حِذقٌ باتِّـخَاذ المَرَايَا والمَلَاعِق والمَجَامِر والطُّبول وغير ذلك من الحَدِيدِ المُذهَّب الذي قد فَاقُوا وفَاتُوا باتِخَاذه سَائِر أهْل الأرْضِ. ولأهْل الري المُسَيَّر[٣] والمُنـيِّر[٤] والحَرِير.

(a - a) في المختصر: وذكر الجاحظ.

[١] قارن: رسائل الجاحظ: ص٥٠١.

[٢] الشوابير: نوع من الأسماك.

[٣] المسير: الثياب المخططة والمضلعة. انظر: ابن منظور: لسان العرب،ج٨، ص٢٢٦.

[٤] المنير: ثياب تنسج على أنوال النيرة [الخشبة المعترضة على النول]. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ن ي ر] ج١٤، ص٣٢٥.

ولهم أشْياءٌ يتَّخِذُونَها من الخشَبِ يفُوقُون بها سَائِر النَّاس، ومنها الأمْشَاط والخِفَاف والمَمَالِح والمغَارِف ولهم الأكْسيَة البِيض الطَّرازيَّة.

٣ ثمَّ بعدُ الثَّانِيةُ، أعْنِي أصْبَهان وما قد أُعْطِي أهْلَهَا من طِيبِ الهَواءِ وعُذوبَة المَاءِ وكَثْرةِ الصِّناعَات وأنْوَاع الخَيرِ، ولهم الثِّيَابُ الـمَرْويَّة والعُتَّابيَّة والمُلْحَمة[1] والحُلَل الإبْرسِيميَّة المنْسُوجَة وغير المَنْسُوجَة [والثِّيَابُ السَعِيديَّة][a][2].

٦ ثمَّ فَارس وكُورِهَا وبُلدَانهَا ورسَاتِيقها وما قد خُصُّوا به من اتِّخاذِ الآلَات الظَّرِيفةِ من الحَدِيد، حتى قال بَعْضُ الحُكَماء وقد نظَر إلى أشْياءَ ظَرِيفَةٍ عند بعض المُلُوك من آلَاتِ فَارِس الحَدِيديَّـة: لقد ألَان الله لهؤُلَاء القَوْم الحَدِيد وسَخَّرهُ لهم

٩ حتى لقد عَمِلوا ما أرَادُوا.

وهم أحْذَقُ النَّاس بعَمَلِ المجَامِع والأقْفَال والمَرايَا، وبتَطْبِيع السُّيوفِ وعمَل الدُّروعِ والجَواشِن، ولهم الثِّيابُ الجُنَّابِيَّة[3] والسِّينِيزيَّة وغير ذلك.

١٢

[a] الزيادة من المختصر.

[1] نسبة إلى المُلْحَم من الثياب. راجع فيما تقدم، ص٣٢٤.

[2] قارن مختصر الكتاب، ص٢٥٤.

[3] الجنابية: أقمشة الكتان التي تصنع منها المناديل والثياب الرفيعة. انظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٢، ص٢٩٦.

ولأهْل سِجِسْتَان عمل المَشَارِب السِّجْزِيَّةِ[١] وألات الشِّبْه الصُّفْر[٢] ولهم الجِعَاب[٣]. ولأهْل طَبَرِسْتَانَ والدَّيْلم وقَزْوِين وزَنْجَان [حَظٌّ][a] من عَملِ الأكْسِيةِ الرُّويانيَّة والآمُليَّـة[٤] واتخاذ الشُّسْتَانك والمَنَادِيل وغير ذلك من أنْوَاع ثِيابِ القُطْنِ والصُّوف ما لَيْس لأحَدٍ.

ولأهْل فَارِس أيْضًا المَاوَرْد الجُورِي والطِّين السِّيرافِي والأَدْهَان السَّابُورِيَّة والأَعْقَال الكَازورنِيَّة ولأهْل نَيْسَابُور الثِّيَاب والمُلْحَمة والطَّاهِرِيَّة، ولهم [b] التَّاخُتْجُ والرَّاخُتْجُ[b] وأشْياءُ عَجِيبةٌ من الثِّيابِ لَيْسَ لأَحَدٍ إلَّا لهم.

ولأهْل مَرْو المُلْحَم والثِّياب المَرِوِيَّة. وبِهَراة[٥] فَواكِهُ لَيْس في البُلْدَان [١٣٥و] شَيء مِثْلها، ولهم الزبيب الكُشْمَهانِيُّ. والكِشْمِش[٦] ثَلاثَة أَلْوان أحْمَر وأصْفَر وأخْضَر، وبها بطِّيخ يُقدَّد ويُحْمَل إلى بغْدَاد، وقد كان يُحمَلُ من بطِّيخِها إلى الخُلفَاء لشِدَّة حَلاوَته. فكان يُحمَل في قُدورِ نُحَاس. ولهم الأُشْتُرْغَاز والرِّيبَاسُ والهِلْيَون[٧].

(a) التكملة من المختصر.

(b-b) رسمت في الأصل: الفالح والنواخح.

---

١ السجزية: أواني معدنية تدخل الفضة في صناعتها.

٢ الشبه الصفر: آنية من النحاس تعالج بمادة تلقى عليها فتصفر، وسميت بالشبه لأنها تشبه لون الذهب. الزبيدي: تاج العروس، ج٣٦، ص٤١٢.

٣ الجعاب: جمع جعبة، وهي كنانة السيف والسهم. انظر، المصدر السابق [مادة: ج ع ب] ج٢، ص١٦٣-١٦٤.

٤ قارن: الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص٢٢.

٥ هراة: مدينة عظيمة تعد من أجل وأفخم مدن خراسان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٦.

٦ الكشمش: نوع فاخر من الزبيب. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٤٧٢.

٧ انظر فيما تقدم ص٣١٦.

وبِخُراسَان الغَوْشَنَة[١] والكِيلَكَان[٢] والرَّخْبِين[٣] والمُلبَّن. وبها مَعْدَن الفَيْرُوزج واللَّازَوَرْد[٤] ولهم البَنْجَهِير، معْدَنُ الفِضَّة، ولهم الحُزُمُ القُوجيَّة، والخَيلُ البُخَاريَّة، وهم الرُّكبُ المَرْويَّة، ولهم الأَشْكُر[٥] والخَلَنْج[٦] ولهم الخَتْو[٧].

وبالتُّرك السَّمُّور والْقَاقُم والدَّلْق[٨] والثَّعالب السُّود والبِيْض والحُمْر، وبالتُّبَّت المِسْك التُّبتيُّ، والدَّرَقُ[٩] التُّبتِيَّة، [a) وزَعِمُوا أنَّ كلَّ من دخَلَها لم يزل ضَاحِكًا مسْرُورًا] (a)[١٠].



(a-a) التكملة من المختصر.

[١] الغوشنة: جنس من الكماة والفطر، وهو ليس بمعروف بالمغرب، دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٧، ص٤٤١.

[٢] الكيلكان: نوع من الكراث. نفسه، ج٩، ص١٨٠.

[٣] الرخبين: نوع من الجبن. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، [مادة ك ب ح] ج٧، ص٦٨.

[٤] اللازورد: حجر من الأحجار الكريمة لونه أزرق سماوي أو بنفسجي يكثر في أفغانستان. انظر: المعجم الوسيط، ج٢، ص٨١٠.

[٥] الأشكر: سير أبيض مقشور ظاهره تؤكد به السروج. انظر: الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٣، ص ٢٢٧.

[٦] الخَلَنْج: شجر فارسي يتخذ من خشبه الأواني. الزبيدي: لسان العرب ، [مادة:خ ل ج]، ج٥، ص٥٣٧.

[٧] الختو: نوع من الثياب جيدة النسج رفيعة الخيوط.نفسه. [مادة: خ ت و]ج٣٧، ص٥٣٥.

[٨] انظر فيما تقدم. ص٢٩٤.

[٩] الدرق: جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة. وقيل تلبس على الأجساد مثل الدروع. انظر: ابن سيده: المخصص،ج٢، ص٤٧.

[١٠] قارن مختصر الكتاب، ص٢٥٥.

وباليَمَن العَقِيق والبِجَاذِيُّ[a] [١] الجزع[٢] وغير ذلك[٣]. وبأَرْمِينيَّة الفَرش[٤] الأَرْمَني الأَرْمَني والبُسُط والسُّتور.

٣ فسُبْحَان من أعْطَى كل بَلَدٍ نَوْعًا من الخَيْراتِ وجِنْسًا من الصِّنَاعات، ولوْلَا ذلك ما جَمعَت المُلوكُ من الصِّفائح اليَمانيَّة، والقُضُب الهِنْدِيَّة[٥] والرِّمَاح البَلُوصِيَّة، والأسِنَّة الخَزرِيَّة، والأعْمِدةِ الهَرويَّة، واللُّجم الخَانْبدِيَّة، [b) والسُّتور الصِّينيَّة[b] ، ٦ والشَّهارِيِّ الأبْرَازبنْديَّة، والبغال الأرْمِينِيَّة، والحَمِير المَرِيسِيَّة، والثِّيابِ السَّعْديَّة، [c) والكُبْش الشَّاشِيَّة[c]، والأَوْتَار التُّركِيَّة، والجِعَاب السِجْزيَّة، والدُّرقِ المغْرِبيَّة، والحُلَل[d] الأنْدلُسِيَّة، والدُّرِّ العُمانيَّة، واليَاقُوتِ السَّرَنْديبيَّة.

٩

---

[a] في الجاحظ، والبيروني: البيجاذي.

[b-b] في الأصل: الشعور الصبلية.

[c-c] في المختصر: القسيُّ الشاشيَّة.

[d] كلمة غير مقروءة. والتتمة من المختصر.

---

[١] البجاذي: حجر من الأحجار الكريمة كالياقوت. انظر: البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، تحقيق: ف .كرنكو، حيدر آباد، ١٩٣٦م، ص ٤٥.

[٢] الجزع: نوع من الأحجار الرخامية التي تتخذ منها الأواني. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٠٢

[٣] قارن: الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص١٥.

[٤] عدد ابن الفقيه هنا عجائب البلدان ونفائس ما فيها ضمن حديثه عن عجائب همذان، وذلك رغم ذكره لهذه النفائس بصورة أوسع في باب [مدح الغربة والاغتراب] الذي يبدو أن صاحب المختصر قد احتفظ به على أصله. انظر: مختصر كتاب البلدان، ص٥٠-٥١.

[٥] القضب الهندية: هي سيوف رقيقة الصفحة تجلب من الهند. انظر: ابن سيده: المصدر السابق، ج٢، ص١٨.

والكِتَّان المِصْريَّة، والمَلاحِم الخُراسَانيَّة، والوشَي الكُوفِيَّة[١]. وقد عُلمَ أنَّ ببِلَاد المَغْرِب ومِصْرَ وببِلَاد الجَبَلِ وخُراسَان عجَائِبُ لا تكُون إلَّا بها [a].

٣ مثل: منَارَة الإسْكَنْدريَّة، وعَمُود عَينِ الشَّمْسِ، والهَرَمَينِ، وجسر أَذْنَة، وقَنْطَرة سَنْجَة، وكَنِيسَة الرُّهَا، والأبْلَق الفَرْد، والمُشَقَّر، وغُمْدَان، وبُرْهُوت، وبَلْهُوت، ومَدِينة الحَضَر، وأبْنِية تَدْمُر، وعجَائِب فَامِيَة، والفَرسُ الذي في أقْصَىٰ المَغْرِب.

٦ وما يُذْكَر عن مَدِينةِ الصُّفْر، ويُحدَّث عن قُبَّة الرَّصَاصِ، وإيوَانُ المدَائِن، وتَـخْتُ شبْدِيز، وأسَدُ همَذَان، والسَّمكَةُ والثَّور بنَهَاوَنْد، وأبْنِيةُ إصْطَخَر، وعجَائِبُ رُوميَّة والتِّمْسَاحُ والرَّعَاد والسَّقَـنْقُور، وذَاتُ الحَوافِر، وغَيرُ ذلك من العَجَائِب

٩ التي لا تُحْصَىٰ [١٣٥ظ] فتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخَالِقين.

١٢



[a] في الأصل: بغيرها، وضبط السياق من المختصر.

[١] عرف الأدب العربي الكثير من الكتابات حول الأمتعة المجلوبة والبضائع النفيسة، لعل أهمها ما كتبه الجاحظ في بعض رسائله مثل الموسومة برسالة الأوطان والبلدان؛ ثم ما كتبه في التبصر بالتجارة، وقد قام بنشره وتحقيقه المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٤م.

ثم الدمشقي، في كتابه الإشارة إلى محاسن التجارة، القاهرة، ١٩٧٧م. ولا شك أن ابن الفقيه قد استقى هذه الفكرة من الجاحظ، وتابعه في طريقة عرضه لما يستطرف من مميزات بلدان دار الإسلام.

[ذَاتُ الحَوافِر]

٣ وكان سَببُ بِنَاء ذَاتِ الحَوافِر بهَمَذَان،– وهي منَارةٌ عَالِيةٌ (a) [مبْنيَّـة من حَوافِر حُمُر الوَحْشِ مسَمَّرة بمسَامِير حَدِيد](a) في رُسْتَاقٍ يقال له: وَنْجَر بقَريةٍ يقال لها أسْفَجِين– أنَّ سَابُورَ بْنَ أرْدَشِير[١] قال له مُنَجِّمُوه إنَّ مُلْكَكَ هذا سَيزُول وإنك ٦ ستَشْقَىٰ أعْوَامًا كَثيرةً حتىٰ تَبْلُغ إلىٰ حَدِّ الفَقْر والمَسْكَنةِ.

ثمَّ يعُود إليك المُلْك. قال: وما عَلامَة رُجُوعه؟ قالوا: إذا أكَلْتَ من خُبْزِ الذَّهبِ علىٰ مَائِدة حَديدٍ، فذَاكَ علَامَة رجُوع مُلْكِك. فاخْتَر أنْ يكُونَ ذلك في ٩ [زَمَانِ](b) شَبِيبَتك أو في كِبرِكَ.

قال: فاخْتَار أنْ يكُونَ في شَبِيبَتِهِ، وحَدُّوا له في ذلك حَدًّا، فلَمَّا بَلغَ ذلك الحَدَّ اعْتَزَلَ مُلْكَه تَرْفَعهُ أرْضٌ وتُخْفِضُه أخْرَىٰ إلىٰ أنْ صَار إلىٰ هذه القَرْيةِ، فتَنكَّر وآجَر ١٢ نَفْسه من عظِيمِ [القَرْيةِ](b) وكان معه جِرَابٌ فيه تَاجَهُ وثِيَابهُ، فأوْدَعهُ الرَّجلَ الذي آجَره نَفْسِه. فكان يَحْرُثُ له نَهارًا ويَسْقِي زَرْعَهُ لَيْلًا.

(a-a) التكملة من المختصر.

(b) زيادة من: ياقوت.

[١] سابور بن أردشير بن بابك، أحد ملوك الفرس الساسانيين، كانت مدة ملكه ثلاثين سنة، وقيل إحدى وثلاثين سنة وشهرًا واحدًا. انظر في ترجمته: ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٦٥٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٤-٥١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٥٢-٣٥٥.

فإذا فَرغَ من سَقْي الزَّرع طَرِدَ الوحشَ عن الزَّرعِ حتىٰ يُصْبِح. فبَقِي علىٰ ذلك سَنة. فرَأىٰ الرَّجلُ منه حَذقًا ونَشاطًا وأمَانةً في كلّ ما يَأمُرهُ به. فرَغبِ فيه الرَّجلُ
٣ واسْترَجَحهُ فزَوَّجهُ بعْضَ بنَاتِه، فلمَّا حوَّلهَا إليه كان سَابُور يَعْتَزِلها ولا يَقْربُها، فلمَّا أتىٰ لذلك شَهْرٌ، شَكتْ إلىٰ أبِيهَا فاخْتَلعهَا منه وبَقِيَ سَابُور يَعْمَل عنده.

[a) فلمَّا كان بعد حَوْلٍ آخَر سَألهُ أن يتزوَّجَ ابْنَتهُ الوسْطَىٰ ووصَفَ له جمَالَها
٦ وكمَالهَا وعقْلَها فتزَوَّجهَا. فلمَّا حوَّلهَا إليه كان سَابُور أيْضًا مُعْتزِلًا لها ولا يَقْرُبها. فلما تمَّ لها شَهْرٌ سَألهَا أبوهَا عن حَالِها مع زَوْجِها فاخْتَلعَها منه] a) [١].

فلمَّا كان بعد حَوْلٍ آخَر سَأله أنْ يتزَوَّج ابْنَتهُ الصَّغِيرة، ووصَفَ له جمَالَها وعَقْلَها
٩ وكمَالهَا فتزَوَّجهَا فلمَّا حُوِّلَت إليه كان سَابُور مُعْتَزِلًا لها لا يَقْرُبها، فلمَّا تمَّ لها شَهْرٌ سألهَا أبُوهَا عن حَالهَا مع زَوْجِها فأخْبَرَتهُ بأنَّهَا معه في أنْعَمِ عَيْشٍ وأسَرَّه. قال: ولَمَّا رأىٰ سَابُور صَبْرَهَا عليه وحُسْنَ خِدْمتهَا له دَنا منها فعَلِقَت منه ووَلَدَت ابْنًا.

١٢ فلمَّا أتىٰ علىٰ سَابُور أرْبَع سِنين، أحبَّ اللهُ أنْ يردَّ مُلْكهَ عليه. فَاتفَقَ أنَّه كان في القَريةِ عُرسٌ اجْتَمعَ فيه رِجَالُهم ونِسَاؤهُم، وكَانت امْرَأة سَابُور تَحْمِل إليه طَعامَهُ في كلِّ يَوْمٍ. ففي ذلك اليَوْم اشْتَغلَتْ عنه إلىٰ بعد العَصْر لم تَحْمِل إليه شَيئًا ولَا
١٥ أصْلَحت له شَيئًا، فلمَّا كَان بعد العَصْرِ ذَكَرتهُ فبَادَرتْ إلىٰ مَنْزِلها وطَلبَتْ شيئًا تحْمِلهُ

(a - a) التكملة من: ياقوت.

---

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: منارة الحوافر]، ج٥، ص٢٠٠.

إليه فلم تَجِد إلَّا رَغِيفًا واحِدًا من جَاوَرْس[1] فحَمَلتهُ إليه ووَافَتهُ وهو يَسْقِي الزَّرعَ وبَينهَا وبَيْنِه سَاقِيةُ ماء.

٣ فلمَّا وصَلتْ إليه لم تَقْدِر علىٰ عُبورِ السَّاقِية، فمَدَّ إليها سَابُور[١٣٦و] المَـرَّ[2] الذي كان يعْمَل به، فجَعلَتْ الرَّغِيف عليه، فلمَّا وضَعهُ بين يَديهِ وكَسَرهُ وجَدهُ شَدِيد الصُّفْرَة ورَآهُ علىٰ الحَدِيد فذَكرَ قولَ المُنَجِّمينَ – وكانوا قَدْ حَدَّدُوا له الوَقْت– فتَأمَلهُ

٦ فإذا هو قَدْ انْقَضىٰ. فقال للمَرأَة: اعْلَمِي أَيَّتها المَرأة أنِّي سَابور، وقَصَّ عليها قِصَتهُ ثمَّ اغْتَسل في النَّهر وأخْرَج شَعْرهُ من الرِّبَاط الذي كان قد رَبطَهُ عليه وقال لامْرَأتِه: قد تمَّ أمْرِي وزَالَ شَقَائِي. وصَارَ إلىٰ مَنْزِلهِ وأمَرهَا أنْ تُخْرِج إليه الجِرَاب الذي فيه

٩ تَاجه وثِيَابَه، فأخْرَجتْهُ إليه فلَبِس التَّاج وثِيَابُ المُلْكِ، فلمَّا رَآهُ أبُو الجَارِية كفَّر له وسَجَد بين يَديهِ وحيَّاهُ بتَحيَّة المَلِك.

قال: وكَان سَابُور قَدْ عَهِدَ إلىٰ وزَرَائِهِ وعرَّفَهُم ما قد امتُحِنَ به من الشَّقَاوةِ

١٢ وذِهَاب المُلْكِ، وأنَّ مُدَة ذلك كَذا وكَذا سَنة. وبيَّن لهم المَوْضع الذي يُوافُونهُ إليه عند انْقِضَاء شَقَائِه وزَوالِ البَلاءِ عنه وأعْلَمهُم السَّاعة التي نَجْوَتهُ فيها، فأخَذ مَقْرَعةً كانت معَهُ ودفعَهَا إلىٰ أبي الجَارِية وقال له: عَلِّق هذه علىٰ بَابِ القَرْيةِ واصْعَد

١٥ السُّور وانْظُر ما تَرىٰ، ففعَل ذلك وصَبَر سَاعةً ثمَّ نزَلَ فقال: أرَىٰ أيُّها المَلِكُ خَيْلًا

---

[1] جاورس: نوع من الذرة البيضاء والحمراء. وتسمى بالعربية الدخن. انظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج١، ص٤٤٧.

[2] المر: انظر فيما تقدم ص٣١٠.

كَثِيرةً يَتْبعُ بعْضُها بعْضًا. فلم يَكُن بأسْرَع من أنْ وافَتِ الخَيْلُ شَماطِيط[١]. فكَانَ الفَارِسُ إذا رَأىٰ مَقْرَعه سَابُور نزَل عن دَابَتهُ وسَجَد له، حتىٰ اجْتَمعَ خَلقٌ من أصْحَابهِ ووزَرائِهِ فجَلسَ لهم ودخَلُوا إليه وحَيُّوه بتَحِيَّة المَلِك.

فلمَّا كان بعْدَ أيَّام جَلسَ يُحَدِّثُ وزَرَاءه فقال له بعْضهُم: سَعِدت أيُّها المَلِك وعَمَّرت عُمْرًا طَويلًا، أخْبِرنَا ما الذي أفَدْتهُ في طُولِ هذه المُدَّة؟ قال: ما اسْتَفدتُ إلَّا بقَرةً واحِدَةً، ثمَّ أحضَرهَا إيَّاهُم وقال: ها هي فمن أرَادَ إكْرَامِي فلْيُكرِمهَا. فأقْبلَ الوزَرَاءُ والأسَاوِرة يُلْقُون عليها ما عليهم من الثِّيابِ والحُلِيِّ وما معهُم من الدَّراهِم و الدَّنَانِير حتىٰ اجْتَمعَ من ذلك ما لَا يُحْصَىٰ كَثْرة. ثمَّ قال لأَبِي الجَارِية: دونَك جَمِيعُ هذا المَال فخُذهُ لابْنَتك.

فقال له وزِيرٌ آخَر: أيُّها المَلِكُ المُظَفَّر، فمَا أشَدُّ شيءٍ مرَّ عليك وأصْعَبه؟ قال: طَردُ الوُحُشِ باللَّيلِ عن الزَّرعِ فإنَّها كانت تُعْيِينِي وتُسْهِرنِي وتَبْلُغ مني [١٣٦ظ]. فمن أرَادَ سُرورِي فلَيصْطَد لِي منها ما قَدرَ عليه لأبْنِي من حَوافِرهَا بِنْيَةً يَبْقَىٰ ذِكرُهَا علي سَائِر الدَّهْرِ ومَرِّ اللَّيالِي والأيَّام.

فتَفَرَّق القَوْمُ في صَيْدِها فصَادُوا منها ما لَا يَبْلُغهُ العَدد. فكان يَأمُر بقَلْعِ حَوافِرهَا أوَّلًا أوَّلًا حتىٰ اجْتَمعَ من ذلك مثل التَّـلِّ العَظِيم.

---

[١] شماطيط: أي متفرق، والمعنى: أن الخيل جاءت أرسالًا الواحد تلو الآخر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٣٦.

فأَحْضَر البنَّائِين وأمَرهُم أنْ يَبْنُوا من ذلك منَارةً عَظِيمةً يكُون ارْتَفاعُها خمْسين ذِرَاعًا في اسْتِدَراة ثَلاثِينَ ذِرَاعًا. وأنْ يجْعَلوهَا مُصَمَته بالكَلْس[1] والحِجَارة، ثمَّ تُركَّب الحَوافِر حَوْلهَا نَظْمًا من أسْفلهَا إلىٰ أعْلَاهَا مُسمَّرةً بالمسَامِير الحَدِيد. ففَعَل ذلك فصَارَتْ كأنَّها منَارةٌ من حَوافِر.

فلمَّا فرَغَ صَانِعهَا من بِنَائهَا جلَسَ سَابُور يتَأمَلهَا فاسْتحْسَنهَا واسْتَظْرفهَا وقال للذي بنَاهَا وهو عليها مَا نزَل عنها بَعْد: هل كُنْتَ تَقْدِر علىٰ بِنَاءِ أحْسَن منها؟ قال: نعم. قال: فهل بَنيْتَ مثْلهَا لأحَدٍ؟ قال: لا. قال: فإنْ أمَركَ بعْض المُلوك بِبَناءِ أحْسَنَ منها، هل في اسْتِطَاعتَك ذلك؟ قال: نعم.

قال: والله لأتْرُكَنَّك وأنتَ لا تَبْنِي لأحَدٍ مثْلَها ولا دُونَها ولا أحْسَنَ منها. ثمَّ تركَهُ عليها وانْصَرفَ هو وأصْحَابهُ ما يَرْضَىٰ.

وكانت هذه البِنْيَة قد بنَاهَا في فَلَاةٍ ليْسَ يَقربهَا أحَد، وإنَّما عُمِّرت القَرْيَةُ التي فيها بعد ذلك. فقَال له: أيُّها المَلِك، قد كُنْتُ أرْجُو منك الحِباءَ والكَرامة.فإنْ كُنْتَ لَابدَّ قَاتِلي فلي حَاجَةٌ ما علىٰ المَلِكَ فيها مشَقَّة، قال: وما هي؟ قال: يَأمُر المَلِكُ أنْ أُعْطَىٰ خَشبًا لأعمَل لنَفْسِي مكَانًا أكُون فيه حتىٰ يَأتِيني المَوْتُ لئلا تمُزِّقَنِي العِقْبَان والنُّسُور وسَائِر طُيور الجَوِّ وجَوارِحهُ.

قال: أعْطُوه ما سأل. فأُعْطِيَ خشَبًا وكانت معه آلَة النِّجَارة، فعَمِل لنَفْسِه أجْنِحةً من خَشبٍ جعَلهَا مثل الرِّيش، وضَمَّ بعضَها إلىٰ بَعْضٍ.

[1] الكلس: انظر ما تقدم ص٤٤٦.

فلمَّا كان في بَعْضِ اللَّيالي- وكانت لَيْلَة ذاتَ رِيحٍ- شَدَّها علىٰ نَفْسِه ودخَل الرِّيحُ فيها فحَملَتْهُ حتىٰ ألْقَتهُ علىٰ الأرْضِ صَحِيحًا لم يُصِبهُ شَيء. وهَربَ فلمْ يَقْدِر ٣ عليه، واتَّصَل خبَرهُ بسَابُور فقال: قَاتلهُ الله! ما كان أحْكَمَهُ وأصْنَعَ كَفِّيه.

قال: فالمنَارةُ قَائِمةٌ في هذة القَرْيةِ إلىٰ يَوْمنَا هذا مَشْهُورةُ المكَان[١].

ولشُعَراء همَذَان وغيرهم [١٣٧و] فيها أشْعَار لم نَكْتُب شَيئًا منها لرَكَاكَتها وقِلَّة ٦ الجَيِّد فيها، وكذلك أيضًا لهم أشْعَار في صُورَة شَبْدِير وغيره من الآثَار التي بالجَبلِ قَلِيلَة الطَّائِل فلذلك تَرْكنَاهَا ولم نَكْتُب منها شيئًا.

[الطويل]

[a] [رَأيْتُ بِنَاءَ النَّاسِ في كلِّ بَلْدَةٍ فلَمْ أر بُنْيَانًا كَذَاتِ الحَوافِر
بِنَاء عَجِيبًا لم يَرَ النَّاس مِثْلَه ولا سَمعُوه في الدُّهُور الغَوابِر][a]

٩

[a-a] التكملة من: المختصر.

[١] نقل ياقوت هذه المادة بتمامها من ابن الفقيه مصرحًا بذلك. انظر: ج٥، ص١٩٩-٢٠١.

[ناوُوسُ الظَّبْيَة وقصرُ بَهْرَام جُور] [١]

٣ وعلىٰ فَراسِخ يَسِيَرة من هَمَذَان ناوُوسُ الظَّبْيَةِ وقصرُ بَهْرَام جُور بقَريةٍ يقُال لها جُوهَسْته، والقَصْرُ كلُّه حَجَرٌ واحِدٌ مَنْقُورةٌ بُيوتهُ ومجَالِسهُ وخزَائِنهُ وغُرفهُ وشُرفهُ وسَائِر حِيطَانهِ، فإنْ كان مبْنِيًّا من حِجَارةٍ مُهنْدَمةٍ قد لُوحِكَ بينها حتىٰ صَارَت ٦ كأنَّها في حَجرٍ واحِدٍ، لا يتَبيَّن منها مجْمَع حجَرينِ ولا مُلْتقَىٰ صخْرتَينِ.

فهذا أعْجَب! وأمرٌ حَسنٌ جِدًّا. وإن كان حَجرًا واحِدًا فكيف نُقِرتْ بُيوتهُ وخزَائِنهُ وممرَّاتِه ودهَالِيزه وشُرفَات سُورهُ، وهذا أعْجَبُ وأعْظَمُ من أن يكُون من ٩ حِجَارةٍ شتَّىٰ لأنَّه عظِيمٌ جِدًّا كَبِيرُ المجَالِس والخزَائِن والغُرف.

وفي مَواضِعَ منه كِتابة بالفَارسيَّة يقْرؤهَا من كان يَعْرِفُ الخَطَّ الفَارسيَّ. وهي أخْبَارٌ من أخْبَارِ مُلوكهِم، وشَيءٌ من سِيرهِم وتَدبِيَراتِهم.

١٢

[١] نقل ياقوت هذا الخبر عن ابن الفقيه، وصدَّره بقوله: «... ذكره ابن الفقيه وذكر له قصة من خرافات الفرس إلا أنه قال: وهذا الموضع باق إلى الآن معروف بهذا الاسم، فبقيت النفس مشتاقة إلى التطلع إلى ذلك فأوردت خبره على ما ذكره، فإن الموضع بهذا الحديث سمي ناووس الظبية صحت الحكاية أم لم تصح وهو بالقرب من قصر بهرام جور...».

انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٢٥٤؛ وقارن: القزويني: آثار البلاد، ص٤٦٤-٤٦٥.

وفي كلِّ رُكنٍ من أرْكَانِهِ صُورَة جَارِية عليها كِتَابة، وعلىٰ مِقْدَار نِصفِ فرْسخٍ من هذا القَصْرِ ناوُوسُ الظَّبْيَةِ، وهو علىٰ تَلٍّ مُشْرفٍ وحَولهُ عُيونٌ كَثيرَةٌ وأنْهارٌ غَزِيرةٌ [1].

وكان السَّببُ في أمْرِهِ أنَّ بَهْرَام جُور خَرجَ مُتصِيِّدًا ومعه جَارِيةٌ له كانت من أحْظَىٰ جَوارِيه عنده وأقْرَبها من قَلْبِهِ، فلمَّا فرغَ من صَيْدِهِ نزَل علىٰ هذا التَّل فتَغذَّىٰ وقعَد يَشْرَبُ مع الجَارِية. فلمَّا أخذَ فيه الشَّراب قال لها: تشْتَهي عليَّ شيئًا أُبلِّغك إيَّاه. فنظَرت إلىٰ سِرب ظِبَاء.

فقالت الجَارِية: أن تجْعَل بعض ذُكُورة هذه الظِّباء مثل الإنَاث، وتجْعَل بعْضَ إنَاثِهِ مثل الذُّكُورة، وتَرْمِي ظَبْيةً من ظِبائِهِ فتَصلَ ظِلفهَا مع أُذنهَا. فورَدَ علىٰ بَهْرَام أمْرٌ بقِيَ فيه مُتحيِّرًا ثم قال: إنْ أنَا لم أفعَل ذلك عيَّرنِي المُلوكُ وغَيرهم من سَائِر النَّاس، وقالوا أصْحَابهُ تشَهَّاهَا شَيئًا ثمَّ لم يقْدِر عليه.

ثمَّ أخذ الجُلاهِق [2] ورَمَىٰ الظَّبيَة ببُنْدقُة أصَابَ أُذنهَا فرَفعَتْ ظِلْفهَا لتَحك أُذنهَا فانْتزعَ سَهْمًا فخَاطَ به أُذنهَا مع ظِلْفهَا.

[1] هذا الخبر بتمامه لدى ياقوت غير أنه لم يصرح بنقله عن ابن الفقيه، قارن: معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٦.

[2] الجلاهق: معربة عن الفارسية، وهي القوس التي ترمى بها أقراص الطين المدور المعروفة بالبندق. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٧.

ثمَّ ركَب فَرسهُ ونزَل إلىٰ السِّرب فأقْبلَ يرَمي الذُّكُور[١٣٧ظ] ذَواتِ القُرون بِنشَابٍ له وسُخَاخِين[a] [١] فيَقْتلع القُرون بذلك. ويَرْمِي الإنَاثَ متَعمِّدًا رُوؤسَها فتَنْبتُ سِهَامهُ

٣ فيها فتَصِير كأنَّها قُرون، فلمَّا بلغَ من ذلك ما أرَادَت الجَارِية انْصَرف فذَبحهَا ودفَنهَا مع الظَّبْيةِ وبنىٰ عليهِمَا نَاووسًا من حجَارةٍ وكَتبَ عليه الخَبر [b) وقال: إنمَّا قَتْلت الجَارِية لأنَّها قَصدَتْ تعْجِيزي وكَادَتْ تَفْضَحنِي](b [٢]، وهذا النَّاووسُ إلىٰ وقْتِنا هذا معرُوفٌ

٦ مشْهُورٌ يُسمَّىٰ بنَاووس الظَّبْيَة[٣].

[c) أنْشَدنِي بعْضهُم فيه:

[الطويل]

عَجِبْتُ لِبَهْرَام ومن ذَاتِ ظَبْيَةٍ ... تجُوبُ وتَغْدو بين قَفْر السَّباسِبِ

وبَهْرَامُ مع حَوْراءَ عَينٍ كأنَّها ... أيَا الشَّمْسِ أصْبَتْ بين عُشْب المغَارِبِ

فقَالَت له الحَوْرَاءُ دُونَك فَارْمِهَا ... وصُكَّ بسَهْمٍ من سِهَامِ الشَّصَائبِ

مجَامِع أذنَيْهَا وأسْفَلَ ظِلْفِها ... فلا عُذْرَ إن خَالفتَ يابن الأشَاهِبِ

فأرْسَلَ سهْمًا صَكَّ منها الذي بَغتْ ... وقَامَ إليها مُغْضَبًا بالقَواضِبِ

٩

(a) في الأصل: ذو شاخين، والتصويب من ياقوت، والقزويني.

(b_ b) ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت.

---

[١] سخاخين: جمع سخين، مسحاة منقلبة على هيئة القادوم. انظر: ابن دريد الأزدي: تهذيب اللغة، ج٧، ص٢.

[٢] قارن: معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٦.

[٣] قارن هذه القصة لدى: المرغني الثعالبي: تاريخ غرر السير المعروف بغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، تحقيق: زوتنبرج، طهران، ١٩٦٣م.

وقال آخر في طَويلَةٍ له:

[البسيط]

ولا أرَىٰ مُلْكًا تَجْبُو المُلُوكُ له بالسِّنْد والهِنْدِ والمعْمُور بالصِّينِ

ولا أرَىٰ أرْدَشِيرَ الفَارِسيَّ ولا كِسْرىٰ شَهَنْشَاهُ إذ يَلْهُو بشِيرِينِ

إذ قَالَت القَيْنةُ الوَرْهَاءُ إذ نظَرتْ إلىٰ غَزالٍ تناغِي رَبْرَب العَينِ

ما دُونَ جمْعكَ ظِلْفَيهَا بنَافِذَةٍ سَكًّا إلىٰ قَرْنهِ بَهْرَام يُرْضِينِي

فَذُعِّر المَلْكُ وارْتجَّت فَرائِصهُ من قَولِ صنَّاجةٍ قالت بتَهْجِينِ

فراصَدَ الظَّبْي حتّىٰ حكَّ سَامعَه منه بظِلْفٍ علىٰ قَرْنٍ وأُذْنَيْنِ

فسكَّ ظِلْفَيه بالمدَرىٰ وسَامعَه بذي غِرَارٍ طَريرِ النَّصْلِ مَسْنُونِ][c)

٣

[a)] ويُرْوىٰ عن عُمَرٍ ﷺ أنَّه كان يَدْعُو ويقول[a)]: اللَّهم لا تُدْرِكنِي أبْنَاء الهَمَذَانيَّات والإصْطَخريَّات وعدَّد قُرًىٰ من قُرىٰ فَارِس الذين معهم قُلوبُ العُجْمِ وألْسِنةِ العُربِ[١].

٦

وذكر بعْضُ أهْل العِلْمِ أنَّ هَمَذَان هذه التي ذكَرهَا عُمرُ ﷺ هي قَريةٌ من قُرَىٰ إصْطَخَر ولَيْستْ همَذَان الجَبل. وفي الخَبر أنَّ هَمَذَان لا تُـخرَّب إلا بسَنابِك الخَيل.

٩

[(c-c)] زيادة من المختصر.

[(a-a)] في المختصر: «وقال عبد الرحمن بن الأزهر: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: اللّهم لا تدركني ...».

[١] لم أقف على مثل هذا القول لعمر بن الخطاب ﷺ في أي من المظان المعتبرة.

ويُرْوَىٰ عن جَعْفَر بن محمدٍ ﷺ أنَّه قال: لَمَّا قُتِل الحُسَيْن بن عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بكَتْ عليه السَّماءُ والأرْضُ[١] إلَّا أرْبَعة أمَاكِن: دِمَشْق، والبَصْرَة، وهَمَذَان، وبَلْخ.

ورُوِي عن كَعْب[٢]: أنَّه قال: نَجِد في الكُتِب أنَّ الأرْض كلَّها تُخَرَّبُ قبل الشَّام بأرْبَعين سَنةً[٣]. فمَكَّة تُخرِّبها الحَبَشَة والمدِينة الجُوع، والبَصْرَة: الغَرق. والكُوفَة: التُّرك. والجِبَال: الصَّواعِق. وخُرَاسَان بأنْوَاعٍ من العَذابِ. فمَدِينة بَلْخ تُصِيبُها رَجْفةٌ ورَعْدةٌ ثمَّ يغْلُب عليها المَاء فيَهْلَك أهْلُها.

أمَّا مَدِينةُ الخُلْمُ[٤] فتُصِيبهَا رَجْفةٌ تَجْعل عَالِيها سَافِلهَا. وأمَّا التِّرمِذُ فإنَّ أهْلهَا يُفْنِيهم الطَّاعُون. وأما الصَّغَانِيان[٥] وواشَجِرْد[٦] فيَفْنُونَ بقَتلٍ من عَدوٍّ يغْلُب عليهم. وأمَّا سَمْرقَنْد فتَغْلُب عليها بنو قَنْطُوراء بن كَركَر[٧] فيَقْتُلونَ أهْلهَا قتلاً ذَرِيعًا.

---

[١] أورد الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى:﴿ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩] ما رواه العلماء من صور بكاء السماء على مقتل الإمام الحسين ﷺ. انظر: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.ج١٦، ص١٤١.

[٢] يعني كعب الأحبار، وقد مرت ترجمته، ص١١٢.

[٣] انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١، ص١٩٤.

[٤] الخلم: بلدة بنواحي بلخ على بعد عشرة فراسخ منها، سكنتها بعض القبائل العربية أيام الفتوح. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٥.

[٥] الصغانيان: ولاية عظيمة بها وراء النهر متصلة بترمذ. نفسه، ج٣، ص٤٠٨-٤٠٩.

[٦] واشجرد: من قرى ما وراء نهر جيحون. نفسه، ج٥، ص٣٥٣.

[٧] بنو قنطوراء بن كركر: هم على أرجح الأراء من عرفوا في التاريخ الإسلامي باسم التتار، فمن أوصافهم أنهم عراض الوجوه، صغار العيون. [والتتار هم ترك الصين ومنغوليا].

وكذلك الشَّاشُ وفرَغَانة وأسْبِيجَاب وخَوَارِزْم. فتَصِير جمِيعُ هذه المُدنُ خَرابًا يبَابًا كلِّها كأنَّها جَوْف حِمار.

٣ وأمَّا بُخَارىٰ فهي أرْضُ الجَبابرة يُصِيبُ أهْلَهَا نحو مَا أصَاب خَوارِزْم ثمَّ يمُوتُون جَوعًا وعطَشًا.

وأما مَرْو فيَغْلب علىٰ أهْلهَا الرَّمْل، وأمَّا الهَرَاةُ فتُمْطِر حيَّاتٍ يكون بها فَنَاءُ

٦ أهْلهَا. وأما نَيْسَابُور فيُصِيبُ أهْلها رَعدٌ [١٣٨و] وبَرْقٌ وظُلْمةٌ فيُهْلِك أكْثرهُم[١].

أمَّا الرَّيُّ فيَغْلِب عليها الدَّيْلم [والطَّبريَّة]. وأما أذْرَبِيجَان وأرْمِينيَّة فيُهلكُون بالجُيوشِ والصَّواعِق والحُروب، ويَلْقَون من الشَّدائِد ما لا يَلْقاهُ غيرهم. وأما

٩ حُلْوَان فتُهْلَك بِهلاكِ بَغْدَاد من رِياحٍ وعَواصِفَ وأمْطَارٍ عَظِيمةٍ. وأمَّا الكُوفَة فَيُهْلِكُهَا السُّفْيانِي.

وأمَّا مِصْرُ فَيُهْلِكُهَا رجُلٌ يقال له: نَاجِية من جُهَينة. فويلٌ لأهْلهَا وأهْلِ دِمَشْق

١٢ وأهْل إفْرِيقِيَّة وأهْل الرَّملَة منه، ويُحاوِل دخُول بَيت المَقْدِس فيَمْنَعهُ الله منه.

وأما سَجِسْتَان فرِيَاحٌ تَعْصِفُ عليهم أيَّامًا ثمَّ تَجِيئهُم ظُلْمةٌ عَظِيمةٌ تتبعهَا هزَّةٌ عَالِيةٌ تتصَدَّع لها جِبالُـهُم وقُلوبُهُم فيَتْلَفُ عَامَتهُم بذلك.

١٥ وأما كَرْمَان وأصْبَهان وفَارِس فيُتْلِفهُم الجَرادُ وجور السُّلْطَان. وخَراب السِّنْدِ من قِبل الهِنْدِ. وخَراب التُّبَّت من قِبلِ الصِّين.

[١] قارن: الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، بيروت، ١٩٩٧م، ص٥٦١.

وخَراب الشَّامِ من مَلْحَمةٍ كَبِيرةٍ تَحِلُّ بها. وعِند خَرابِهَا تُفْتَح القُسْطَنْطِينيَّة علىٰ يَدِ رَجُلٍ من بيْتِ رسول الله ﷺ . وخَراب الأنْدَلُسِ من قِبلِ الزِّنْجِ. وقد قِيلَ إنَّ خَرابَ مِصْرَ من انْقِطَاعِ النِّيل. ٣

وخَرابَ هَمَذَان من الدَّيْلَم، يَدْخُلونهَا فيُخْرِبُونهَا فلا هَمَذَان بعدها[١].

والله أعلم.



[١] قارن: ما جاء في خراب البلدان، لدى المقدسي: البدء والتاريخ، تحقيق: كليمان هوار، باريس، ١٩٠١م، ج٤، ص١٠٢-١٠٤.

القَوْلُ في نَهَاوَنْد وأَصْبَهَان وقُم وغَيْر ذلك

٣ قال أبوالمنْذِر هِشَام بن السَّائب الكَلْبيُّ[١]: سُمِّيت نَهَاوَنْد لأنَّهم وجَدوهَا كما هي. ويقال إنَّها من بِنَاء نُوح ﷺ وإنَّما اسْمُهَا نُوح أَوَنْد فخففت وقيل نَهَاوَنْد. وهي أَعْتقُ مَدِينةٍ في الجَبَلِ[٢]. قال: وكان فَتْحُها يوم الأَرْبِعاء سنة تِسْع عَشْرة، ويُقال سَنة ٦ عِشْرِين.

وذكَر أبو بَكْر الهُـذَلِيّ[٣] عن [a]الحَسَن ومُحَمَّد[٤] قالا[a]: كانت وقْعَةُ نَهَاوَنْد سنة إحْدَىٰ وعِشْرِينَ. ويُقال إنَّ حُذَيْفَة حَاصر نَهَاوَنْد، فكان يُقَاتِلُ أهْلها، فقَاتلَهُم يَوْمًا ٩ قِتَالًا شَدِيدًا[٥].

(a-a) في الأصل: عن الحسن بن محمد، والتصويب من البلاذري: فتوح البلدان.

---

[١] تقدمت ترجمته: انظر: ص١٢٨.

[٢] انظر فيما تقدم، ص٥٤٩.

[٣] انظر فيما تقدم، ص١٧٥.

[٤] هما الحسن البصري، وابنه محمد، وكان أبو بكر الهذلي يروي عنهما. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٨٨.

[٥] قارن: البلاذري: فتوح البلدان،[فتوح نهاوند] ص٤٢٩.

فأتبع سِمَاك بن عُبَيْد العَبْسِي[1] رجُلًا منهُم ليَقْتُله، فلمَّا رهَقهُ أَلْقَى سلَاحهُ واسْتَسْلَم، فأَخَذهُ أَسِيرًا.

٣ فأقْبلَ يتكلَّم بالفَارِسيَّة، فأحْضَروا تُرْجَمَانًا فقال: يقُول: اذْهَبُوا بي إلى أَمِيركُم حتى أُصَالِحهُ على المَدِينةِ وأُؤدِي إليه [١٣٨ظ] الجِزْية وأُعْطِيكَ أنت ما شِئت فقد مَنَنْتَ عليَّ إذ لم تقْتُلني. فقال له: ما اسْمُك؟قال: دينار فانْطَلَقُوا به إلى حُذَيْفة

٦ فصَالَحهُ على الخَراجِ والجِزْيةِ، وأَمِنَ أَهْل نَهَاوَنْد على أَمْوَالهم وأَنْفسِهم وذَرارِيهم. وسُمِّيت نَهَاوَنْد يومئذ مَاه دِينَار.

وقال الـمُبَارَكُ بْنُ سَعِيدٍ[2] عن أَبِيه قال: نَهَاوَنْد [من] فتُوحِ أَهْل الكُوفَة،

٩ والدِّيْنَور من فتُوحِ أَهْل البَصْرَة، فلمَّا كَثُر النَّاس بالكُوفَة احْتَاجُوا إلى أنْ يُزَادُوا في النَّواحِي التي قد صُولِح على خَراجِها، فَصُيِّرت لهم الدِّينَور، وعُوِّضَ أَهْلُ البَصْرَة نَهَاوَنْد لأنَّها قرِيبةٌ من أَصْبَهان، فصَارَ فضْلُ ما بين خَراجِ الدِّينَور ونَهَاوَنْد لأَهْلِ

١٢ الكُوفَة، فسُمِّيت نَهَاوَنْد مَاهُ البَصْرَة والدِّينَور مَاهِ الكُوفَة وذلك في أيَّام معَاوِية بن أبي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3].

١٥

[1] سماك بن عبيد العبسي، أحد ثلاثة اسمهم سماك، تولوا مسالح دستبى من أرض همذان. انظر: الدارقطني: المؤتلف والمختلف،ج٣، ص١٢٤٠.

[2] المبارك بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الرحمن الثوري، أخو سفيان، سكن بغداد، وتوفي بالكوفة في أول سنة ثمانين ومائة وكانت عنده أحاديث. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٨٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٥، ص٢٨٦.

[3] قارن: البلاذري: فتوح البلدان،[فتوح نهاوند] ص٤٢٩.

وعلىٰ جبل نَهَاوَنْد طَلْسَمانِ وهما: صُورَة سَمَكة وصُورَة ثَوْر [من][a] ثَلْجٍ لا يَذُوبَان في شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ، ويُقال إنَّهما للمَاء لئلَّا يَقِلَّ بنَهَاوَنْد، فمَاؤهُما نِصْفَان: ٣ [نِصْفٌ][a] إليها، والنِّصْفُ الآخَر إلىٰ الدِينَور والأَشْتَر[١].

القَوْل في أصْفَهَان

٦ وأمَّا أصَفهَان، فقال ابن الكَلْبيِّ: سُمِّيت أصَفهَان بأصَبَهَان بن الفَلُّوج بن سَام بن نُوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وحدَّث ابن عُيَيْنَةَ[٢] قال: سمعت ابن شُبْرُمَةَ[٣] يقول له: يَوْمٌ ولَيْلَة بالحِيرة خَيرٌ من ٩ دَواءِ سنة. فحَدَّث بهذا الحَدِيث مُحَمَّد بن مُوسَىٰ بن الوَزِير قال: نَومُ لَيْلَةٍ بأصْبَهَان خَيرٌ من دَواءِ سَنتَيْن.

ويُروىٰ عن سَعِيدٍ بن المُسَيَّب[٤] أنَّه قال: لَوْ لم أكُن من قُرَيش لأحْبَبتُ أنْ أكُونَ ١٢ من فَارِس ثمَّ من أصْبَهَان[٥].

[a] زيادة من ياقوت.

[١] قارن: المختصر، ص٢٥٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: نهاوند] ج٥، ص٣١٣-٣١٤.

[٢] تقدمت ترجمته ص٣٨٤.

[٣] مرت ترجمته ص١٤٤.

[٤] انظر فيما تقدم ص٢٢٤.

[٥] قارن هذا الخبر لدى: الأصفهاني: طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، ج١، ص١٥٤؛ أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج٢، ص٦٤.

(a [وهي صُلْحِيَّة لأنَّ: عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجَّه عَبْد الله بن بُدَيْلِ بْن وَرْقَاءَ[١] إليها سنة ثَلَاث وعِشْرِين. ويُقال: بل كَتَبَ إلىٰ أَبِي مُوسَىٰ الأشْعَرِي يأمُره بتَوْجِيه جَيْشٍ إلىٰ أصْبَهَان، فوجه عَبْد الله بن بُدَيْلِ ففَتحَها صُلْحًا علىٰ أنْ يُؤدِي أَهْلُها الخَراج والجِزْيَة.

ووجَه عَبْد اللهَّ بْن بُدَيْلٍ الأحْنَف بن قَيْس- وكان في جَيْشِه إلىٰ اليَهُودِيَّة - فصَالحَهُ أَهْلُهَا علىٰ مِثل ذلك الصُّلح، وغلب ابن بُدَيْل علىٰ أرْضِ أصْبَهان. ثمَّ ولَّاهَا عُثْمَانُ بعده السَّائِبَ بن الأقْرَع[٢]. وكان فَتْحهَا في سنة ثَلاثٍ وعشْرِين أوأرْبَع وعِشْرِين[٣]]a).



(a-a) التتمة من المختصر.

[١] عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، صحابي أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك، وقاتل مع عليٍّ بصفين. وقتل بالمعركة سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٨٧٢؛ المزي: تهذيب الكمال في معرفة الرجال، ج١٤، ص٣٢٦-٣٢٧.

[٢] السائب بن الأقرع الثقفي،كوفي، أدرك النبي ﷺ . ولاه عمر بن الخطاب قبض الأخماس من غنائم أموال الفرس. ثم استعمله على المدائن.

انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٥٦٦-٥٦٧؛ ابن عبد البر: المصدر السابق،ج٢، ص٥٦٩.

[٣] انظر: مختصر الكتاب، ص٣١١؛ وقارن: البلاذري: فتوح البلدان، [مادة: فتوح قم وقاشان وأصبهان] ص٤٣٦-٤٣٨.

[a) [وقال الكَلْبيُّ: وكان جَدُّ أبي دُلَفْ، [وأبو دُلَف][b) القَاسِم بن عِيسَىٰ بن إدْرِيس بن مَعْقِل العِجْلِيُّ، يُعَالِج العَطْر ويَجْلِب الغَنَم.

٣ فقَدِم الجَبَلَ في عِدَّةٍ من أهْلِه، فنزَلُوا قَرْيةٍ من قُرىٰ هَمذَان، [تدعىٰ مس][b) ، فأثْرُوا واتَّخذُوا الضِّياع، ووَثبَ إدْرِيس بن مَعْقِل علىٰ رَجلٍ من التُّجَار كان لَهُ عليه مَال فخَنقَه وأخَذ مَاله، فحُمِلَ إلىٰ الكُوفَة وحُبِسَ بها في ولَايةِ يُوسِف بن عُمَر

٦ الثَّقفِي[١] [علىٰ] العِرَاق، في زمَنِ هِشَام بن عَبْد المَلِك، ثمَّ إنَّ عِيسَىٰ بن إدْرِيس نزَلَ الكَرَج وغَلبَ عليها، وبنَىٰ حِصْنَها [c) [وكان حِصْنًا رثًّا][c) وقَوِيت حَالُ أبي دُلَف وعَظُمَ شَأنَه عند السُّلْطَان.

٩ فكَبَّر ذلك الحِصْن وزَاد فيه وسَمَّاها الكَرَج، فقِيل كَرَج أبي دُلَف. فالكَرج اليَوْم مِصْرٌ من الأمْصَار. وكانت من قَبْلُ من رُسْتَاقِ أصْبَهَان. فهي اليَوْم مُفْرَدة بِرَأسِها تسَمَّىٰ الإيغَارَيْن[٢]][a) .

١٢ ولَمَّا ارْتَحلتِ اليَهُود من بَيْتِ المَقْدِس هَارِبينَ من بُخْت نَصَّرَ، حَمَلُوا معَهم من تُرَاب بَيْتِ المَقْدِس ومَائِه، فكَانُوا لَا يَنْزِلُون مَنْزِلًا ولَا يدْخُلونَ مَدينةً إلَّا وزَنُوا مَاءها وتُرَابهَا، فمَا زَالُوا حتىٰ دخَلُوا أرْض أصْبَهَان فنزَلُوا [c) [بمَوْضِعٍ منها يُقال له:

١٥ بنْجَار وهي كَلِمةٌ عبْرَانيَّة معْنَاهَا انزِلُوا فنَزلُوا][c) ووزَنُوا المَاءَ والطِّين الذي في ذلك

(a-a) ساقطة من الأصل: والتتمة من المختصر. (b) زيادة من البلاذري: فتوح البلدان.

(c-c) تتمة من البلاذري: فتوح البلدان. (d-d) ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

---

[١] مرت ترجمته. ص١٦٧.

[٢] بنصه لدى البلاذري: فتوح البلدان، [مادة: فتوح قم، وقاشان، وأصبهان] ص٤٣٩-٤٤٠.

المكَان فكان مِثْلَ الذي معهُم من تُرَابِ بيْتِ المَقْدِس ومَائِهِ، فعِنْدَها اطْمأَنُوا وأخَذُوا في الأبْنِيةِ والعِمَارات، وتَوالَدُوا وتَناسَلُوا وسُمِّي المكَان بعد ذلك باليَهُودِيَّة

٣ فبِهِ يُعْرفُ إلىٰ هذا الوَقْت[١].

فأمَّا مَدِينة أصْبَهان فاسْمُهَا جَيُّ، وبنَاهَا الإسْكَنْدَر علىٰ مجْرىٰ حيَّةٍ [١٣٩و] فالبِنَاءُ قَائِم إلىٰ يوْمِنا هذا مُعوَج.

٦ ويُقَال إنَّه كان بنَىٰ سُورَها مِرَارًا كثِيرةً مُربَّعًا ومُدوَّرًا، فكانَ إذا فَرغَ منه تَساقَط وغَيْره من أبْنِيةِ البَلد، فآلَىٰ علىٰ نَفْسِه أنْ لا يَبْرَح أو يَبْنِيَّها. فرَأىٰ في بَعْضِ الأيَّام حَيَّة قد جَاءت فدَارتْ حَوْل السُّور مُسْرِعةً ثمَّ انْصَرفَتْ. فأمَر أنْ يُرْسَم

٩ السُّور علىٰ مجْرِها ففعل ذلك فثَبتَ البِنَاء ولم يَقَع. وأصْبَهان من فُتوحِ أبي مُوسَىٰ الأشْعَرِي في أيَّام عُمَر بن الخَطَّاب رضي الله عنه.

وقال الشَّعْبيُّ: لمَّا انْهزَمَ يَزْدَجُرْدُ من المدَائِن صَارَ إلىٰ نَهاوَنْد، فلمَّا انْهزَم منها

١٢ انتَخبَ من عَسْكَرِهِ ألف أسْوَار[٢]، وألْفَ خبَّاز، وألْفَ طَبَّاخ، وألْف صَاحِب حَلْوَاء. ثمَّ مضَىٰ حتىٰ نزَلَ مَرْو، فلمَّا قُتِل بها صَارَتْ الأسَاوِرَة إلىٰ بَلْخ، فأهْلُهَا أشْجَع أهْل خُرَاسَان.

١٥

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة اليهودية] ج٥، ص٤٥٤.

[٢] الأسوار: لفظة فارسية معربة، تتطلق على الفارس الذي يجيد رمي السهام وهو ثابت على ظهر الخيل. انظر: ابن سيده: المخصص، ج٢، ص١٠٧.

وصَارَ الطبَّاخُون إلىٰ هُرَاة فأَهْلُهَا أَحْذَقُ النَّاسِ بأَلْوَان الطَّبْخِ. وأَقَامَ الخبَّازُونَ بمَرْو فأَهْلُهَا أَجْوَدُ النَّاس خُبْزًا، ولهم ضُروبٌ منه لَا تُوجَد في غيرِ بلَدهِم. وصَارَ ٣ صَاحِبُ الحَلْوىٰ إلىٰ أَصْبَهَان، فهم أَحْذَقُ النَّاسِ باتِّخَاذِ الحَلْوىٰ.

وقال الهَيْثَمُ بن عَدي: لم يَكُن بفَارِس أَقْوىٰ من أَهْل كُورَتَيْن: واحِدَةٌ سَهْلِيَّة وأُخْرَىٰ جَبليَّة. أما السَّهليَّة فكَسْكَر، وأَمَّا الجَبليَّة فأَصْبَهَان. وكان خَراجُ كلِّ كُورَة ٦ اثْنَي عَشْر أَلْفَ أَلْف مِثْقَالٍ [ذهبًا][a][1]، وكانت مِساحةُ أَصْبَهَان ثمانِين فَرْسَخًا في مِثْلهَا، وهي سِتَّة عَشْر رُسْتَاقًا في كلِّ رُسْتَاقٍ ثَلاثُمائة وستُّون قَرْيةً قَدِيمةً سِوىٰ المُحْدَثَة وهي، جَيُّ، ومَارَبَانَان، وأَلَنْجَان، والبَراءَان، وبَرْخُوارور، ورُويْدَشت، ٩ وأَرْدَسْتَان، وكَرْوان، وبُرزْاباذان، والدارِك، وفريدين، وقُهِسْتَان، وقَامندَار، وجرم قاشَان، والتُّميْرة الكُبْرىٰ، والتُّميرة الصُّغرىٰ، ومكَاهِن الدَّاخِلة[2].

قال: وخَراجُ أَصْبَهان سَبْعةُ آلاف أَلْفِ دِرْهمٍ، وهي واسِعةُ الأَرْضِ، كَثِيرةُ ١٢ العِمارَات، طَيِّبةُ الهَواء، صَحِيحَةُ التُّربَة، قَلِيلةُ الهَوامِ كَثِيرةُ الخَيْرِ عَذْبةُ الماء.

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

---

[1] مثقال الذهب هو الدينار، ويساوي ٤,٢٥ جرام ذهب. ما يعني أن خراج كل كورة من كور أصبهان يساوي ٥١ ألف كيلو ذهب، وهي كمية ضخمة جدًا بمقاييس هذا العصر، علمًا بأن قاعدة التعامل في بلدان المشرق الإسلامي كافة كانت هي الدرهم الفضي. وقد جاء في نسخة المختصر: « وكان خراج كل كورة مائتي ألف درهم». وهو ما يساوي ١٢ ألف دينار بسعر صرف ١٦,٦٦ درهم إلى الدينار. وبهذا يكون الناسخ قد كرر لفظة ألف فضاعف الخراج ألف مرة. انظر: المختصر، ص٣٦٢-٣٦٣.

[2] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: أصبهان]ج١، ص٢٠٦-٢٠٨.

وخَبَّر الفَضْلُ بن مَرْوان[١] أنَّه قَبِلَ أصْبَهان وقُمَّ بسِتَّة عَشْر أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ بالكِفَايةِ، على أنَّه لا مَؤُونةَ على السُّلْطَان[٢]. وكان [١٣٩ظ] كَيْقاوَس[a] المَلِك مَلَّك ٣ عليها جَوْدَرْز في زمَنِ الفُرْس.

[القَوْلُ في قُمّ]

٦ ويُقال: إنَّ الذي بنَى مَدِينة قُمّ قمسَار بن لهرَاسِف. ورَوَى أبو مُوْسَى الأشْعَرِيُّ قال: سَألتُ عليَّ بن أبِي طَالبٍ ﷺ عن إسْلَامِ المُدنِ وخَير المَواضِع عند نُزولِ الفِتْنةِ وإظْهَار السَّيف. فقال: [b] أسْلَمُ المَوَاضِع لمُسْلِمٍ[b] يومئذ أرْضُ الجَبلِ، فإذا ٩ اضْطَّربت خُرَاسَان ووقَعتِ الحَربُ بين جُرْجَان وطَبرِسْتَان، فأسْلَمُ المَواضِع يومئذ

---

[a] رسمت في الأصل: كيكاوس.

[b_ b] في الأصل: أسلم لمسلم المواضع.

---

[١] الفضل بن مروان بن ماسرجس، أخذ البيعة للخليفة المعتصم ببغداد بعد وفاة المأمون وذلك سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م. فاستوزره نحو ثلاث سنوات، وتوفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. انظر في ترجمته وأخباره: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٨٣-٨٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٤٨-٤٩.

[٢] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٢١؛ ويفهم من هذا النص أن الوزير الفضل بن مروان، قد ضمن سداد هذا المبلغ إلى خزانة الدولة مقدمًا على أن يقوم بتحصيل الخراج دون أن يُكلف الدولة شيئا، هذا وقد استحدث العباسيون نظام الضمان- في معظم أقاليم الدولة الإسلامية- بغرض استمرار التدفق النقدي على خزائنهم دونما ارتباط بمواعيد الزراعة والحصاد. للمزيد راجع: عبد العزيز الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م؛ تاريخ العراق الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٥م.

قَصبَةُ قُمَّ، تلْكَ التي يَخْرجُ منها أنْصَار خَيرِ النَّاس أبًّا وأمًّا وجدًّا [وجَدَّةً] وعمـًّا وعمَّةً. تلْكَ التي تُسمَّىٰ الزَّهْرَاء؛ بها قَدمُ جِبْرِيل ﷺ يَوْمَ نزَل إلىٰ قَوْمِ لُوط.

٣ وهو المَوْضِع الذي يَنْبُع منه المَاء الذي من شَربَ منه آمَنَ من الدَّاءِ العُضَال. ومن ذلك المَاء عَجَن المَسِيحُ الطِّين الذي يعْمَل منه كَهيْئَة الطَّير.

ومنه يغْتَسِلُ المَهْدِيُّ، ومنه خَرجَ كَبْشُ إبْرَاهِيم ﷺ وعَصَىٰ مُوسَىٰ ﷺ وخَاتَمْ

٦ سُلَيْمان ﷺ. وهي أعْظَمُ المُدُنِ شَأْنًا وأكْبَرهَا سُلْطَانًا، فيها الأَمْنُ والخِصْبُ والعِزُّ والسَّطْوةُ والظَّفْرُ وهِمَّـةُ الأهْلِ وطِيبُ الهَواء[1].

وبقم من الرَّسَاتِيق والطَّساسِيج طَسُّوج لنجرُوذ، وطَسُّوج رُوذَبار، وطَسُّوج

٩ أبرسِيحَان، وطَسُّوج سجارَان، وطَسُّوج سرَاجَه، وطَسُّوج وراكَروَذ، رُسْتَاق

---

[1] يظهر في عدد من فقرات الكتاب أثر مقولات الشيعة في تفضيل الإمام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، بنسبة بعض الأقوال التي لا تليق إليه، ولا تناسب مقامه وفضله وسبقه في الإسلام. لعل أبلغ رد على مثل هذه المقولات ما قاله الإمام الحافظ ابن تيمية "رحمه الله تعالى" إذ يقول نصًا:- « وأمَّا قولُ القائِلِ إنَّهُ كَانَ عَصَى مُوسَى وَسَفِينَةُ نُوحٍ وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ فَهَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ يَتَصَوَّرُ مَا يَقُولُ وَهُوَ بِكَلَامِ الْمَجَانِينِ أَشْبَهُ مِنْهُ بِكَلَامِ الْعُقَلَاءِ وَهَذَا لَا يَقْصِدُ أَحَدٌ مَدْحَ عَلِيٍّ بِهِ إلَّا لِفَرْطٍ فِي الْجَهْلِ فَإِنَّ عَلِيًّا هُوَ وَمَنْ دُونَهُ مِنْ الصَّحَابَةِ أَشْرَفُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ وَإِنْ كَانَتْ الْعَصَا آيَةً لِمُوسَى فَلَيْسَ كُلُّ مَا كَانَ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ أَفْضَلَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ الْمُؤْمِنُونَ أَفْضَلُ مِنْ الطَّيْرِ الَّذِي كَانَ الْمَسِيحُ يُصَوِّرُهُ مِنْ الطِّينِ فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَفْضَلُ مِنْ الْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالدَّمِ الَّذِي كَانَ آيَةً لِمُوسَى وَأَفْضَلُ مِنْ الْعَصَا وَالْحَيَّةِ وَأَفْضَلُ مِنْ نَاقَةِ صَالِحٍ. فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ بِهَذَا الْكَذِبِ وَالْجَهْلِ يَمْدَحُ عَلِيًّا كَانَ جَهْلُهُ مِنْ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ مِنْ جِنْسِ جَهْلِهِ بِأَنَّ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ لَمْ تَكُنْ آدَمِيِّينَ قَطُّ». انظر: ابن تيميَّة: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٩٩٥م. ج١٨، ص٣٦٢.

الجَبَلِ، رُسْتَاق سَاوة، رُسْتَاق جرَّىٰ [a] [وسَيَا سومِيلادجَرْد] [a] وغير ما ذكرنا من الطَّساسِيج والرَّسَاتِيق.

٣ [b] [وأخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بن أبِي مَرْيَمَ[١] قال:] [b] ومَبْلَغُ [وظِيفَة] [c] الخَراجِ [بكُورَةِ] [c] قُمّ وممَّا في ذلك من الاحْتِسَابَات، ومَا علىٰ آلِ عَجَلٍ ومن في نَاحِيتهم وعلىٰ أهْلِ الأطْرَاف من الوَرِقِ ثلاثَةُ آلَافِ أَلْف ومَائتَا أَلْف وعشرونَ أَلْفٍ وثَلاثِون دِرْهمًا.

٦ [d] [ومَا علىٰ الضِّياعِ المَنْقُولةِ إلىٰ هذه الكُورَة: مِائَتا أَلْف وعِشْرُون أَلْفًا وثَلاثُمائَةٍ وثَلاثُونَ دِرْهَـمًا] [d] فجَمِيعُ ذلك ثَلاثَة آلَافِ ألْفٍ وأرْبعُمائِة أَلْف وثَلاثَة وأَرْبَعون ألفًا وثَلاثُمائِةٍ وثَلاثون دِرْهمًا[٢] [d] [قِيمَتُهَا علىٰ صَرْفِ سَبْعَةَ عَشْرَ بدِينار: ٩ مِائَتا أَلْفٍ وأَلْفَان وخُمْسمَائَة وتِسْعَة وأرْبَعُون دِينَارًا] [d].

ولَمَّا أَمَر قُبَاذ بُلُنْيَاس بأنْ يُطَلْسِم آفَات بَلاده مضَىٰ إلىٰ قُمَّ، فاتَّخَذَ [آبَارًا] [e] بإزَاءِ مَلَّاحَتها إلىٰ جَانِبِ شَجَرةِ المَلَّاحَة طَلْسَمًا لَيدُوم جريَان عَينِ المَلَّاحَة ولَا يَنْقَطِع ما لم ١٢ يُحْظَر عليه، فإنْ حُظِرَ أو مُنِعَ النَّاسُ منه جَفَّ ولم يَجْرِ.

(a-a) الزيادة من المختصر.

(b_b) التكملة من المختصر.

(c) التتمة من المختصر.

(d-d) الزيادة من المختصر.

(e) التتمة من المختصر.

[١] محمد بن إبراهيم بن أبي مريم، عامل المعتضد العباسي على مدينة قم. انظر: القمي: تاريخ قم، ص١٠٤-١٠٥؛ ١٣٠.

[٢] قارن: المختصر [مادة: قم] ص٢٦٤.

وهذه العَينُ يَجْرِىٰ مَاؤهَا فكُلَّما بعُدَ عنها جَمُدَ وصَارَ مِلْحًا ما جَاء يَأْخُذهُ أهْلُ تِلْكَ البِلَاد.

٣ وعَمِلَ طَلْسَمًا [١٤٠و] آخر ليُخْفِي مَعْدَن ذَهبٍ وفِضَّةٍ كانا هناك، لأنَّ الفَلَّاحِينَ كانوا يَشْتَغِلونَ بهما عن أعْمَالِهِم. وعَمِلَ طَلْسَمًا آخر للحَيَّاتِ والعَقَارِب، وكانَ أهْلُها يَلْقون من ذلك أذًىٰ شَدِيدًا، فانْحَازَت إلىٰ جَبلٍ بالقُرْبِ منها فما يَقْدِر أحَدٌ إلىٰ هذا

٦ الوَقْت يَجْتَازُ فيه من كَثْرةِ الحيَّاتِ والعَقَارب.

ثم مضىٰ إلىٰ فَراهَان وفيها سَبْخَةٌ تَبْتَلعُ البَعِيرَ بحِمْلهِ والفَرسَ براكِبه، فاتَّخذَ حوْلَها طَلْسمينَ فاسْتَراحَ المُجْتَازُون فيها من الغَرقِ.

٩ ولَمَّا مَلكَ طَهْمُورث بنَىٰ بأرْضِ أصْبَهان في رُسْتَاقِي مَاربِين ورُوَيْدَشْت. وفي مُلْكَ فَيْرُوز بن يَزْدَجُرد بن بَهْرَام أقْحَط النَّاسُ ولم يُمْطَروا سَبعَ سِنِينَ، فاتَّصلَ بفَيْرُوز أنَّ رجُلًا مَاتَ في[جُوانِق][a] - قَرْيَة من بعْضِ الرَّسَاتِيق- فخَشِيَ أن يكُونَ

١٢ مَات جَوعًا، فأنْفذَ نَقِيبه إلىٰ دَارِ ذلك الرَّجُل ففَتَّشهَا ووجَد فيها ثَلاثة جَرابِيٍّ كِبارٍ مَمْلُوْءة حِنْطة فأخْبرَ المَلكُ بذلك، فأعْطَاهُ أرْبعَة آلافِ دِرْهَم وقال: الحَمْدُ لله الذي قَطَع المَطَر عن أهْل مَمْلَكَتي سَبْعَ سِنِينَ ولم يَمُتْ إنْسَانٌ منهُم جُوعًا.

١٥ [b] [وكانت جُوانق مَاهيَّة، وكانت لقَوْمٍ لهم أخْطَار، فسَألُوا فَيْرُوز أنْ يُصَيِّر جُوانق إلىٰ أصْبَهان ففعل ذلك][b] [1].

---

[a] الزيادة من المختصر.

[b-b] التكملة من المختصر.

---

[1] قارن: المختصر [مادة: قم] ص٢٦٤.

ومُطِر النَّاسُ مَاه فَرْوَردِين وروزابان فصَبُّوا بعْضُهُم علىٰ بَعْضٍ فصَارت سُنَّة إلىٰ اليَوْمِ في الصَّبِ بعْضُهُم علىٰ بَعْضٍ في ذلك اليَوْمِ بمَاه وهَمَذَان وأصْبَهان والدِّيْنَور

٣ وهذه النَّاحِية.

ووَادٍ بها [يُسمَّىٰ] [a] زند رُوذ يَخْرُج من قَرْيةٍ يقال لها: بناكان يَمُرُّ بقَرْيةٍ يقال لها دَرْ ثم إلىٰ قَرْيةٍ يقال لها ذنبه. ويصُبُّ إلىٰ هذه القَرْيةِ ميَاهًا كَثيرةً فيكثُر المَاءُ هناك

٦ ويَعْظُم أمْره ويَسْقِي الرَّسَاتِيق والقُرىٰ، ثمَّ يغُور في رَمْلٍ [في آخِرهَا] [b].

ويَخْرجُ بكَرْمَان علىٰ سِتِّينَ فَرْسخًا من المَوْضِع الذي يَغُور فيه فيَسْقِي أرْض كَرْمَان ثمَّ يصُبُّ في البَحْرِ الشَّرقيِّ. وكانت مَعْرفَتُهم بهذا المَاء الذي يَغُور في الرَّملِ،

٩ وهو الذي يَخْرُج بكَرْمَان فاسْتَدلُّوا بذلك علىٰ ما ذكرنا[١].

ولبَعْضِهم في عُذُوبةِ مَاء أصْبَهان (شِعْر)[٢]:

[الخفيف]

لَسْتُ آسَىٰ مِنْ أَصْبَهَانَ عَلَىٰ سِوَىٰ مَائِهَا الرَّحِيقِ الزُّلَالِ
ونَسِيمِ الصَّبَا ومُنْخَرقِ الرِّيح وجُوٍّ صافٍ علىٰ كُلِّ حالِ
ولَها الزَّعْفَرانُ والعَسَلُ المَاذِيُّ والصَّافِنَاتُ تَحْتَ الجِلَالِ

١٢

[a] الزيادة من المختصر.

[b] التكملة من المختصر.

[١] قارن: المختصر [مادة: قم] ص٢٦٤.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٨.

قال آخر[1]: [١٤٠ظ]

[الخفيف]

لَسْتُ آسَىٰ علىٰ أَصْبَهَانَ لشَيْءٍ أَنَا أبْكِي عليه من رَحِيلي
غَيْر مَاءٍ يكُون في المَسْجِد الجَا مِع صَافٍ مُرَوَّقٍ مَبْذُولِ

٣ وقال بعضهم: رَأيتُ في غُرْفةٍ ببعْضِ الخَانَات التي في طَرِيق أصْبَهان مَكْتُوبًا عليها(شعر)[2]:

[الخفيف]

قُبِّحَ السَّالِكُونَ في طَلَبِ الرِّ زْق علىٰ إِيْذَجٍ إلىٰ أصْبَهانِ
لَيْتَ من زَارَها فعَادَ إليها قَدْ رَمَاه الإلَهُ بالخُذْلَانِ

٦ ويقال إنَّ بُلُنْيَاس لَمَّا أرَادَ دخُول أصْبَهان ليُطَلْسِم آفَات مَدِينَتهَا، اجْتَازَ ببَعْض رَسَاتِيقَها وقد أضَرَّ المَاءُ بزُروعِ أهْله، فشَكُوا ذلك إليه، فاتَّخذ لهم طَلْسمًا في جَوفِ بِئرٍ إذا احْتَاجُوا إلىٰ المَاء فاضَتْ بمَاءٍ غَزِير. فإذا اسْتَغْنُوا منه تَرَاجَع إلىٰ البِئْر وغَارَ ٩ فيها حتىٰ يحْتَاجُون إليه فيخْرُج.

ثمَّ اتَّخذَ بأصْبَهان طَلْسَمًا للهَوامِّ فقلَّت. واتَّخذ بزَرَادُشْتَ طَلْسمًا ليَنْضب مَاؤهُم في الصَّيفِ ويفِيضُ عليهم في الشِّتَاء فيَضرُّ بهم ويُؤذِيهم وذلك أنَّهم أغْضَبُوه.

١٢

[1] قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: أصبهان] ج١، ص٢٠٨؛ القزويني: آثار البلاد، ص٢٩٦.
[2] انظر: المصدر السابق، [مادة: إيذج] ج١، ص٢٨٨.

وعمِلَ طَلْسَمينِ أحَدهُما تَحْتَ بابٍ من أبْوَابِ المدِينةِ والآخَر إلىٰ جَانب شَجرَة بينها وبين المدِينةِ فَرْسخ، فإذا فُتِح ذلك البَاب وقَع الوَبَاء في أهْلِ المدِينةِ، وإذا قُطِعَ
٣ غُصْنٌ من أغْصَانِ تلك الشَّجَرةِ ارْتَفعَ الوَبَاء.

وعَملَ طَلْسَمًا للفُجُورِ وفَسَادِ النِّسَاء فلَيْس الزِّنَىٰ ببَلدٍ من البُلْدَانِ أظْهَر منه بها، وإنَّما دعَاهُ إلىٰ ذلك أنَّ أهْلهَا أفْسَدُوا غَلامه. ثمَّ لم يقَنعْ بذلك حتىٰ عمِلَ علىٰ
٦ طُرقِهم وهي سَبعُ طُرقٍ، سَبعَ طلْسَماتٍ للخَوفِ. فطُرقُهم مـَخُوفةٌ أبدًا.

ويقال لم يُبْنَ بالجَصِّ والآجُرِّ بنَاءٌ أبْهىٰ من إيوَانِ كِسْرىٰ الذي بالمدَائِن، ولَا بالحِجَارةِ أحْسَنُ من قَصْرِ شِيرين.[a] [ولَا أسَاطِين أعْجَبُ من أسَاطِين قَصْر
٩ اللُّصُوصِ، ولَا طَاقٌ أعْجَبُ من شَبْدِيز][a] بَازَرمِيدَخت[١] أيْضًا بِناءٌ عَجِيب.

ولا بُنِيَ باللَّبْنِ والطِّين أبْهىٰ ولَا أحْسَن ولا أعْجَبُ من بنَاءٍ بأصْبَهان في رُسْتَاقٍ من رَسَاتِيقهَا يقال له نَيمُور.

١٢ وبأصْبَهان قَريةٌ يُقال لها أنْبَاجِن عند أهْلهَا خَرزَةٌ [b] [خَضْرَاء أسْمانْجُونيَّة وفيها عُروقٌ بِيضٌ وصُفْرٌ] [b] يزْعِمُون أنَّها طَلْسَمٌ للبَرْدِ. فإذا كان أيَّامُ الرَّبيع وخَافُوا علىٰ [١٤١و] زُورعِهِم وثِمارهِم البَرد، أخْرَجُوا تلك الخَرَزَة ونصَبُوها علىٰ قَناةٍ في مَوْضعٍ
١٥ عندهم معْرُوف فيُسْمَع من جَوْفِها دَويٌّ كَدويِّ الرِّيح.

(a - a) الزيادة من المختصر.

(b - b) التتمة من المختصر.

---

[١] نسبة إلى آزر ميدخت، ابنة كسرى أبرويز عظيم فارس، حكمت فارس ستة أشهر. انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٩٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٣، ص٣١٢- ج٥، ص١٤.

فيُقال إنَّ البَرد ليَجِيء في صَحَارِيهم وفي الغَامِر من أرَاضِيهم ولا يُصِيبُ العَامر من أرْضِهم وزُروعِهم شَيء. وزَعمُوا أنَّ الخَرَزَة أسْمانْجُونيَّة تضْرِب إلى خُضْرةٍ [١].

٣ وقال زِيَادُ بْنِ [أبي] رَبَاحٍ [٢]: دخَل رجُلٌ على الحسَنِ البَصْريِّ فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهْلِ أصْبَهان. قال: الهَربَ ثمَّ الهَرب من بين يَهُودِيٍّ ومجُوسِيٍّ وآكلِ رِبًا. وأنشد المَنْصُور بن بَاذَان [٣] (شِعْر):

٦ [الوافر]

فَما أنَا من مَدِينة أهْلِ جِيٍّ ولَا من قَرْيَة القَوْمِ اليَهُود
وما أنَا عن رِجَالِهم بِرَاضٍ ولَا لنسَائِهم بالمُسْتَزِيدِ

ويُقال لو فُتِّش نَسبُ رجُلٍ فيها من التُّجَارِ والتُّنَّاء لم يكن بُدٌّ من أنْ تَجِد في أصْلهِ ونَسبِهِ حَائِكًا أو يَهُودِيًّا وذكَر بعْضُ من قد جَالَ البُلْدَان وشَاهَد المُدن أنَّه لم يرَ مدِينةً ٩ أكثر من زَانٍ ولا زَانية من أهْل أصْبَهان [٤].

[١] قارن: الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، ج١، ص١٦٠.

[٢] زياد بن أبي رباح المدني، أو البصري، أبو قيس، وكناه بعضهم بأبي رباح، من حفاظ الحديث الثقات. انظر في ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير، ج٣، ص٣٥١.

[٣] منصور بن باذانَ الأصبهاني، شاعر مجيد اشتهر بفن الهجاء. انظر في أخباره: ابن المعتز العباسي: طبقات الشعراء، ص٣٥٤.

[٤] عزى ياقوت الحموي هذا القول إلى منصور بن باذان، قارن: معجم البلدان، [مادة: أصبهان]، ج١، ص٢٠٩.

[a) [وأنْشَد أبو مُحمَّد العَبْديُّ[١] لنَفْسِه:

[الوافر]

لَمَنْ طَلَلٌ تعَاجَم عن جَوابِي لقد فَصُحَت دُموعُكَ
قِف العَبَرات إنَّ دَمًا ودَمْعًا يَصوبُ برَبْعهم فمن الصَّوابِ
ألم يَحْزُنْك من ولَعانِ دَهْرٍ تَعنُّتُهُ بأطْلالِ الرُّبَابِ
ليَالي من أُحبُّ إذ اللَّيالي بقُرْبهمُ كأيَّامِ الشَّبابِ
فأبْدَلَني النَّوىٰ من حُسْن لَيْلي ليَالِي مثل أيَّام الكُلَابِ
علىٰ بَلَد أصْبَهان وسَاكِنيها لعَائِنُ والدَّمَارُ علىٰ الكِلَابِ
ولا صَبَّ الصِّبا يوْمًا إليها ليَسْحَبَ ذَيْلَ غَادِيةِ السَّحابِ
أحاوِلُ دهْرَهَا بالسَّيفِ طَوْرًا وطَوْرًا بالبَلاغَةِ والحِسَابِ
فَلَا في ذَاكَ يُفْلِحُ قَدْحُ نُجْحٍ ولا في ذَيْنِ يُغْنَمُ باكْتِسَاب
وكَيفَ ينَالُ مِثْلِي النُّجْح فيها وقد شُحِنتْ بَأولَادِ القِحَابِ[a)

٣ وفي بعْضِ الخَبر أنَّ الدَّجال يَخْرجُ من أصْبَهان[٢]. وفي الحَديث أنَّ آدمعَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لَمَّا أُهْبِطَ من الجَنَّةِ أُهْبِطَ بالهِند علىٰ جبل سَرَنْديب، وأُهْبِطَت حَواء بجُدَّة، وإبْلِيس بمَيْسَان، والحيَّة بأصْبَهان[٣].

(a-a) الزيادة من المختصر.

---

[١] أبو محمد العبدي الهمذاني، انظر: فيما تقدم ص٤٥٤.

[٢] أخرجه الطبراني بسنده، ولفظه: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ قِبَلِ أَصْبَهَانَ». انظر: المعجم الكبير، ج٢٤، ص٣٨٦.

[٣] قارن: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم، ج١، ص٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٤.

وزعَم بعْض أصْحَاب الأخْبَار أنَّه لم يَر فِي مُدِن الجَبلِ مَدِينةً أعْذَبَ ماءًا ولَا أقَلَّ هَوامًا ولَا أطْيبَ هَواءً ولا أصَحَّ تُربةً من أصْبَهان.

٣ وذكَروا أنَّ الحِنْطَة وسَائِر الحُبوبِ ربَّما أقَامت في البُيُوتِ والأهْرَاء عَشرِين سَنةً وأكْثَر فلا تتَغيَّر ولا تفْسَد، وكذلك أيضًا جمِيع الفَواكِه والمَأكُولَات، ولَا تتَغيَّر فيها القُدُور المَطْبُوخة ولو أقَامت أيَّامًا كَثِيرة.

٦ فأمَّا المَيِّتُ فإنَّه يبْقَىٰ في قَبْرِهِ المُدَّة الطَّويلَة والسِّنِين الكَثِيرة لَا يَبْلىٰ لصِحَّة التُّربة وطِيب النَّدْوة.

وهم الثِّيابُ العُتَّابِي والسَّعِيدي والوَشْي، وأنْواعُ الثِّيابِ القُطْنيَّة واللَّحمُ وغير ٩ ذلك. والمِلْحُ الأصْبَهانِي مَوْصُوفٌ في جَمِيع بُلْدَان الدُّنْيا، وكذلك الأُشْنَان [١٤١ظ].

واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب.

١٢

القَوْلُ في الرَّيِّ ودُنْبـَاوَنْد

قال ابن الكَلْبي : سُمِّيت الرَّيُّ [a]بِريِّ رجُلٌ من بنِي شَيْلَان[a] بن أَصْبَهان بن فَلُّوج بن سَام. قال: وكان في المَدِينةِ بُسْتَانٌ فخَرجَت بِنْتُ رِيٍّ إلىٰ البُسْتَان يَوْمًا إليه، فإذا هي بدُرَّاجَة تَأكُل تِينًا فقالت: بُور انْجِير. يعني أنَّ الدُرَّاجَة تأكل تِيْنًا. فاسْمُ المدِينةِ في القَدِيمِ بُور انْجِير. ويُغيِّرونَهُ أَهْلُ الرَّيِّ فيقُولُون بَهْزَويد[1].

وقال لوطُ بن يَحْيَىٰ[2]: كتبَ عُمْرُ بن الخَطَّاب ﷺ إلىٰ عمَّار بن يَاسِر - وهو عَامِلهُ علىٰ الكُوفَةِ- بعد شَهْرَيْنِ من فتْحِ نهَاوَنْد يَأْمُرهُ أنْ يبْعَث عُرْوَة بن زَيْد الخَيْل الطَّائِيَّ[3] إلىٰ الرَّيِّ ودَسْتَبي في ثَمانيةِ آلاف ففَعل. وسَارَ عُرْوَة لذلك فجُمِعتْ له الدَّيْلم، وأمدَّوا أَهْل الرَّيِّ وقَاتلُوه فأَظْهَرهُ الله عليهم فقَتلَهُم واسْتابَحهم[4].



(a - a) في الأصل: بروي من بني بيلان، والتصويب من ياقوت.

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان،[مادة: الري] ج٣، ص ١١٧-١١٨.

[2] لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي، انظر ترجمته فيما تقدم ص١٧٨.

[3] عروة بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي، راجع ترجمته ص١٨٣.

[4] هذا الخبر بنصه لدى البلاذري وقد صدره بقوله:« حدَّثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف أنَّ عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسر...». قارن: فتوح البلدان، ص٤٤٣.

وقال جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ[١]: لما قَدمَ المَهْدِيُّ الرَّيَّ في خِلَافة المَنْصُور بنَىٰ مَدِينة الرَّيِّ التي بها النَّاس اليَوْم وجعَلَ حوْلَهَا خَنْدقًا وبنَىٰ فيها مَسْجِدًا جَامِعًا، وجرىٰ ذلك علىٰ يد عمّار[a] بن [أبي] الخَصِيب وكَتبَ اسْمهُ علىٰ حَائطِها وتمَّ عليه[b] سَنة ثَمانٍ وخمْسِينَ ومِائة، وجعَل لها فَصِيلًا يَطِيفُ به فَارقَيْنِ آجُر[٢]، وسَمَّاها المُحَمدِيَّة. فأهْل الرَّيِّ يدْعُونَ المَدِينة الدَّاخِلة: المَدِينة.

ويُسَمُّونَ الفَصِيل: المَدِينة الخَارِجة، والحِصْنُ المَعْروف بالزَّبِيدِي في دَاخِل المَدِينةِ المعْرُوفةِ بالمُحَمدِيَّة[٣].

[a] في الأصل: عامر.

[b] في ياقوت: وتم عملها.

[١] جعفر بن محمد بن الحسن الرازي الزعفراني، أبو يحيى، حافظ صدوق توفي نحو ٢٠٨هـ/٨٢٣م. انظر : الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٠٥.

[٢] الفصيل: القصر، وفارقين: لفظة فارسية معربة ، تعني الخندق الذي يحيط بسور المدينة. انظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص٥٧، ٨١.

[٣] نقل ياقوت هذه المادة من ابن الفقيه حيث قال: « ووقع لي بمرو كتاب اسمه تمام الفصيح لابن فارس وبخطه، وقد كتب في آخره: وكتب أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه في شهر رمضان سنة ٣٩٠ بالمحمدية، فغبرت دهرًا أسأل عن موضع بنواحي الجبال يعرف بهذا الاسم فلم أجده؛ لأن ابن فارس في هذه الأيام هناك كان حيًّا. حتى وقعت على كتاب محمد بن أحمد بن الفقيه فذكر فيه: قال جعفر بن محمد الرازي... ».

ورغم أن ابن الفقيه استقي معظم مادته من فتوح البلدان للبلاذري دون إشارة، – فقد بدأ البلاذري هذا الخبر بقوله: «حدثني جعفر بن محمد الرازي... »– فنلاحظ أن ياقوتًا ينقل أخبارًا من ابن الفقيه وينسبها إليه، دون الانتباه إلى نقوله التي أخذها من نفس المصادر التي كانت بين يدي ياقوت ونظره. انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٦٥.

وقَدْ كان المَهْدِيُّ أَمَر بمَرمَّتِهِ ونَزلهُ أيَّام مقَامهِ بالرَّيِّ، وهو مُطِلٌّ علىٰ المَسْجِد الجَامِع ودَار الإمَارة. ويُقال أنَّ الذي تَولَّىٰ مَرمَّته وإصْلَاحه مَيْسَرة التَّغْلَبيُّ – وكان ٣ من وجُوه قُوادِ المَهْدِيِّ– ثمَّ جُعِلَ بعد ذلك سِجْنًا ثمَّ خُرِّب، فعَمَّرهُ رَافِع بن هَرْثَمة[1] في سَنةِ ثَمانٍ وسَبْعِينَ ومِائتَيْنِ، ثمَّ خرَّبهُ أَهْل الرَّيِّ بعد خُروجِ رَافِع عنها.

قال وبالرَّيِّ أَهْلُ بيْتٍ يعْرَفُون بآل الحْـَرِيش لهم رَفْضَةٌ[2] وأبْنِيةٌ حَسَنةٌ، وكان ٦ نزُولهُم الرَّيَّ بعد بِنَاء المَدِينةِ المُحْدَثة. قال وكانت الرَّيّ تُدْعَىٰ في الجَاهِليَّة أزَارِي فيقال أنَّه خُسِفَ بها، وهي علىٰ اثْنَي [١٤٢و] عشَر فَرْسَخًا من مَوْضِع الرَّيِّ اليوم علىٰ طَرِيق الخَوار بين المُحَمدِيَّة وهَاشِميَّة الرَّيّ، وفيها أبْنِيةٌ قَائِمةٌ إلىٰ اليَوْمِ تَدُل علىٰ أنَّها ٩ كانت مَدِينةً عظِيمةً.

وهناك أيضًا خَرابٌ في رُسْتَاقٍ من رسَاتِيق الرَّيِّ يقال له البَهْزَان بينه وبين الرَّيّ سِتَّة فرَاسِخ، يقال أنَّ الرَّيَّ هُناكَ كانت.

١٢ وحَدَّثني من رَأىٰ أثَر الحَوانِيت والأَسْواق بها، ولا يَزال الحَرَّاثُون ومن عمَّر فيها يجِدُون قِطَع الذَّهب وربَّما وجَدُوا اللُّؤلُؤ واليَواقِيت وغير ذلك من هذا النوع.

[1] رافع بن هرثمة أمير خراسان، كان ملكًا جوادًا عالي الهمة، ولّاه محمد بن طاهر على خراسان في أيام الموفق، ولما تولى المعتضد بالله الخلافة عزله عنها فامتنع، فقتله عمرو بن الليث بن الصفَّار وذلك سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٥٠-٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٠٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص٥٠.

[2] الرفضة: ماء القوم ومرعاهم، يقال: راعٍ رفضة، أي الذي يجمع غنمه ويطردها إلى حيث يهوي فإذا بلغت لها عنها ورفضها. انظر: ابن فارس: المجمل في اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص٣٩١؛ ابن سيده: المخصص، ج٥، ص١١٦.

والرَّيُّ العَتِيقَة المَعْرُوفَة قد خُرِّبت أيضًا. وكان المَهْدِيُّ في حَياةِ المَنْصُور ـ حيْثُ وجَههُ إلىٰ خُرَاسَان[١] ـ نزَلَ في مَوْضعٍ منها يُقالُ له السَّيرَوان[٢]، وبنَىٰ فيه أبْنِيةً حَسنةً بعْضُها قَائِمٌ إلىٰ هذا الوقت.

وفي قَلْعَة الفرَّخَان بالرَّيِّ يقول الغَطَمَّشُ الضَّبِّيُّ[٣] وكانَ دِيوَانهُ هناك فكانَ لا يُعْدَمُ في كلِّ يومٍ أنْ يُصَاحَ بالنَّفِير(شِعْر)[٤]:

[الطويل]

علىٰ الجَوْسَقِ المَلْعُونِ بالرَّيِّ ... علىٰ رَأسِهِ دَاعِي المَنيَّةِ يَلْمع



---

[١] انظر: اليعقوبي: البلدان، ص٨٩.

[٢] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٦-٢٩٧.

[٣] الغطمش بن عمرو بن عطية بن سالم بن عبد الله بن وائلة بن معاوية بن شقرة الضبي. انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج١١، ص٣٨١؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٥١٤.

[٤] قارن: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٧٦؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: الرَّي] ج٣، ص١١٨-١١٩.

وبالرَّيِّ مات مُحمَّد بن الحَسنِ[١] صَاحِب أبي حَنِيفَة. قال: ودخَلهَا سَعِيد بن جُبِير[٢] فَلقِيَهُ الضَّحَّاك[٣] وكتَبَ عنه التَّفْسِير. وكان عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب الزَّبِيديُّ[٤] غزَا الرَّيَّ، فلمَّا انْصَرفَ تُوفي فوق رَوْذَة وبُوسْته بمَوْضعٍ يُسمَّى كَرمَانْشَاه[a]. ٣

وبها مَات الحَجَّاج بن أَرْطَاة النَّخْعِيُّ[٥] سنة ثَمانٍ وأَرْبَعينَ ومِائةً وكان شَخَصَ إليها مع المَهْدِيِّ[٦].

٦

---

[a] في البلاذري: كرمانشاهان.

---

[١] محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، إمام أهل الري وصاحب أبي حنيفة وناشر علمه. مات بالرى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص١٣٤.

[٢] سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبد الله، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد. أعلم التابعين بإطلاق، مات سنة ٩٥هـ/٧١٤م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٤٤٥؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٤٩١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٢١- ٣٤٢.

[٣] الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، أصله من بلخ، أقام مدة بسمرقند ومدة ببخارى، لقي جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير بالري، وعنه أخذ التفسير، وتوفي بخراسان سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٠٠-٣٠٣؛ ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٨٠-٤٨١؛ الذهبي: المصدر السابق، ج٤، ص٥٩٨-٦٠٠.

[٤] انظر ترجمته فيما تقدم ص١٨٣.

[٥] تقدمت ترجمته ص١٧٨.

[٦] قارن البلاذري: فتوح البلدان، [مادة: فتح الري وقومس] ص٤٤٨.

وبها تُوفي الْكِسَائِيُّ [النَّحوي] [a] الْمُقْرِئ واسْمهُ عليُّ بن حَمْزَة[١]، وكان شَخصَ إليها مع الرَّشِيد وهو يُرِيد خُرَاسَان[٢].

٣ وبها مَات مُحَمَّد وأَحْمَد ابْنَا خَالِد بن يَزِيد بن [مزيْد] الشَّيْبَانيّ[٣]. وكان مَوتُ أَحْمَد بها في وِلَاية مُوْسَىٰ بن بُغا[٤] سنة سَبْعٍ وخَمْسِينَ ومِائَتيْن، ومَوْتُ أخِيهِ مُحَمَّد في أَيَّامِ الْمُعْتَضِد والْمُكْتفِي مُقِيمٌ بالرَّيِّ في سَنةِ إحْدَىٰ وثَمانِينَ ومِائَتين.

٦ وكان مُحَمَّدُ بن خَالِدٍ في الوَقْتِ الذي اتَّخَذَ الْمُعْتَصمُ الأَتْرَاكَ، وأخَذ الجُند والقُّواد أنْ يَلْبَسون السُّيوف بمعَالِيق ويتْركُون الحَمَائِل إلى الأَيْزُون[٥] من الرَّيِّ لا يَطَأ بُسَاط خَلِيفَةٍ ولا يَخْدِمُ السُّلْطَان والأَتْرَاك دَوْلَة. واحْتُجِبَ عن النَّاس، ويُقال أنَّه لبِسَ ٩ بُرْقَعًا فأغْمَضَتِ الخُلفَاء له عن ذلك لجَلالِتهِ وعَظِيم خَطره.

---

[a] زيادة من: البلاذري: فتوح البلدان.

---

[١] اختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ١٩٩هـ/٨١٥م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج١، ص٧٦- ٧٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٣، ص١٦٧؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج٢، ٢٦٨-٢٦٩.

[٢] قارن البلاذري: فتوح البلدان، [مادة: فتح الري وقومس] ص٤٤٧-٤٤٨.

[٣] أبو يزيد الشيباني، أحد الأمراء الوجهاء الشجعان الأجواد في العصر العباسي، ولاه المأمون مصر، ثم الموصل ثم زاده ديار ربيعة كلها، وتوفي سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١٤٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٣، ص١٦٩.

[٤] موسى بن بغا الكبير، أبو عمران، أحد القادة في خلافة المتوكل، توفي سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٠، ص٤٠١-٤٠٢؛ الصفدي: المصدر السابق، ج١٢، ص١٦٧.

[٥] الأيْزون: نسبة إلى قبيلة عربية. وصيغ النسب لهذه الكلمة في المعاجم العربية جاءت:[يزني، ويزأني، وأزني، وأزأني، وأزأني، وأيزني]، انظر: ابن فارس: المجمل في اللغة، ج١، ص٩٤١؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص١٦.

فلم يزل [١٤٢ظ] علىٰ ذلك مُسْتَتِرًا إلىٰ أيَّام المُوفَّق. فلمَّا قُلِّد أحْمَدُ بْن عَبْدِ العَزِيز[١] حَربَ رَافِعٍ[٢] وصَار المُكْتَفِي إلىٰ الرَّيِّ لقِيَهُ مُحمَّد بن خَالِدٍ وأقَام مُدَيْدَةً ثمَّ مَات.

٣ [a][وقَصْر جَابِر بدَسْتَبَىٰ منْسُوبٌ إلىٰ جَابِر أحد بني زِمَّان بن تَيْمُ الله بن ثَعْلَبَة][a) ٣].

ولم تَزل وظِيفَة الرَّيِّ إثْنَي عَشْر ألْفَ ألْفِ دِرْهَمٍ حتىٰ اجْتَاز بها المَـأمُون [عند][b) مُنْصَرفه من خُرَاسَان يُرِيد مَدِينة السَّلَام، فلَقِيه أهْلُها وشَكَوا إليه أمْرهُم وغِلَظَ

٦ وظِيفَتهُم فأسْقطَ منها ألْفِي ألْفَ دِرْهَمٍ وأسْجَل بذلك لأهْلهَا[٤].

وقال بعْضُ العُلَمَاء: مكْتُوبٌ في التَّورَاةِ: الرَّيُّ بَابٌ من أبْوَابِ الأَرْضِ وإليها مَتْجَرُ الخَلْقِ.

٩

(a -a) ساقطة من الأصل: والتتمة من المختصر، البلاذري: فتوح؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان.

(b) التتمة من ياقوت.

---

[١] أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجليُّ، أمير من بيت مجد ورياسة، وأحد رجال المعتمد على الله والمعتضد بالله العباسيين، توفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٣١-٣٣؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٤٩٤-٤٩٦، وانظر حوادث سنة [٢٧٩هـ/ ٨٩٢م] لدى ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٧١-٤٧٧.

[٢] رافع بن هرثمة، انظر ترجمته فيما تقدم ص٣٤٣.

[٣] قارن مختصر الكتاب، ص٢٧٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٤٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: قصر جابر] ج٤، ص٣٥٦؛ [مدينة جابر] ج٥، ٧٩.

[٤] قارن: البلاذري فتوح البلدان، ص٤٤٨.

قال أبو جَعْفَرٍ الجَمَّال[1]: قُلتُ ليَحْيَىٰ بن حَدِيش: سَمِعْتُ مَالِك بن مَغُول[2] يقول: نِعْم دَارُ الدُّنْيا والآخِرة الرَّيُّ. قال: نعم.

٣ وقال الأصْمَعِيُّ: الرَّيُّ عَرُوسُ الدُّنْيا، إليها مَتْجَر النَّاس وهو أحَدُ بُلْدَان الأَرْضِ[3].

وقال أَحْمَدُ بن إسْحَاق[4]: الرَّيُّ طَيِّبَةُ الهَواء عَجِيبَةُ البِنَاء، بَلَدُ التُّجَار ومَأْوَىٰ

٦ الفُجَّار، وهي عَرُوسُ الأَرْضِ وسِكَّةُ الدُّنْيا، ووَاسِطَة خُرَاسَان وجُرْجَان والعِرَاق وطَبَرِسْتَان. ولذلك قال بعْضُ العُلَمَاء: أَحْسَنُ الأَرْضِ مخْلُوقَةً الرَّيُّ، ولها السِّرُّ والسَّرْبَان، وأَحْسَنُها مَصْنُوعَةً جُرْجَان وإليها تقَع تِجَارَات أَرْمِينِيَّة وأَذْرَبِيجَان

٩ والخَزَر وبِلَاد بُرْجَان[5] لأنَّ تُجَّار البَحْر يسَافِرُون من الشَّرقِ إلىٰ الغَربِ ومن الغَربِ إلىٰ الشَّرقِ لأنَّهم؛ يَحمِلونَ الدِّيبَاج والخزَّ [الفَائِق] [a] من فِرَنْجَة إلىٰ الفَرمَا، ثمَّ يركَبُون إلىٰ القُلْزَم فيَحْمِلُون ذلك الدِّيبَاج إلىٰ الصِّين.

---

[a] التتمة من: المختصر.

---

[1] أبو جعفر الجمال الرازي، سكن نيسابور وحدث بها وتوفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٧م، ج٣، ص١٩٧٦.

[2] مالك بن مغول بن عاصم بن مالك البجلي، أبو عبد الله الكوفي، كان فاضلًا خيِّرًا كثير الحديث، توفي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٥؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص٣١٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ج٢٧، ص ١٥٨-١٦٢.

[3] انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص٣٨٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١١٨.

[4] أحمد بن إسحاق الهمذاني، يعني والد المصنف، وقد نقل عنه غير مرة.

[5] برجان: بلدة من نواحي بلاد الخزر. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٣٧٣.

ويَحمِلُون [الدَارصِينِي والمَامِيران[١]][a] ومَتاع الصِّين [كُلَّه حتى][a] يَصِيرونَ به إلى القُلْزَم، ثم يتَحوَّلُون إلى الفَرمَا. وهم [التُجَّار][a] اليَهُود الذي يقال لهم

٣ الرَّذَانيَّـة[٢] يتكلَّمُون بالفَارِسيَّة والرُّومِيَّة والعَربيَّة والإفرِنجِيَّـة.

ويخرجُونَ من الفَرمَا فيَبيعُون المِسَك والعُود وجمِيع ما معهم إلى ملك فَرنْجَة. وربَّما حمَلُوا أمتِعَتهم إلى قُسْطَنْطِينَة، وربَّما حمَلُوا الرَّقِيق الأنْدَلُسِي من إفْرِنْجَة إلى

٦ أنْطَاكِيَّـة ثمَّ يصِيرونَ إلى بَغْدَاد ثمَّ الأُبُلَّة.

وأما التُجَّار الصَّقَالِبة[٣] فإنَّهم يحمِلُون جُلود الخَـزِّ والثَّعالِب من أقْصَى صقْلَبة، فيَجُوزُون إلى البَحْر الرُّومِي فيَعْشُرهم صَاحِب الرُّوم، ثمَّ يجُوزُون إلى خَلِيج الخَـزَر

٩ فيَعْشُرهُم صاحب الخَزر، ثمَّ يصِيرُونَ إلى آخِر خُرَاسَان في هذا البَحْر الذي يقال له

---

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من المختصر.

---

[١] المَاميران: عروق صفراء تسمى بالفارسية زردجوبه، وهو الكركم المعروف لدينا اليوم. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٢٦، ص١٤٠.

[٢] هم طائفة من تجار اليهود ويطلق عليهم أيضًا اسم اليهود الرهدانية، ويعيد المؤرخون هذه التسمية إلى أصل فارسي، حيث تواجد كثير من اليهود في الري وأصبهان وتستر، وعرفت كثير من بلدات إقليمي الجبل وفارس باسم اليهودية، لما كان فيها من اليهود. والكلمة من مقطعين: (راه) بمعنى طريق، و(دان) بمعنى معرفة. ومعناها: العارفون بالطريق، وقد أطلقت على تجار الأقمشة وسلع الرفاهية.

للمزيد راجع:نعيم ذكي فهمي: دور اليهود في تجارة العصور الوسطى، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩١٧م، ص١٠-١٦.

[٣] هم التجار الروس.

بَحْر الصَّقالِبة، فربَّما [١٤٣و] خَرجُوا بجُرْجَان فبَاعُوا بجُرْجَان جميع ما عندهم فيُحْمَلُ جميع ذلك إلى الرَّيِّ[١].

٣ ثمَّ أعْجَبُ من هذا أنَّ جَمِيع ما بَلغَ إلى طَبرِسْتَان من نَاحيةِ الدَّيْلَم والجَبَل والبَرْبَر والطَّيْلَسَان[٢] من الرَّقِيقِ وسَائِر الأمْتِعةِ فإنَّما هو إلى الرَّيِّ لجلالَتها وكِبَرهَا وكَثْرةِ تِجَاراتِها.

٦ وكان عُبَيْدُ الله بن زِيَاد[٣] قد جَعلَ لعُمَر بن سَعْد بن أَبِي وَقَّاص ولَايَة الرَّيِّ إنْ خَرجَ على الجَيْشِ الذي وجَّههُ لقِتَال الحُسَيْن ﷺ فَأقْبَلَ يَمِيل بين الخُروجِ ووِلَاية الرَّيِّ أو القُعُود وقال:

٩ [الطويل]

أَأَتْرَكُ مُلْكَ الرَّيِّ وَالرَّيُّ رَغْبَةٌ أَمْ أرْجعُ مَذْمُومًا بِقَتْلِ حُسَيْنِ
وَفِي قَتْلِهِ النَّارُ الَّتِي لَيْسَ دُونهَا حِجَابٌ وَمُلْكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَيْنِ

[a) [وقال ابن كَرْبَويه الرَّازِي، وكان أحَد أصْحَاب الحُسَين بن أحْمَد العَلويّ بقَزْوِين:

١٢ [البسيط]

يا مُنْيَةً هيَّجت شَوْقِي وأحْزَانِي لا تُبْعِديني فبُعْد الدَّار أضْنَانِي
إنّي أعيذك بالأجفان يا سكني أنْ تَتْرِكِيني أخَا شَجْوٍ وأشْجَان

---

[١] نقل ابن الفقيه الهمذاني هذه المادة من ابن خرداذبه دون أن يشير إليه. قارن: المسالك والممالك، ص١٥٣.

[٢] الطيلسان: إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر، افتتحه الوليد بن عقبة عام ٣٥هـ/٦٥٦م . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٦.

[٣] انظر ترجمته فيما تقدم ص١٢٩.

إذا بَعُدْتِ يكَاد الشَّوقُ يَقْتُلنِي ... حتىٰ إذا طَافَ طَيفٌ مِنْكِ أحْيَانِي

يا جَفْوةً من حَبِيبٍ أقْرحتْ كَبِدِي ... هَلَّا رَثَيتِ لنَائِي الدَّار حَيْرَان

دَامِي الجُفُونِ نَحِيلِ الجِسْمِ مُحْتَرِقٍ ... صَبٍّ أَسِيفٍ قَرِيحِ القَلْبِ حرَّانِ

أمْسَىٰ بقَزْوِينَ مَسْلُوبًا عَزِيمتُه ... مقَسَّمًا بين أشْجَانٍ وأحْزَانِ

أقُولُ يَوْمَ تَلاقَيْنَا وقد سَجَعتْ ... حَمامتَانِ علىٰ غُصْنَينِ من بَانِ

الآن أعْلَمُ أنَّ الغُصْنَ لي غَصصٌ ... وإنَّما البَانُ بَيْنٌ عَاجِلٌ دَانِ

وقُمْتُ تَخْفِضنُي أرْضٌ وتَرْفَعُني ... أُخْرىٰ وهَدَّ مَسِيرُ اللَّيلِ أرْكَانِي

مَا لي أُنَادِي فيَأبىٰ أنْ يُجِيب فتًىٰ ... لو كَان بِالرَّيِّ لبَّانِي وفَدَّانِي

يَا نَفْسُ لا تَجْزَعِي من ذَاكَ ... ثُوبَ العَزاء فإنَّ الغَائِب الجَانِي

أنَا الَّذي غَرَّه بَيْتَان قَالهما ... مُضَلِّلٌ مَا له في جَهْلِهِ ثَانِ

لا يَمْنَعنَّك خَفْضُ العَيْشِ في بَلدٍ ... نُزُوعَ نَفْس إلىٰ أهْلٍ وأوْطَانِ

تَلْقَىٰ بكلِّ بِلَاد أنْت سَاكنُها ... أهْلًا بأهْلٍ وجِيرانًا بجِيرَانِ

حتَّىٰ تَرَكْتُ لذَيذَ العَيْشِ في بَلدِي ... فِنَاء دَارِي عن أهْلِي وإخْوانِي

وشَاقَنِي نحو قَزْوِينٍ مُنَىً بطَلَت ... نَفتْ رُقَادِي وأذْرَت دَمْعَ أجْفَانِي

فيَا لَها حَسْرةً إذ عَزَّ مَطْلَبُها ... لم تُبْقِ منِّي علىٰ رُوح وجُثْمَانِ

أنَا النَّذِير لكم يَا قَوْم فاسْتَمِعوا ... منِّي مَقالَةَ نُصْحٍ غير خَوَّانِ

للْمَوْتُ بالرَّيِّ خَيرٌ للمُقِيم بها ... من الحَياةِ بقَزْوِينٍ وزَنْجَانِ

أنَّىٰ لها كجِنَانٍ في شَوَارِعَها ... يَطْفَحْنَ في كلِّ بُسْتَانٍ ومَيْدَانِ

أو كَالمدِينةِ شَطَّاها وشَارِعُها ... من المُصَلَّىٰ إلىٰ صَحْرَاء أَزْدَانِ

وهَاتِ كالسَّربَانِ اليَوْم مُرْتَبعًا ... من بَابِ حَرْبٍ إلىٰ سَاحَاتِ عَفَّانِ

أَنْهَارُهَا أَرْبَعٌ مَحْفُوفَةٌ زَهْرٌ تَحارُ فيهنَّ عَيْنا كلِّ إنْسَانِ
وشَارِعُ السُّـرِّ يُمْنَاه ويُسْرتُه مُحَـفَّفانِ بأَنْهَارٍ وأغْصَانِ
وقَصْرُ إسْحَاق من فُولَادَ مُنْحَدِرًا علىٰ الشِّراك إلىٰ دَرْب الفَليسَانِ
وكَم برُوذَةَ من مُسْتَشْرِفٍ حَسَنٍ إلىٰ المَضِيق بها من بَابِ باطَانِ
وكَم بناهكَ من دَارٍ كَلُفْتُ بها وظَبْيةٍ تَرْتَعي في سَفْح غُدْرانِ
وشَادنٍ غَنْج كالبَدْرِ صُورَته يَمِيسُ في حُللٍ تَلْهُو بفَتَّانِ
يَا رَيُّ صَلَّىٰ عَليك الله من بَلدٍ ولَا أَغبَّك دَرُّ القَطْرِ هتَّانِ
حيِّ الدِّيار بها والسَّاكِنين بها من النِّسَاءِ ومن شِيبٍ وشُبَّانِ
إلَّا بقَايَا بُغَاة الأرْضِ قد جَحدُوا دِين المُهَيْمِن من كُفْرٍ وعُدْوُانِ
كَم حَلَّ عَرْصَة نَصْرابَاد قَاطِبَةً من ابْنِ زَانِيةٍ مَحْضٍ وكَشْخَانِ
وكَم بِسِكَّةِ سَاسَانٍ إذا ذُكِرُوا من ابْنِ فَاجِرَةٍ نَصٍّ وقَرْنَانِ
هُم الألَىٰ مَنعُونِي قُرْب دَارِهُم وبَاعَدُونِي عن أهْلِي وخِلَّانِي
وشَرَّدُونِي عن صَحْبِي وعن وَلَدِي حتَّىٰ لجَأْتُ إلىٰ أجْبَالِ قَصْرَانِ] [a]

وخَراجُ الرَّيِّ عَشْرَةُ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ بالكِفَاية. ومن الرَّيِّ إلىٰ قَزْوِين ذَاتِ اليَسَار سَبْعةٌ وعشْرُون فَرْسَخًا، ومن قَزْوِين إلىٰ أَبْهَر اثْنَا عَشْر فَرْسَخًا، ومن أَبْهَر إلىٰ زِنْجَان خَمْسَة عَشْر فرْسَخًا[1]. ٣

ومَرْوِيٌّ عن الصَّادِق[2] ﵁ أَنَّه قال: الرَّيُّ وقَزْوِين وسَاوَة مَلْعُونَات مَشْئومَات.

(a – a) التتمة من المختصر.

[1] بنصه لدى ابن خراداذبه، انظر: المسالك والممالك، ص٢٢.

[2] يعني الإمام جعفر الصادق ؏.

وقال إسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمان[١]: ما رَأيتُ بلَدًا أرْفَعُ للخَسِيس من الرَّيِّ. وفي أخْبَار أهْل البَيْت قالوا: إنَّ الرَّيَّ كانت منَابِت الشُّؤمِ، وستَعُود منَابِت الشُّؤمِ. وفي خَبرٍ
٣ آخَر: الرَّيُّ مَلْعُونَةٌ وتُرْبتهَا تُرْبةٌ دَيْلَميَّة وهي علىٰ بَحْرٍ عجَاجٍ تأبَىٰ أن تقول[a] الحَق[٢].

ورویٰ مُحمَّد بن الرَّيَّان عن إسْمَاعِيل الرَّازِيِّ[٣] قال: قال لي الحَسنُ بن عَلِيِّ بن فَضَّال[٤]: تعرف الدُّولَاب[٥]؟ قلت: نعم، أعرفه. قال: تَعْرِف شَجَرةً تُسَمَّىٰ أزاد؟
٦ قلت: لا. قال: فَروىٰ عن أبي عَبْد الله جَعْفَر بن مُحَمَّدٍ[٦] ﵁ أنَّه قال: إذا اتَّصَلت حِيطَانُ المَدِينَة بحِيطَان الدُّولَاب فعندها توقَّعُوا بَلاء القَوْم. ثمَّ تَلا: ﴿فَإِذَا نَزَلَ

---

[a] كما في الأصل. وفي المقدسي، وياقوت: تقبل.

---

[١] إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو يعقوب الهاشمي، من أمراء الدولة العباسية، ولاه الخليفة العباسي الرشيد المدينة ثم السند ومكران ثم مصر. وتوفي سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م. انظر في ترجمته: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٦٣؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٣٧٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٣٨٨.

[٢] الخبر بتمامه لدى: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٨٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١١٩.

[٣] لم أقف لهما على ترجمة.

[٤] الحسن بن علي بن فضال التيمي الكوفي، أبو محمد، من مصنفي الإمامية وصاحب تصانيف، توفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حجر: لسان الميزان، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٩٧١م، ج٢، ص٢٢٥.

[٥] الدولاب: لفظة معربة عن الفارسية وتعني: آلة يديرها الحيوان ليستقى بها. المعجم الوسيط، ج١، ص٣٠٥.

[٦] جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله الحسني، إمام صدوق فقيه، توفي سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨، ص١٠٩.

بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]. قال: سَاحَتهُم الدُّولَاب. وفي قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء:٥٨] قال: الرَّيُّ. ٣

وعن أبي عَبْد الله جَعْفَر بن مُحَمَّدٍ ﵁ ويُلٌ للرَّيِّ من جِنَاحَيها. قيل وأيُّ شَيءٍ جَناحاها؟ [١٤٣ظ] قال: طَبرِسْتَان أحَد جَنَاحَيْهَا.

٦ وعن مُحَمَّد الرَّازِي عن أبيه عن جَده أبي اسْمَاعِيل، وكان نسَّاجًا، فاتَّخذ ثَوْبًا وجَوَّدَهُ وقَصَّره وحَجَّ فأتىٰ أبا عَبْدَ الله ووَضَعهُ بين يَديهِ، فَأَخَذهُ ونظَر إليه ونشَره وقال: هذا مُحْكَم العَمَل. فقال له: أبو إسْمَاعيل أنا نسَجْتُه يا سَيْدِي بيَدِي. فقال له ٩ أبو عبد الله: فأنت نسَّاج؟ قال: نعم. [فقال] مَرْحَبًا بنَسَّاجِنا، من أين أنت؟ قال: من أهْل الرَّيِّ. قال: أتَعْرِف التَّل الأحْـمَر؟ قال: لا. قال: هو نَاءٍ عن المَدِينةِ عند البَاب الحَدِيد لا يسْلَكُ إلَّا عِنْد ارْتِفَاع النَّهار. أمَا إنَّ ذلك المَوْضِع سَيعْمر. ثمَّ قال ١٢ لي: أتِعرف كنَاسَة الدَّواب؟ قلت: نعم. قال: فتَعْرِفُ جبل الطِّين الأسْوَد؟ قال: لا. قال: الجَبلُ الذي يُقال له جَبلُ لَيْلا. قلت: نعم أعرفه.

قال: فتَعْرف بَاب المَدِينة الحَدِيدي وسُورهَا؟ قلت: نعم. قال: عنده مَصارِع ١٥ القَوْم، يُقْتَل من صَحَابة [بني][a] العبَّاس وشِيعَتهُم ثمانُون ألْفًا منهُم ثمانُون [ممن][a] يَصْلُح للخِلَافة. فقلت له: جُعِلْت فِدَاك. ألكَ حَاجة؟ قال: حَاجَتي أنْ تَدع هذا العَمَل. قلت: فأيُّ شَيءٍ أعْمَل؟ [قال][a]: كُنْ صَيْقلًا، فقلت له: علىٰ كِبَر السِّن ١٨ كيف أعْمَل.

[a] زيادة يقتضيها السياق.

قال: سَهَّل الله عليك تعْلِيمهُ ونَوَّر قَلْبَك ويَسَّرهُ عليك. قال: فقَدِمتُ الرَّيَّ فتَعْلَّمتهُ في شَهْرٍ. فكان يَرْوي عنه الحَدِيث عن أبي إسْماعِيل الصَّيْقل عن أبي عَبْد الله.

٣ وكان الرَّشِيدُ يقول[١]: الدُّنْيَا أرْبع منَازِل، قد نزَلْتُ منها ثَلاثَة. إحْداها دِمَشْق والآخَر الرِّقْة والثَّالث الرَّيُّ والرَّابع سَمرْقَنْد وأرْجُو أنْ أنْزِله.

ولم أرَ في هذه البَلْاد الثَّلاثة التي نزَلتْها مَوْضِعًا هو أحْسَنُ من السَّرْبَان؛ لأنَّه ٦ شَارِعٌ يشُقُّ مَدِينة الرَّيِّ في وسَطَه نَهْرٌ فهو حَسنٌ عن جَانِبيهِ جَمِيعًا أشْجَارٌ مُلْتَفَّةٌ متَّصِلةٌ وفيما بينهما أسْوَاقٌ [مُحْتفَّة][a].

وخَطبَ أمِيرُ المُؤْمنِينَ عَليٌّ ﷺ يوْمًا فقال في خطْبَتِه: احْمَدُو الله الذي أحْصَاكُم ٩ عَددًا ووظَّفَ لكُم مَدَدًا في قَرارَة الدُّنْيَا، فإنَّكم مُفَارِقُوها ومُنْقَطِعُون عنها وتُحَاسَبُون بما عَمِلْتُم فيها، لا تَخْدعنَّكُم بقَايا لذَّاتِها، فإنَّها ثَقِيلٌ مَطْلَبها، رَنِقٌ[٢] شُرْبهَا، غَرُورٌ حَائِلٌ، وشَبحٌ [١٤٤و] مَاثِلٌ، وسِنَانٌ قَاتِلٌ، تُعِزُّ مُسْتَدبِرهَا وتُصْرِع ١٢ مُسْتَفِيدها بغُرورِ شَهْوَتها ومُوثِق لذَّتهَا وحَبلِ مَصْرَعهَا، حتىٰ إذا أَنسَ نَاقِدُهَا وفرَّ شَارِدُها، قنَصَته بأحْبلِهَا، فنقَلتْهُ إلىٰ ضَنْكِ المَضْجَعِ ووحْشَة المَرْجع ومُجَاوَرة الأمْوَات ومُفَارَقةِ الأوْقَات.

[a] زيادة من ياقوت.

[١] قارن هذه المقولة لدى كل من المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٨٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢، ص٣٩٠- ج٧٣، ص٢٨٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٦.

[٢] رنق: أي كدر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٢٦-١٢٨.

فهم لا يَرْجعُون ولا يؤْذن لهم فيَعْتَذِرون. قد ارْتُهِنَت الرِّقَابُ بسَالِف الاكْتِسَاب، وأُحْصِيت الآثَار، وقد خَابَ من حَمَل ظُلْمًا. فيَا لها أمْثَالًا كَافِية ومَواعِظ ٣ شَافِية لو صَادَفت أُذنـًا واعِيةً وقُلوبًا ذَاكِيةً وألْبَابـًا حَازِمةً وآرَاءً عَازِمةً.

ثمَّ قال: كَيف بهم إذا خَرجَ المَشْرقيُّ، وتَـحرَّكَ المَغْرِبيُّ، وحَاربَ السَّجْزِيُّ[١]، وتَـحرَّك الهَجْريُّ، وثَار الحُسَيْنِيُّ، وغَضِب الحَسنِيُّ، وقَام العَلوِيُّ، وبُويِعَ الأمَويُّ، ٦ وخَرجَ الأرْمَنِيُّ، ومَاجَ الدَّيْلَم، وضَجَّ الطَّبريُّ، وقَدِمَ الهَاشِميُّ، ووَافى المصريُّ، وظفَر الخُراسَانيُّ، وكفَر الكَلْبِيُّ، وبُويعَ الزِّنْجيُّ، ونقَض التُّرْكيُّ، وغَلبَ الرُّومِيُّ، وخَرجَ القَحْطَانيُّ.

٩ عندها يخْرُجُ الرُّوم في أَلْفِ أَلْفٍ أو يَزِيدُون. ويَهْرَب الهَاشِميُّ من الزَّوْرَاء ويَنْزِلها الخُرَاسَانيُّ. فالوَيلُ لهم من المُظفَّر العَلويُّ، والوَيْلُ لأهْلِ البَصْرَة والأُبُلَّةِ والأَهْوَاز ووَاسِط من المُظفَّر العَلويِّ أيضًا. يَقْتلُ بالبَصْرَةِ مِائة أَلْفٍ أو يَزِيدُون، ١٢ وبِوَاسِط مثلُ ذلك، وهو السَّفَّاح.

ووَيْلٌ للرَّافِقة وقِرْقِيسْيا[٢] من كَلب وقَيْس. والوَيْلُ كلُّ الوَيل للزَّوْرَاء من السُّفيانِيِّ، يقْتُل في كلِّ يَوْمٍ واحِد مِائَة ألْفٍ أو يَزِيدُون، واليَوْمُ الثَّانِي مثل ذلك، ١٥ واليَوْمُ الثَّالِث مثل ذلك في صَعِيدٍ واحِدٍ، لا يَنْظُر الله إليهم ولا يُكَلِّمهُم ولهم عَذابٌ أَلِيم.

---

[١] السجزي: نسبة إلى إقليم سجستان، وكذلك بقية الأنساب فهي إما إلى طائفة مذهبية كالعلوية، أوقبيلة عربية ، أو إقليم معين مثل خراسان وغيرها.

[٢] الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة على ضفاف الفرات؛ وقرقيسيا: بلد على نهر الخابور بالقرب من مصب نهر الفرات. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ١٥؛ ج٤، ٣٢٨.

والوَيْلُ لأهْلِ الكُوفَةِ من السُّفْيانِيِّ، والوَيْلُ لأهْلِ يَثْرِب من الأبْقَع، سَيبْقُر بطُون النِّسَاء، ويَقْتُل النَّفْس الذكِيَّة، والوَيْل لأهْلِ مكَّة من الأصْهَب ومن صَاحِب مِصْر يقْتُلهُم بغير عَددٍ حتىٰ تجري الدِّمَاء في وادِي العَرَّفَات. والوَيْل لأهْلِ فُسْطَاط مِصْر من فَرْعَون الثَّاني وهو السُّفْيانِي، كيف يَقْتُل النِّسَاء ولا يَرْحَم الصِّبيَان والإمَاء.

والبَلَيةُ العُظْمَىٰ بصَخْر الرَّيِّ، يُقْتَل في ذلك المَوْضِع سِتُّونَ ألْفًا إلىٰ البَاب [١٤٤ظ] والوَيْل لأهْلِ قَزْوِين من الدَّيْلَم، يُقْتَل الرِّجَال وتُسْبَىٰ النِّسَاء والذَّرَارِي. والوَيْلُ لهَمَذَان من جَانِب طَبَرِسْتَان. والوَيْلُ للرَّيِّ من صَاحِب الدَّيْلَم، والوَيْلُ لهم من صَاحِب أصْبَهَان... في كَلامٍ طويل.

وبعَث الحجَّاج إلىٰ وفْدٍ كانوا قَدمُوا عليه من الدَّيْلَم فعَرَض عليهم الإسْلَام أوالجِزْيَة فَأبُوا أنْ يفْعَلُوا شيئًا من ذلك. فأمَر أنْ يُصوَّر لهم بَلدهُم سَهْلُهُ وجَبلُه وعِقَابه ونِقَابهِ[١] علىٰ ما أرَادَها لأنِّي قد رَأيْتُ عِقَابَها ونِقَابَها ورَأيْتُ فيها مَطْمعًا، فاعْتَرفُوا بها دَعوْتُكم إليه قبل أنْ أغْزيكُم الجُنُود فأخْرِب البِلَاد وأقْتُل الْمُقَاتلَة وأسْبِي الذُّرِّيَّة.

قالوا: أرِنَا هذه الصُّورَة التي قد أطْمَعتْكَ في بِلادِنا فأحْضَرها حتىٰ نظَرُوا إليها، فقالوا: قد صَدقكَ من صَوَّرهَا غير أنَّه لم يُصوِّر لك الرِّجَال الذين يَمْنَعُون هذه العِقَاب والثَّنايَا، وسَتعْلَمُ ذلك لو تكَلَّفْته. فأغْزَاهُم الجُنود وعليهم ابنه مُحمَّد بن الحَجَّاج فلم يَصْنَع شيئًا غير أنَّه بنىٰ مَسْجِدًا لأهْلِ قَزْوِين ونصَبَ فيه مِنْبرًا.

---

[١] النقاب: جمع نقب، وهي الطرق الظاهرة على رؤوس الجبال والآكام والربى. انظر: ابن سيده: المخصص، ج٣، ٤٨.

وقال مُحمَّد بن زِيادٍ المذْحَجِيُّ[١]: رأيْتُ في قَزْوِين لَوْحًا مَكْتُوبًا مما أمَر به مُحمَّد بن الحَجَّاج الثَّقفِيُّ. وأنْشَد [a] آدم بن عمر بن [a] عَبْد العَزِيز[٢] (شِعْر)[٣]:

٣

[السريع]

هل تعْرِفُ الأطَلالُ من مَرْيمٍ بين سُواسِ فَلِوَىٰ بُرْثُمِ
فَذات أكْنَافٍ فقِيعَانُها فجَزْع مَذْفُورَاءَ فَالأحْزَمِ
مَا لِي وللرَّيِّ وأكْنَافِهَا يا قَوْمُ بين التُّرْكِ والدَّيْلَمِ
أرْضٌ بها الأعْجَمُ ذو مَنْطِقٍ والمَرءُ ذُو النُّطْقِ كالأعْجَمِ

ولَمَّا ميَّز قُبَاذ إقْلِيمِهِ وجَد أنْزَه بِقَاعِ إقْلِيمه بعد أنْ بَدأ بِالعِراق التي هي سُرَّة الدُّنيا ثَلاثَة عشَر مَوْضِعًا: المَدائِن، والسُّوس، وجُنْدَيسَابُور، وتُسْتَر، وسَابُور، و بَلْخ، و سَمَرْقَنْد، وبَاوَرْد، وبَطْن بنهَاوند تُسَمَّىٰ رُوذَرَاور، ومَاسَبَنْذَان، ومِهْرجَانْقذف، وتلُّ مَاسِير، وأصْبَهَان، والرَّيُّ. وأسْرَىٰ فَواكِه إقْلِيمِه سَبْعة مواضِع: المدَائِن، وسَابُور، وأرَّجَان، ونَهَاوَنْد ومَاسَبَنذَان [١٤٥و]، وحُلْوَان، والرَّيُّ.

٦

٩

(a-a) في الأصل: جعفر بن عمر بن، وهو خطأ، والتصويب من: ياقوت؛ والزبيدي: تاج العروس.

[١] لم أقف على ترجمته وهو أحد المصادر التي نقل عنها ابن الفقيه. وله ذكر عند القزويني: التدوين في أخبار قزوين، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص٥٤.

[٢] آدم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشي، كان في شبابه شاعرًا ماجنًا خليعًا، ثم تنسك بعد ذلك، وكان في بغداد في صحبة المهدي. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٤٨٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧، ص٤٥٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢٩٤.

[٣] انظر: [مادة: برثم] لدى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٢.

أوبَأ بِقاع إقْلِيمِه سِتَّة مَوْاضِع: البِنْدنِجيْن، سَابُور خُوَاسْت وبرْذَعة، وزَنْجَان، وجُرْجَان، والخُوَار-بطْن بالرَّيِّ- والرَّيُّ سَبْعَة عَشْر رُسْتَاقًا: ومنها [الخُـوَار][a] دُنْبَاوَنْد، ووِيَمة، وشَلْمَبة[b] [c) [هذه التي فيها المَنَابِر] (c] [١]. ٣

وفي كتاب الطَّلْسَمات: أنَّ قُبَاذ وجَّه بُلُنْيَاس الرُّومِيَّ إلىٰ الرَّيِّ فاتَّخذَ بها طَلْسَمًا للْغَرقِ فأمِنُوه؛ وذلك أنَّهَا علىٰ بَحْرٍ عجَاجٍ. واسْتَطَابَهَا بُلُنْيَاس فعَزِم علىٰ المُقَام بها فآذَاهُ أهْلهَا فاتَّخذ بها طَلْسمًا للنُّزولِ فلَيْسَ يَـجْتَازُ بها أحَدٌ من خُراسَان إلَّا نزَلَهَا وزَاحَم أهْلهَا في منَازِلهُم. وعَمِل طَلْسَمًا آخَر للغَلاءِ فهي أبَدًا غَالِية السِّعْر. ٦

ثم كتبَ بُلُنْيَاسُ إلىٰ قُبَاذ يُخْبِره بما قد عُمِل من الطَّلْسَماتِ في بِلَادِه ويسْتَأْذِنهُ في المَسِير إلىٰ خُرَاسَان. فكتبَ إليه قُبَاذ: أنَّ قُبَاذ الأكْبَـر قد طَلْسَم ما وراء الرَّيِّ إلىٰ بَلْخٍ و جُرْجَان وسَجِسْتَان [c) [مائتَيْنِ وخَمْسِينَ طَلْسَمًا] (c] وليْسَ هناك شَيء فأقْبِل إليْنَا. ٩

[d) [وقال الشَّاعِر:

١٢ [الكامل]

الرَّيُّ أغْلَىٰ بَلْدَةٍ أسْعَارَا ... لا دِرْهَمًا تُبْقِي ولَا دِيْنَارَا

تَدَعُ الغَرِيبَ مُحَيَّـرًا في سُوقِهَا ... قَدْ تَاه يَنْظُر هَائِمًا خَوَّارَا

في كلِّ يَوْمٍ يبْتغِي لغَدائِه ... إنْ كان يَمْلِك للغَدَا قِنطَارَا

---

[a] زيادة من المختصر.

[b] كما في الأصل، وياقوت. وفي المختصر: شلنبة.

[c-c] التتمة من المختصر.

---

[١] انظر فيما تقدم [القول في: قرميسين] ص ٢٣٣-٢٣٤.

وبها أُنَاسٌ شَـرُّ نَاسٍ بَاعةً لا يَحْفَظُون من الغَرِيبِ جِوَارَا
سِيسُوا بكلِّ قَبِيحَةٍ فتَراهم أدْهَىٰ وأَخْبَث من تَحَلَّىٰ العَارَا
لا يَصْدُقُون وصِدْقُ قَوْلٍ فيهم عَارٌ وكُلٌّ يَبْغِضُ الأبْرَارَا
إنْ جِئْت تَسْأَلُهم لتُسْقَىٰ شَرْبَةً قَالُوا إليك تَـجنَّب الأشْرَارَا
فلقَدْ لَبِسْنَا العَارَ حتّىٰ مَا لنَا إلَّا الفَضَائح مَلْبَسًا وإِزَارَا] d)

[أخْبار البِيورَاسْف]

وفي أَخْبَار أفرِيدُون[١] علىٰ رِوَاية الفُرْس: لَمَّا أَقْبَلَ بالبِيوَراسْفَ[٢] من المَغْرِب نحو المَشْرِق ليَسْجِنهُ بدُنْباوَنْد مرَّ بكُورَة أَصْبَهان- وقد طَوىٰ أفرِيدُون أيَّامًا لم يَذُق طَعَامًا - يطْلُب قَوْمًا يُمْسِكونَه عليه رَيْثَما يتغذَّىٰ، [فلم يَجِد] فجَمعَ المَلِكُ عَالمًا من النَّاسِ فلم يَقْدِروا علىٰ إمْسَاكِه، فأدَار سَلَاسِلَهُ علىٰ جَبلٍ من جِبَالِ أَصْبَهان وأَوْثَقهُ بأَسَاطِين وسِكَك من حَدِيدٍ قَوِيَّـةٍ، وتَوثَّق منه حتىٰ ظَنَّ أنَّه قد أَحْكَمَ ما أَرَاد، حتىٰ إذا جَلسَ علىٰ غِذَائِه واجْتَذَب البِيوَراسْف سَلَاسِلَهُ مع تلك الأَسَاطِين والسِّكَك واحْتَملَ الجَبل يَـجُرَّهُ بسِحْرِهِ ثمَّ طَار به في الهَوَاء فتَبِعهُ أفرِيدُون فَما لحِقهُ إلَّا بالمَدِينةِ المَعْرُوفةِ ببَزْوَرَنْد وهي الرَّيُّ.

d_d) تتمة الأبيات من: المختصر.

[١] انظر فيما تقدم ص٣٤١.
[٢] تقدمت ترجمته ص٣٤١.

فلمّا لحِقَهُ قَمعَهُ بمَقْمَعةٍ من حَديدٍ كانت في يَدهِ فسَقطَ مغْشِيًّا عليه ورَسا ذلك الجَبل المَنْقُول من أصْبَهَان بمَدِينة الرَّيِّ. فهو الآن جبلَهَا المُطِلُّ عليها، فلعَنَ أفرِيدُون ذلك الجَبَلَ ودَعَا اللهَ أنْ لا يَنْبُتَ عليه شَيئًا في شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ، وأنْ لَا يَثبُت عليه ثَلْجٌ ولا تَسْرَح عليه سَارِحة تؤمه ولا أهْليَّة، ولَا يَآب عليه حَيوان. فأجَابَ اللهُ دُعَاه. فهو كَذلِك [١٤٥ظ] إلىٰ يَوْمِ التَّنَاد.

ثمَّ قَادَهُ من الرَّيِّ نحو مَحْبسِه علىٰ طَرِيق الخُـوَار، فوَافَاهُ وهو يقُودُه إصْبَهْبَذ جُرْجَان، - وكان رَجُلًا ذَا أيْدٍ وبَطْشٍ- فسَار معه أيَّامًا. وعُرِضَت لأفرِيدُون حَاجَةً فلم يثِق بِأحَدٍ يُمْسِكُهُ عليه فقال الإصْبَهْبَذُ: أيُّها المَلِكُ، أنَا أمْسِكُهُ عليك. فقال: أخَافُ أنْ لَا تَقْوىٰ به فتَعْطَبَ علىٰ يَدهِ. فقال: أرْجُو أن يُعِينني اللهُ بقُدْرَتهِ، ونَاولَهُ أفرِيدُون سَلَاسِلَهُ وسَار به فلم يَلْتَوي عليه، ومَرَّ يـحْجَل في قُيودِهِ.

فلمّا غَاب أفرِيدُون يتْلُوهُما، فلمّا أطَالَا المُجَاذَبة دخلتْ رِجْلَاه إلىٰ رُكْبَتيهِ في الأَرْضِ، فخَدَّ في ذلك المَكَان أخْدُودًا عَظِيمًا جَرىٰ فيه بعد ذلك المَاء فصَار نَهْرًا عَظِيمًا، وهو اليَوْم يُعْرف بوَادِ خوار، يعْرِفهُ أهْل تِلْكَ النَّاحِية ويُسَمُّونَهُ بِهَنْدرُود.

وطعَنهُ أفرِيدُون وقَمعَهُ بمَقْمَعةٍ واحِدَةٍ من يد الإصْبَهْبَذ وبَارَك عليه وزَادَ في مَرْتَبتِه وسمَّاه بهَنْد[١] جُرْجَان وخُرَاسَان إصْبَهْبَذ.

---

[١] بهند: هو يوم عيد تأخذ فيه النساء الزينة ويقترحن على أزواجهنّ الهدايا. انظر: البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٤٤٦.

ثمَّ حمَلهُ إلىٰ كُورَة دُنْباوَنْد فسَجنَهُ في جَبلٍ يُسَمَّىٰ جَبل الحَدَّادِين في قَرْيةٍ اسْمُهَا قَرْيَة الحدَّادِين أيضًا، ووكَّل به أرْمَائِيل[1] ومَثَّل بين يَديهِ في القُلَّة الجَوْفَاء صُورَة ٣ أفرِيدُون وطَلْسَم عليه طَلْسَمًا وبنَىٰ حَوْلهُ حَوانِيت رتَّب فيها قَوْمًا حدَّادِين يضْرِبُون مطَارِقهُم بالنَّوائِب علىٰ سندَاناتِهِم لَيْلًا ونَهارًا شِتَاءًا وصَيْفًا لا يَفْتَرون عن ذلك، وجعَلهُ في كَهفٍ عظِيمٍ في جَوْفِ القُلَّة وأثْقَلهُ بالحَدِيد وجعَل علىٰ بَابِ ٦ الكَهْفِ عِدْة أبْوَاب حَدِيد، وأسْقَط عن سُكَّان هذه القَرْيةِ الخَراج والعُشْر وجَمِيع النَّوائِب، فلَيْسَت عليهم مَؤونَةٌ إلَّا ضَرب هذه المَطَارِق علىٰ سَنْدَانَاتٍ خَالِية، ويتكلَّمُون علىٰ ضَرْبِهم بكَلامٍ مَوْزُون ويَهْجِسُون به عند ضَرْبِها لئلَّا يقْطَع ٩ البِيوَراسْف سَلاسِلَهُ وأغْلَاله، فيقال: إنَّه يَلْحَس أغْلَالهُ دَائِمًا لَيْلًا ونَهارًا فتدقَ عن لَحسِه، فإذا ضَرب هَؤلَاءِ بالمطَارِق عَادَت إلىٰ حَالِها في الغِلَظِ والوثَاقة، ويُقال: إنَّ الطَلْسَم الذي يمْنَعهُ من قَطْعِ السَّلاسِل بعد لَحْسِه إيَّاها في ضَرْبِ هؤلاء الحدَّادِين ١٢ بمطَارِقِهِم.

ومضَىٰ أفرِيدُون بعد أنْ حبَسهُ في الكَهْفِ واسْتَوْثَقَ منه مُنْصَرفًا إلىٰ دَارِ مملكَته [١٤٦و] ووكَّلَ أرْمَائِيل بِحفْظِ البِيوَراسْف وطعَامِهِ، فكان يَذْبَح له في كلِّ يوْمٍ رجُلَين ١٥ فيَتغذَّىٰ بأدْمِغتِهُما حيَّتاه اللَّتَان علىٰ كَتِفيهِ أعْوَامًا. ثمَّ إن أرْمَائِيل تَحوَّب من ذَبْحِ النَّاس فتَلطَّف في اسْتنقَاذِهم واحْتِساب الأجْرِ في إطْلَاقِهم من القَتلِ، فمضَىٰ إلىٰ

---

[1] أرمائيل: وزير بيوراسيف. طبقًا للأسطورة الفارسية: أن بيوراسيف كان يأمر أن يُذبح له كل يوم إنسانان، ويتخذ طعامه من لحومها، وكان أرمائيل يذبح واحدًا، ويستحيي واحدًا ثم يبعث به إلى جبال فارس فتوالدوا في الجبال وكثروا. انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٦١٨.

قَرْيةٍ من قُرىٰ دُنْباوَنْد تُسمَّىٰ منْدَان فبَنَىٰ علىٰ جَبلِها أبْنِيةً جَلِيلةً وقُصورًا عَظِيمة وجعَل فيها بسَاتِين وعُيونًا تَجْرِي في صُحُون تِلْكَ الدُّورِ والبَساتِين، وبنَىٰ في بعْضِ
٣ تِلْكَ القُصُور بَيْتًا بخَشبِ السَّاجِ والأبَنُوس وصَوَّر فيه جميع الصُّور، فلم يكن لأحَدٍ في نَاحيةِ المَشْرِق أشْرَف منه ارْتِفاعًا وحُسْنًا ودِقَّة نقُوشٍ وكَثْرةَ عمَلٍ وتَزاوِيق وتَصَاوِيرَ وتماثِيلَ.

٦ فما زَال ذلك البُنْيان قَائمًا حتىٰ اسْتَنْزَل المَهْدِيُّ ابن المُصْمُغَان[١] من القَلْعَةِ المَعْرُوفَة بالهيرين–وكان قد أعْطَاه الأمَان– فلمّا جَاءوا به إلىٰ الرَّيِّ أمَر بضَرب عُنِقه. فلمّا اسْتُخْلِفَ الرَّشِيد وصَار إلىٰ الرَّيِّ أُخْبِر بمَكَان ذلك البُنْيَان فصَار إليه حتىٰ
٩ وقَف عليه وأمَر بنقْضِه وحَمْله إلىٰ مدِينة السَّلام.

وكان أرْمَائِيل نَازِلًا في قُصورِه وأبْنِيته التي بنَاها فإذا جَاؤوه بالأُسَارىٰ من الآفَاقِ ليَذْبحَهُم ويَأخُذ أدْمِغتَهُم فيُغذِّي الحيَّـتَين، أعْتَق في كلِّ يَوْمٍ أسِيرًا وذَبحَ
١٢ مكَانهُ كَبْشًا وخَلطَ دِماغَهُ بِدمَاغ المَقْتُول وغذَّىٰ به الحيَّـتَين أعْوَامًا كَثِيرة، ثمَّ بَدا لهُ في الذَّبحِ فكان إذا جَاؤه بالأُسَارىٰ أعْتَقهُم وأسْكَنهُم الجَبَل الغَرْبِي من قَرية مَنْدَان[٢].

١٥ فبَقي علىٰ ذلك من حَالِهِ ثَلاثِين عَامًا يعْتِق في كلِّ عَامٍ سَبْعمِائةٍ وثَلاثِين إنْسَانًا. وقَرْية مَيْندَان علىٰ جَبلَين بيْنَهُما وادٍ فيه مَاءٌ عَذبٌ غَزير لا يَنْقَطِع شِتَاءً ولا صَيْفًا،

[١] برزين بن المصمغان ملك دنباوند. انظر: مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم،ج٣، ص٣٧٣.

[٢] كثير من هذا القصص ذي الصلة بالأدب الفارسي، والذي يخص بعض أخبار الضحاك أو البيوراسف لدى: أبو القاسم الفردوسي: الشاهنامة، ترجمة: الفتح بن علي البنداري، تحقيق: عبد الوهاب عزام، طهران، ١٩٧٠م، ج١، ص٣٠-٣٧.

وعلىٰ حَافَّتي الوَادِي عُيونٌ تَنْصَبُّ إليه وشَجرٌ مُثْمِرٌ، فكَان كُلَّما أعْتَقَ أسِيرًا أعْطَاهُ وادِيًا وأسْكَنهُ الجَبل الغَرْبِيِّ وأمَرهُ أن يَزْرَع لنَفْسِه ما يُرِيد ويَبْنِي ما شَاء، فكَانوا يفْعَلُون ذلك[1].

وقيَّض اللهُ لأرمَائِيل مُطَلسِماً ألَـمَّ به فقال: أنَا أطَلْسِم الطَّعامَ الذي يتغَذَّىٰ به هذا المَلْعُون فيكُونُ يتغلْغَلُ في جَوْفِه ويَرْتِفعُ [١٤٦ظ] إلىٰ صَدْرِه ويَجْرِي في لهوَاتِه فيَشْبَع منه ولا يَحْتَاج إلىٰ غَيْرِه أبدًا وسَيُجَازِيك المَلِكُ علىٰ ذلك. ما الذي تـجَازِيني عليه؟ قال: سَل ما أحْبَبت. قال :إذا أتتَك رِئاسَة النَّاحِية أشْرَكْتَنِي فيها معك وفي نِعْمَتك وعَقدَت بيْنَنَا قَرابة لَا تَنْقَطِع، فضَمِن أرْمَائِيل ذلك، وطَلْسَمَ مأكُولَ المَلْعُونِ ومشْرُوبَه في جَوْفِهِ، فهو يتغَلْغَل في صَدْرِه إلىٰ بُلوغِ مدته.

فلمَّا كان بعد ثَلاثِين حَوْلًا من مَمْلَكة أفرِيدُون أنْفذَ إلىٰ أرْمَائِيل رسُولًا يَأتِيه بخَبر البِيوَراسْف. فلمَّا وافَاهُ أنْزلهُ أرْمَائِيل معه في قَصْرِه. فسَألهُ الرَّسُول عمَّا صَنعَ فأخْبَرَهُ خَبر المُعْتَقِينَ من الذَّبْح وإنْزَالهُ إيَّاهُم الجَبل الغَربِيِّ، ولَمَّا أمْسَىٰ أمَر المُعْتَقين أنْ يُوقِدَ كلُّ واحِدٍ منهُم علىٰ بَابِ المَوْضِع الذي فيه نَارًا ففَعَلُوا. فقال الرَّسُول: ما هذا؟ فقال: هؤلَاء هم المُعْتقُون من الذَّبْح.

فقال الرَّسُول: بالفَارسِيَّة : «وس مانا كي ته آزاد كردي»؟ أي:كم من أهْلِ بيْتٍ قد أعْتَقْتُهم؟ وتنَاهىٰ الخَبَر إلىٰ أفرِيدُون فسُرَّ به سُرورًا شَدِيدًا ومضَىٰ نحو جَبل

[1] ذكر ياقوت الحموي بعض سطر من هذه الأسطورة ولم يكملها لحرج وقع في نفسه وعلق على ذلك بقوله: «... وللفرس فيه خرافات عجيبة وحكايات غريبة، هممت بسطر شيء منها ههنا فتحاشيت من القدح في رأيي فتركتها...». انظر: معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٧.

دُنْباوَنْد فوَقفَ عليه فلَمَّا تقَرَّر عنده فِعْلُ أرْمَائِيل شَرَّفهُ ورفَع دَرجَتْهُ وسمَّاه الْمَصْمُغَان وأقْطَعهُ مَدِينة دُنْباوَنْد برَسَاتِيقهَا وقُراهَا وعقَد له تَاجًا وأقْعَدهُ علىٰ سَرِير
٣ ذَهبٍ. فهم آل الْمَصْمُغَان المعْرُوفُون إلىٰ يَوْمِنا هذا بِتلْكَ النَّاحِية.

وكان أفرِيدُون سَجنَ البِيوَراسْف في النِّصْفِ من مَاه مَهْر وروز مهر، فلَمَّا أصْبَح جعَله عِيد المَهْرجَان. ويقال إنَّ طُول أفرِيدُون تِسْعَة أرْمَاح- والرُّمْحِ ببَاعِه ثَلاثَةِ
٦ أبْوع- وعَرْض عَجُزِه ثَلاثَة أرْمَاح، وعَرْض صَدْرِه أرْبَعةُ أرْمَاح، ووسَطَه رُمْحَان[1].

وقال مُحمَّد بن إبْرَاهِيم بن نَافِعٍ[2]: كُنتُ مُقِيمًا بطَبَرِسْتَان في خَدْمَة مُوسَىٰ بن حَفْص الطَّبريِّ[3] في خِلَافةِ المَأمُون إذ ورَد عَلَينا قَائِدٌ من قُوَّاد المَأمُون في مِائةٍ وخَمْسِين
٩ فَارِسًا، ومعه كتَاب المَأمُون إلىٰ مُوسَىٰ بن حَفْصٍ يَأمُره بالشُّخُوصِ إلىٰ مَوْضِع البِيوَراسْف حتىٰ يقِف عليه ويتفحَّص عن خَبرِه ويكْتُب إليه بِصحَّة الأمْرِ [١٤٧و] فيه.

قال: فوَافَيْنا قَرْية الحدَّادِين، فلَمَّا قَرُبنَا الجَبلَ الذي هو فيه، إذا نحن بدُويْبة في
١٢ عِظَمِ البِغَال، فلَمَّا رَأتْنا صَعدَتْ في الجَبلِ.

[1] قارن: الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٣١٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٢١٣-٢١٥.

[2] محمد بن إبراهيم بن نافع، له ذكر لدى الصولي: أدب الكتاب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩٢٣م، ص٢١٢.

[3] موسى بن حفص الطبري، والي الخليفة المأمون على طبرستان والرويان ودنباوند، وتوفي سنة ٢١١هـ/٢٨٦م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص٥٩٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٦١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٥٣.

قال: وإذا طُيورٌ بِيضٌ كِبارٌ أكْبَر من النَّعامِ في خلق الفُصْلَان[١]، وإذا قُلَّة الجَبَلِ مغَشَّاةٌ بالثَّلجِ، وإذا دُودٌ عِظَامٌ مثل الجُذوعِ تنْحَطُّ من ذلك الثَّلْجِ، فإذا انفَصلَتْ الدُّودَة عن الثَّلجِ وانْحَدَرت إلىٰ القَرارِ وانْسَابت علىٰ الحِجَارة انفَقأتْ فسَال من جَوْفِها مثل السَّاقِية مَاء، فإذا كان ذلك نهَضتْ تلك الطُّيورِ إلىٰ جُلودِ هذا الدُّود فأكَلْتها.

فلم تَزل العَسْكَر في القَرِيةِ أيَّامًا يَرومُون الوصُولَ إلىٰ مَوْضِع البِيوَراسْف ولا يهْتَدُون لمَوْضِع الجبَل في الصُّعُود. فبَيْنَما هم كذلك إذ أتَاهُم شَيْخٌ قد نِيفَ علىٰ مِائةِ سنة فسَاءلَهُم عمَّا قَدِمُوا له، فعَرَّفُوه الخَبر، وإذا علىٰ الجَبلِ حَوانِيتٌ كَثِيرة فيها قوْمٌ من الحَدَّادِين حول تِلْكَ القُلَة عليهم نَوائِب يَضْرِبُون مطَارِقَهُم علىٰ سنْدَناتِهم سَاعةً بعد سَاعة ويتكلَّمُون عليها بكَلام يَهجِسُون به مَوْزُونٌ عند ضَرْبِهم، لا يَفْتَرونَ لَيْلًا ولَا نهَارًا.

فسَألُوا الشَّيْخَ عن الخَبر، فقال لهم: هذه الحَوانِيت وضَربِ هؤلاء علىٰ السَّنْدنات، طَلْسَم علىٰ البِيوَراسْف لئَلَّا يَنْحَلَّ عن وِثَاقِهِ، وإنَّه لدَائِبٌ بلحْسِ سَلَاسِله وأغْلَاله، فإذا ضُرِبت هذه المطَارِق عَادت أغْلَالهُ وسَلاسِلُهُ إلىٰ ما كانت عليه من الغِلَظ. فإنْ أحبَبْتُم الوقُوفَ علىٰ صِحَّة خَبر هذا الحَيوانِ المَحْبُوس في هذه القُلَةِ حتىٰ لا يتخَاجلَكُم فيه رَيبٌ أرَيْتُكم بُرْهَان ذلك.

فقال له القَائِد: مَا جِئتُ لغَير هذا الذي وصَفْت. فأحْضَر الشَّيْخُ سُلَّمـًا مخْرُوزًا مُحْكَمًا من الصَّرمِ وسِكَكًا من سِكَكِ الحَدِيد وجمَع شَبابَ القَريةِ حتىٰ صَعد منهُم من

---

[١] الفصلان: جمع فصيل وهو ولد الناقة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٥٢٢.

صعَد علىٰ تِلْك السُّلَّم من قَرار القُلَّة إلىٰ مِقْدَار مِائةِ ذِرَاعٍ في الجَبلِ، ثمَّ أرَاهُم في الجَانِب الشَّرْقِيِّ من القُلَّة عند مَطْلَع الشَّمْسِ حَوْبَةً عَظِيمةً وعليها أسْكُفَّة بَاب حَديد عليه مسَامِير من حَدِيدٍ مُذهَّبة مكْتُوب عليها [١٤٧ظ] بالفَارِسيَّة ما أُنْفِق علىٰ كلِّ مِسْمَار، وفَوْقَ الأُسْكُفَّة كِتابة تُخْبِر أنَّ علىٰ القُلَّة سَبْعَة أبْوابٍ من حَدِيدٍ مصَارِيعُ، علىٰ كلِّ بابٍ أرْبَعة أقْفَال قد كُتِب علىٰ بَعْضِ المسَامِير: لهذا الحَيوَان أمَدًا يَجْرِي إلىٰ غَايتِه ونِهَايتِه لا يَعْدُوها، فلا يعْرِضُ خَلْقٌ لفَتْحِ شيء منها فيهْجِم من هذا المَلْعُون علىٰ ما لَا يقُوم له أهْلُ الأرْضِ ولا حِيلَة لأحدٍ عمَّا يُريد.

فقال القَائد: ويْحَكُم حَيوانٌ منذُ الآفِ السِّنِين يبْقَىٰ بغَير قُوتٍ؟ فقال الشَّيْخُ: طَعامه القَدِيم الذي تغذَّىٰ به مُطَلْسَمٌ في جَوْفه، فهو يتَغلْغَل في صَدْره ويَرْتفِع إلىٰ لهَواته حتىٰ تَمْتلِئ منه، وقد مُنِع من إخْرَاجه فذلك غِذَاؤه. فانْصَرفُوا ولم يَجِدوا شَيْئًا وكُتِبَ بخَبرِهِ إلىٰ المَأْمُون فكتب أن لَا تعْرِض له.

وعن رَجُلٍ من كَلْب قال: كان الضَّحَّاك أشَدَّ النَّاس غَيْرة، فرَكبَ يَوْمًا إلىٰ الصَّيْدِ فجَاء أفرِيدُون في خَيْلهِ فدَخلَ دَارَه واحْتَوىٰ عليها وعلىٰ نِسَائِه وحُرمِه، وبلغَ ذلك الضَّحَّاك فوافىٰ مَنْزله، فلمَّا نظَر إلىٰ أفرِيدُون في دَارِه مع نِسَائِه أدْرَكتهُ الغَيرة فغُشِي عليه وسَقطَ عن دَابته. ووثَب أفرِيدُون فأوْثَقه ثمَّ تتَبع عُمَّالهُ فأخَذهُم وغَلبَ علىٰ مُلْكِه وذلك «ماه مهر وروز مهر» فصَيَّرهُ يوم المْهرجان.

فقالت الأعَاجِم آمذ مهريان لقَتْلِ من كان يُذْبَح في كلِّ يَوْمٍ واتَّخذُوه عِيدًا.

وأخذ المَصْمُغَان وقال: إنَّك كُنْت شَرَّ عُمَّاله وكُنْت صَاحِب الذَّبح، فأذْبحَك كما كُنْتَ تَذْبح النَّاس.

فقال: إنَّ لي بَلاء. قال: وما هو؟ قال: كان يَأمُرني بذَبْحِ اثْنَينِ في كلِّ يَوْمٍ فكُنْتُ أذْبَح واحِدًا وأعْتِقُ الآخر. قال: وكيف نَعْلَم صِحَّة ما ذكَرت؟ قال: ارْكَب معي حتىٰ أُرِيكَ إيَّاهُم، فركِبَ معه وسَارَ حتىٰ أشْرَف علىٰ جِبال الدَّيْلم والشُّور، فنَظَر إلىٰ عَالم قد تَوالَدُوا وتنَاسَلوا. فقال: هؤلاء كُلُّهم عُتَقائِي.

فقال أفرِيدُون: « وس مانا كي ته آزاد كردي»؟ كم من أهْلِ بيْتٍ قد أعْتَقْتُهم؟ اذهب فقَد مَلَّكْتكَ عليهم. فأعْطَاهُ مملَكة دُنْباوَنْد. فلم يزَل الضَّحَّاك [١٤٨و] عِنْده مُوثقًا سِتَّة أشْهُرٍ ثمَّ قتَلهُ يوم النَّيْرُوز فقالت الأعَاجِم « امروز نوروزي» أي اسْتَقْبَلنا الدَّهَر بيومٍ جَدِيد. فاتَّخذُوه عِيدًا.

وعن القَاسِمِ بن سَلْمَانَ قال[1]: أبْجَدُ، وهَوَّزُ، وحُطِّي، كَلَمُنُ، وسَعْفَصُ، وقَرَشْتُ، ثَخَذْ، ضَظَغْ، كانوا مُلوكًا جَبابِرة ففَكَّر قَرَشْت يَوْمًا فقال: تبَارك الله أحْسَنُ الخَالِقين، فجَعلَهُ الله أژْدَها[2] فله سَبْع رُؤوس فهو الذي بدُنْباوَنْد محْبُوس.

وزعَم بعْضُ أهْل العِلْم: إنَّ المَحْبُوس بدُنْباوَنْد صَخْر الجِنِّي الذي أخذ خاتم سُلَيْمان بن دَاود -عليهما السَّلام- لَمَّا رَدَّ الله ﷻ علىٰ سُلَيْمان مُلْكهُ حُبِس صَخْرٌ في جبل دُنْباوَنْد.

[1] القاسم بن سلمان، روى عن الشعبي، ووثقه ابن حبان، انظر: الثقات، ج٧، ص٣٣٦.

[2] أژدها: تعني بالفارسية الأفعى ذات السبع رؤوس. وكانوا يقولون «أژدهاك»: فعربت الضحاك الحاكم المسجون في جبال دنباوند.

ولأبي تـمّام[١] من شِعْرٍ طَوِيلٍ يمْدَحُ به الإفْشِين[٢] ويقَول: إنه مثل أفرِيدُون وأن بَابَك الخُـرَّمِيَّ[٣] مثل الضَحَّاك (شِعْر):

٣

[الكامل]

ما نَال مَا قَـدْ نَـالَ فِرْعَـوْنُ ولَا ... هَامَـانُ في الـدُّنْيَا ولَا قَـارونُ

بل كَان كالضَّـحَّاك في سَطَواتِه ... بالعَـالِمينَ وأنْـت أفْرِيـدُونُ

وقال عَليٌّ بن ربَّن[٤] كَاتِبُ المَازَيار[٥]: وجَّهْنا جَماعَةً من أهْل طَبَرسَتان إلىٰ جَبلِ دُنْباوَنْد، وهو جَبلٌ عَظِيمٌ شَاهِقٌ في الهَواءِ يُرىٰ من رَأسِ مِائةِ فَرْسَخ وعلىٰ رَأسِهِ

---

[١] حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام، الشاعر المشهور، وأحد أمراء البيان، وصاحب تصانيف. توفي سنة٢٣١هـ/٨٤٦م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩، ص١٥٧-١٦٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص ٢٢٥-٢٣٠.

[٢] الأفشين: حيدر بن كاوس الأشروسني، أحد قواد المعتصم، له قصص مشهورة وأخبار مذكورة، توفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤١م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٧٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١١-١١٤؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص١٤٤.

[٣] بابك الخرمي الفارسي، ظهر في ٢٠١هـ/٨١٧م، ودعا إلى عقيدة تناهض الإسلام وتقول بتناسخ الأرواح. وقتل في عام٢٢٦هـ/٨٤١م. انظر في ترجمته وأخباره: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٨-٤٠.

[٤] علي بن ربَّن بن سهل الطبري، أبو الحسن، وربَّن اسم سهل لأنه كان ربين اليهود، وكان يكتب للمزيار بن قارن، وله تصانيف في الطب، توفي سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م. انظر ترجمته وأخباره لدى: النديم: الفهرست، ج٢، ص٢٩٦-٢٩٧؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص١٨٧- ٢٣١؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١، ص٣٠٩؛ وانظر ما جمعه فؤاد سيزكين عنه بعنوان: علي بن ربن: نصوص ودراسات، فرانكفورت، ١٩٩٦م.

[٥] محمد بن قارن المازيار، صاحب طبرستان والقائم بملة المجوس. قتله الإفشين عام ٢٢٥هـ/٨٤٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٨٠-٧٨؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٥٦-٢٥٨؛ الصفدي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٠.

أبدًا مثل السَّحاب المُتَراكِم لا يَنْحَسِر عنه في الصَّيْفِ ولا في الشِّتَاءِ، ويخْرُج من أسْفَلِهِ نهْرٌ مَاؤه أصْفَر كِبْريتيٌّ يزْعُم جهَّال الفُرْسِ أنَّه بَولُ البِيوَراسْف.

٣ فذَكر الذين وجَّهْناهُم أنَّهم صَعدُوا إلىٰ رَأْسِه في خَمْسَةِ أيَّامٍ وخَمْسِ ليَال، فوجَدُوا نفْسَ قُلَّته به يكون نحو مِائةِ جَريبٍ مِسَاحَة علىٰ أنَّ النَّاظِر يَنْظُر إليها من أسْفَل الجَبَلِ مثل رأَسِ القُبَّة المَخْرُوطَة.

٦ قالوا: ووجَدْنَا عليها رَمْلًا تَغِيبُ فيه الأَقْدَام، وأنَّهم لم يرَوُا عليها دَابَّةً ولا أثَر الشَّيءِ وأنَّ سَائِر ما يَطِيرُ في الجوِّ لا يَبْلُغهَا، وأنَّ البرَدَ فيها شَدِيد والرِّيح عَظِيمَة الهُبُوب والعُصُوف، وأنَّهم عدُّوا في قُلَّتها سَبْعِين كُوَّه منها الدُّخَان الكِبْريتيُّ، وأنَّه ٩ كان معَهُم رَجلٌ من أهْلِ تِلْكَ النَّاحِية فعَرَّفهُم أنَّ ذلك الدُّخَّان تَنفُّس البِيوَراسْف، ورَأوا حَوْلَ كلِّ ثُقْبٍ من تِلْكَ الكُوىٰ كِبْرِيتًا أصْفَر [١٤٨ظ] كأنَّه الذَّهب، وحَمَلُوا معهم شَيئًا منه حتىٰ نظَرنَا إليه وزعَمُوا أنَّهم رَأوا الجِبَال حَوله مثل التِّلَال، وأنَّهم ١٢ رَأوا البَحْر مثل النَّهْر الصَّغِير وبين البَحْر وهذا الجَبَل نَحو عِشْرين فَرْسَخًا[١].

١٥

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: دنباوند] ج٢، ص٤٧٦-٤٧٧.

القَوْل في قَزْوِين وأبْهَر وزِنْجَان

٣ قال بَكْرُ بن الهَيْثَم[١]: (*كان حِصْنُ قَزْوِين يُسَمَّى بالفَارِسِيَّة كُوشِين (a) [ومعْناه: الحدُّ المَنْظُور إليه، أي المَحْفُوظ] (a) قال: وبَيْنَهُ وبين الدَّيْلَم جَبَلٌ كَانت مُلوكُ فَارِس تَجْعَل فيه رَابِطةً من الأَسَاوِرة فيَدْفَعُون الدَّيْلَم إذا لم يكُنْ بينهم هُدْنَة، ويَحْفَظُون ٦ بَلدَهُم من اللُّصُوصِ. (b) [ويقال: إنَّهم نزَلُوا قَرْية يُقال لها سَسِين فقالوا: جَشْ أين. ثمَّ دخَلُوا قَرْية يقال لها فاسقين فقالوا: بَسْ أين. ثمَّ دخَلُوا قَرْية سَرْوِين، فأنْذرَ صَاحِب الجَيْشِ قال: سَرْوِين] (b).

٩ قال: وكانت دَسْتَبي مَقْسُومة بين الرَّيِّ وهَمَذَان، فقِسْمٌ منها يُدْعَى دَسْتَبي الرَّازي[٢] وهو مِقْدَار تِسْعِين قَرية منها قد حَازهُ السُّلْطَان في هذا الوَقْت واسْتَخْلصَهُ لنَفْسِه، ومنها ما هو في أيْدِي قَوْم تغَلَّبُوا عليه. قال: وكان سَبب دخُول أذْكُوتِكِين

(a - a) ساقطة من الأصل، والتتمة من البلاذري: فتوح البلدان.

(b - b) التتمة من في المختصر.

---

[١] بكر بن الهيثم: أحد شيوخ البلاذري، وقد نقل عنه غير مرة.

(*) من هنا يبدأ التطابق بين المصنف وكتاب "فتوح البلدان"، للبلاذري.

[٢] نقل ابن الفقيه الهمداني هذا القول من فتوح البلدان: للبلاذري، وقد نسب هذا الخبر إلى شيخ البلاذري الذي نقل عنه الخبر دون النسبة إلى البلاذري نفسه، وتمام الخبر في فتوح البلدان كالتالي: «حدثني عدة من أهل قزوين، وبكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الري قَالُوا: وكان حصن قزوين بالفارسية كشوين...».

انظر: [مادة: فتح قزوين وزنجان] ص٤٤٨.

بْنِ أَسَاتِكِينَ التُّرْكِيِّ قَزْوِين وتَغلُّبه عليها في سَنةِ سِتٍّ وسِتِّين ومِائَتين، وأسْرهُ مُحمَّدًا بن الفَضْلِ بن مُحمَّد بن سِنَان العُجَليَّ[١] رئِيس قَزْوِين وكَبِيرهَا أنَّه تقَلَّد البَلد، فلمَّا صَار إليه أظْهَر العَدْل والنَّصْفَة أيَّامًا ثمَّ أزَالها عن ذلك وقَبَض علىٰ جَماعَة من وجُوهِ البُلْدَان وأخذَ ضِياعَهُم وأمْوَالهم. وقِسْمٌ منها يُدْعَىٰ الهَمَذَاني.

وكان عَامِل هَمَذَان في وقْتِ افتِتَاح الخَراج يُنْفِذ خَليفَتهُ إلىٰ قرْيَةٍ من قُرىٰ دَسْتبَي يقال لها أسْفَقنَان فيَجْنِي خرَاجهَا ويَحْملَه إلىٰ هَمذَان فما زَال الأمْر كذلك حتىٰ كُوِّرَت قَزْوِين وزَنْجَان. قال: [a]وكان العَدْلُ ظَاهِرًا بقَزْوِين إلىٰ أيَّام المَـأمُون، فلمَّا تقَلَّد المُعْتَصِم زال ذلك.

وصَار عُمَّاله بهَمَذَان وأقَامَ العَدل علىٰ حَالَتهِ بقَزْوِين[a] قال: ولمَّا زَال مُلْك العُجْمِ وفُتِحتْ البُلْدَان ولِيَ المُغِيرة بن شُعْبَة الكُوفَة، ووليَ جَرِيرُ بن عَبْد الله[٢] هَمَذَان[٣].

(a - a) تمام الخبر في المختصر كالتالي: « وكان العدل بقزوين من جهة طاهر بن الحسين، والجور بهمذان من قبل موالي المعتصم بالله أمير المؤمنين، فتظلم رجل يقال له محمد بن ميسرة من رجل آخر من أهل قزوين يدعى أحمد بن النصر بن سعيد، فوجّه وفده إلى نيسابور يسأل الكتّاب في نقل رستاق نسا وسلقانروذ إلى قزوين. فكتب صاحب خراسان بذلك فنقلت إلى قزوين».

---

[١] محمد بن الفضل بن محمد بن سنان العجلي، له ذكر وخبر لدى: البلاذري، انظر: فتوح البلدان، ص٤٥٢–٤٥٣؛ القزويني: التدوين في أخبار قزوين، ج١، ص ٤٩٤، ٤٧.

[٢] مرت ترجمته ص٣٧٩.

[٣] قارن مختصر الكتاب، ص٢٨٠.

وولِيَ البَراءُ بن عَازِب قَزْوِين ومعه حَنْظَلة بن زَيْدَ الخَيْل[١] حتىٰ أتىٰ أبْهَر فأقَام علىٰ حِصْنَها، وهو حِصْنٌ مَنِيع بناه سَابُور ذُو الأكْتَاف [١٤٩و].

٣ وسَابُور أيضًا بنىٰ مَدِينة قَزْوِين، ويقال أنَّه بنَىٰ حِصْنَ أبْهَر علىٰ عُيون سَدَّها بجُلُودِ البَقر والصُّوف، واتَّخَذَ عليها دكَّة، ثمَّ بنىٰ الحِصْنَ عليها، قال: ولَمَّا نزَل عليها البَراءُ قَاتلهُ أهْلُ الحِصْنِ أيَّامًا، ثمَّ طَلَبُوا الأمَان فَآمنهُم علىٰ مثل ما آمن حُذَيْفَة بن ٦ اليَمان أهْل نَهَاوَنْد.

ثم سَارَ إلىٰ قَزْوِين فأنَاخَ عليها، فطَلَبُوا الصُّلْح فعَرَضَ عليهم ما أعْطَىٰ أهْلَ أبْهَر من الشَّرائِط فقَبِلُوا جميعُ ذلك إلَّا الجِزْيَة فإنَّهم نَفِرُوا منها فقال لابُدَّ منها، فلمَّا ٩ رَأوا ذلك أسْلَمُوا وأقَامُوا بمَكَانِهم فصَارت أرْضُهُم عُشْريَّة، فرتَّب البَراءُ فيهم خَمْسمَائِة رَجلٍ من المُسْلِمينَ منهُم: طُلَيحَة بن خُوَيْلِدٍ الأسَدِيُّ[٢]، ومَيْسَرة العَائِذي[٣].

وجمَاعَة من بَنِي تَغْلَب [a) [علىٰ دسْتَبِي وقَزْوِين، فتَنَاسَلوا هناك فأوْلَادُهم ١٢ وأوْلَاد أوْلَادهم إلىٰ اليَوْم فيها قَدْ تَوارَثُوا الضِّيَاع، وكانت قبالَةً من السُّلْطَان في أيْدِيهم الخَمْسِين السَّنة والأقَلَّ والأكْثَر] [a).

(a - a) التكملة من: المختصر.

[١] حنظلة بن زيد الخيل الطائي، استخلفه عمر بن الخطاب ﷺ على فتوح الديلم وقزوين. انظر في ترجمته: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٠٤.

[٢] مرت ترجمته ص١٩١.

[٣] لم أقف على ترجمته.

وأَقْطَعهُم أرْضِين وضِياعًا لا حَقَّ فيها لأحَدٍ فعَمَّروهَا وأجْرُوا أنْهَارهَا وحفَرُوا آبَارهَا فسُمُّوا تُناءهَا [a) [متقبِّلين لأنَّهم تقبَّلوا بضِياعِهم من السُّلْطَان] [a)][١].

٣ وكان نزُولهم علىٰ ما نزَل عليه أسَاوِرَة البَصْرَة [من الإسْلَام] [b) علىٰ أنْ يكُونُوا مع من شَاءوا، وصَار جَماعةٌ منهُم إلىٰ الكُوفَة وحَالفُوا الزُّهْرَة بن حُوَيْة فسُمُّوا حَمْراءَ الدَّيْلَم، وأقَام أكْثَرهُم بمكَانِهم فهم هُناكَ إلىٰ وقْتِنا هذا[٢].

٦ قال: وأنْشَدنِي رجُلٌ من أهْلِ قَزْوِين لجدِّ أبيه، وكان مِمن قَدمَ مع البَراءِ بن عَازِبٍ لقِتَال الدَّيْلَم:

[الرجز]

قَدْ تَعْلَمُ الدَّيْلَمُ إذ تُحَارِب
لَمَّا أتىٰ في جَيْشِه ابْنُ عَازِبْ
بأنَّ ظَنَّ المُشْرِكينَ كَاذِبْ
كَمْ قَطَعْنَا فِي دُجَىٰ الغَياهِبْ
من جَبلٍ وعِرٍ ومن سَباسِبْ

٩

(a-a) التكملة من: المختصر.

b) زيادة من البلاذري: فتوح.

١ قارن مختصر الكتاب، ص٢٨١.

٢ قارن هذا الخبر لدى كل من: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٤٨-٤٤٩؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٧٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٨٣؛ ج٤، ص٣٤٣.

ثمَّ غَزا البَراءُ الدَّيْلَم حتىٰ أدَّوا الجِزْية ثم غزَا جِيلَانَ والبَبَر وَالطَّيْلَسَانَ، وفَتَحَ زَنْجَانَ عَنْوَةً، وولي الْوَلِيدُ بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْطِ بن أبي عَمْرِو بن أميَّة الكُوفَة (a) [لعُثْمان بْن عَفَّان فغَزَا الدَّيْلَم مما يَلِي قَزْوِين، وغَزَا أذْرِبيجَان، وغزا جَيْلَان ومُوقَان والبَبر والطَّيْلَسَان] (a) ثمَّ انْصَرف[١].

وولي سَعِيدُ بن العَاص بن أُميَّة بعد الوليد فغَزا الدَّيْلَم وأوْقَع بهم، وهو الذي مصَّر قَزْوين فصَارت مغْزَا أهْلِ الكُوفَة. وكان مُوسَىٰ الهَادِي لمَّا صَار إلىٰ الرَّيِّ أتَىٰ قَزْوِين وأمَر بِبَناء مدِينَةً بإزَائِها فهي تُعْرف بمَدِينة مُوسَىٰ، وابْتَاع أرْضًا تُدْعَىٰ رُسْتُم آبَاذ، فجعَلَهَا وقْفًا علىٰ مصَالِح المَدِينة.

وكان عَمْروالرُّومِي [مولاه] (b) يتولَّاهَا ثمَّ تَولَّاهَا بعْدهُ مُحَمَّد بن عَمْرو. وكان مُبَارِكٌ التُّرْكِيُّ[٢] بنَىٰ حِصْنًا بها وسمَّاها المُبَارِكيَّة وبها قَوْم من مَوالِيه.

وحدَّث مُحَمَّد بن هَارُون الأصْبَهانِيُّ[٣] قال: اجْتَاز الرَّشِيدُ بهَمَذَان وهو يُرِيدُ [١٤٩ظ] خُرَاسَان فاعْتَرضَهُ أهْل قَزْوِين وأخْبَروه بمكَانِهم من بَلدِ العَدوِّ وعنَائهم في مُجَاهَدتِهم، وسَألُوه النَّظر لهم وتَخْفِيف ما يَلْزمهُم من عُشْرِ غَلَّاتِهم في القَصبةِ، فسَار إلىٰ قَزْوِين ودخَلهَا وبنَىٰ مَسْجِد جَامِعها واسْمهُ إلىٰ اليَوْم مكْتُوب علىٰ بَابِه في لَوْحِ

(a - a) ساقطة من الأصل: والتتمة من البلاذري: فتوح.

(b) زيادة من البلاذري: فتوح.

[١] قارن: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٧٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٠٦.

[٢] راجع ترجمته ص٢٩٣.

[٣] محمد بن هارون الأصبهاني، من شيوخ البلاذري.

حَجرٍ، وابْتَاع بها حَوانِيت ومُسْتَغلَّات وأوْقَفها علىٰ مصَالِح المَدِينة وعِمَارة قُـبَّتها وسُورِها فهي تنْفِق عليها.

٣ وبنَىٰ منها ما اسْترَمَّ بغلَّتها إلىٰ هذا الوقت. قال: وصَعَد في بعْضِ الأيَّام القُبَّة التي علىٰ بَابِ المدِينة وهي عَالِيةٌ جِدًّا، فأشْرَف علىٰ الأسْوَاق ووقَع النَّفِير في ذلك، فنَظَر في أهْلهَا وقَد غلَّـقُوا حَوانِيتَهُم وأخَذوا سُيوفَهُم وتِراسَهُم وجَمِيع أسْلَحتِهُم

٦ وخَرجُوا علىٰ رَايَاتِهم وسَارُوا نحو العَدوِّ فاسْتَحْسَن ذلك منهُم وأشْفَق عليهم وقال: هؤلاء قَوْمٌ مُجاهِدُون يَـجِـب أنْ ننْظُر لهم، فاسْتَشَار خَواصَّه في ذلك فكلُّ واحِدً منهُم أشَار بما عِنده فقال هو: أصْلَحُ ما يُعْمل بهؤلاء أنْ يُحطَّ عنهم الخَراج،

٩ وتُجعَل لهم وظِيفَةُ القَصبة فجَعلهَا عَشْرَة آلَافِ دِرْهمٍ في كلِّ سَنةٍ مُقَاطَعَةً[١].

وكان القَاسِم بن الرَّشِيد[a)][٢] ولِي جُرْجَان وطَبرِسْتَان وقَزْوِين، فألْـجَأ أهْل قَزْوِين ضِيَاعهُم إليه تَعْزُّزًا به، ودَفْعًا لمكْرُوه الصَّعَالِيك وظُلْم العُمَّال عنهم، وكَتبُوا

[a)] رسمت في الأصل: رشد.

---

[١] نقل ياقوت الحموي هذه المادة بتمامها وبدون تصرف من ابن الفقيه، ولكنه نسبها إلى محمد بن هارون الأصبهاني الذي ذكره ابن الفقيه في بداية الخبر، علمًا بأن محمد بن هارون هو شيخ البلاذري الذي نقل عنه هذا الخبر حيث قال:« وحدثني محمد بن هارون الأصبهاني قال: مر الرشيد بهمذان وهو يريد خراسان...». انظر: فتوح البلدان، ص٤٤٨-٤٥٢"؛ وقارن: معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٣؛ القزويني: آثار البلاد بأخبار العباد، ص٤٣٥.

[٢] القاسم بن أمير المؤمنين هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، سماه الرشيد المؤتمن وخطب له بالخلافة بعد الأمين والمأمون، وتوفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٣٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٩٣-١٩٤.

له عليها الأَشْرِية وصَارُوا له فلَّاحِين، وكان القَاقُزَان[a] [١] عُشْرِيًّا لأنَّ أَهْلهُ أَسْلَمُوا عليه وأَحَيَوه بعد الإِسْلَام، فأَلْجَـأه أيضًا إلىٰ القَاسِم علىٰ أنْ جعَلُوا له عُشْرًا ثَانيًا
٣ سِوىٰ عُشْر بَيْتِ المَال فصَار في الضِّياعِ أيضًا.

ولمْ تزَل دَسْتَبي علىٰ قِسْمَيها: بعْضهَا إلىٰ الرَّيِّ وبعْضهَا إلىٰ همَذَان، إلىٰ أنْ سَعىٰ رَجُلٌ من سَاكِني قَزْوِين من بَنِي تَمِيم، يقال له حَنْظَلَة بن خَالِد ويُكْنىٰ أبَا مَالِك في
٦ أمْرِها حتَّىٰ صُيِّرت كلُّها إلىٰ قَزْوِين فسَمعَهُ رجُلٌ من أهْل قَزْوِين وهو يَقُول: كوَّرْتُها وأنا أبُو مَالك فقال له: بل أَتْلَفْتَها وأنت أبو هَالِك[b] [*].

وقد رَوَتِ الحَشَوِيَّة [٢] في فضَائِلهَا أَخْبَارًا كَثِيرة لا يُصَحِّحها الثِّقَات والحُـفَّـاظ
٩ [أَوْرِدُهَا] لتكُون فَائِدةً في الكِتَابِ إنْ شَاء الله.

قال ابن المُجَالِدِ الصَّنْعَانِيُّ [٣]: قَزْوِين وعَسْقَلان العَروسَان [١٥٠و] شُهدَاؤهُما تُزفُّ إلىٰ الله يَوْم القِيامَة. ورُوِيَ عن أبي هُرَيْرَة قال: كُنَّا عِنْد رَسُول الله ﷺ يَوْمًا فرفَع

---

[a] في الأصل: الطالقان. والتصويب من البلاذري، فتوح؛ وقدامة بن جعفر: الخراج.

[b] رسمت في الأصل: أبو مالك. والتصويب من: البلاذري: فتوح.

---

[١] القاقزان: ثغر يقع في نواحي قزوين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٨.

[*] إلى هنا ينتهي التطابق بين المصنف وكتاب" فتوح البلدان" للبلاذري.ص ٤٤٨-٤٥٢؛ وقارن: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٣٧٧- ٣٧٨؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٤.

[٢] الحشْوية: نسبة إلى الحشو أو الحشا، طائفة تمسكوا بالظواهر من النصوص، وذهبوا إلى التعطيل والتجسيم، وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولا تخالف به الجمهور والعامة ينسب إلى أنه قول الحشوية: أي الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين؛ وإنما سميت الحشوية لكثرة روايتها للأخبار، وقبولها ما ورد عليها من غير إنكار. انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج١٢، ص١٧٦؛ المعجم الوسيط، ج١، ص١٧٧.

[٣] لم أقف على ترجمته، وله ذكر عند: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢١-٢٦ .

بَصَرَهُ إلىٰ السَّماء كأنَّهُ يَتوقَّعُ شيئًا ثمَّ بكَىٰ حتىٰ جَرت دُمُوعه علىٰ خَدِّه فجَعَلتْ تَقْطُر من أطْرَافِ لِحْيَتِهِ وهو يقول: "رحِم الله إخوَانِي بِقَزْوِين ثَلاث مرَّاتٍ قُلْنَا: يا رسُول الله من إخْوَانُك بَقَزْوِين الذين ذَكَرْتَهُم وتَرَحَّمت عليهم وما قَزْوِينُ هذه؟ قال: هي مدينة من أرْضِ الدَّيْلَم وسَتُفْتَحُ علَيْكُم ويكُون بها رِبَاط فمن أدْرَك ذلك فَلْيَأْخُذْ نَصِيبَهُ مِنْ فَضْلِ رِبَاطِها فإنَّهُ يسْتَشْهِدُ بها قوْمٌ يَعْدِلُونَ شُهَدَاءَ بَدْرٍ"[1].

قال الحَسنُ[2] في قَوْلِه ﷻ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] قال: الدَّيْلَم. قال عمَّار بْنُ عَبْد الله[3]: سَألتُ أبا عَبْدِ الله[4] ﷺ عن قِتَال الدَّيْلَم فقال: ومن أحَقُّ بالقِتَال منهُم؟ هم الذين قال الله تعالىٰ [فيهم]: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ [التوبة: ١٢٣]. وعن مُجَاهِدٍ[5] في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٨٨] قال: الرُّوم والدَّيْلَم.

---

[1] أحد الأحاديث الضعيفة وغير الموثقة التي استند عليها ابن الفقيه في بعض أخباره، والتي لا نجد لها أصلًا أو مصدرًا فيما بين أيدينا في المظان المعتمدة.

[2] يقصد الإمام الحسن البصري.

[3] عمار بن عبد الله بن يسار الجهني، عداده في الكوفيين، روى عن أبيه عن الإمام علي بن أبي طالب. انظر في ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير،ج٧، ص٢٨؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٩٢؛ ابن حبان: الثقات، ج٧، ص٢٨٤.

[4] أبو عبد الله هو الإمام الحسين بن علي ﷺ.

[5] أي إمام التابعين مجاهد بن جبر، وقد مرت ترجمته ص٨.

وبعثَ الحَجَّاج إلىٰ وفَدِ الدَّيْلم فكانوا قد جَاؤوه فَأرادَهم علىٰ أنْ يُسْلِمُوا فَـأَبَوا. فطَالبهُم بالجِزْيَةِ فامْتَنعُوا فأمَر أنْ يُصوَّر لهم بَلدهُم سَهْلُهُ وجَبلُـه وعِقَابـه وغِياضُـهِ وأَنْهَارُه وطُرُقُهِ وبِنَاؤه فصُوِّرَ له ذلك فقال لهم: إنَّ بِلَادَكُم قـد صُـوِّرت لي بطُرِقهَـا وعقَابِها وأنْهَارِهَا وجِبَالِها وسهُولِها، وقد رَأيْتُ فيها مطْمَعًا فـأَقِرُّوا لي بـما دَعْـوتُكم إليه وإلَّا أغْـزيْتكُم الجُنـود فأخْرَبـت بَلـدَكُم وقتَلْـتَ رِجَـالكُم وسَـببتَ الـذَّرَارِي والنِّسَاء. فقالوا: أرِنَا الصُّورَة التي أَطْمَعتْكَ فينا وفي بِلدِنا.

فدعا بالصُّورة، فلمَّا نظَروا إليها قالوا: قد صَدقكَ الذي صَوَّرهَا لك غير أنَّه لم يُصوِّر الرِّجَال الذين يَمْنَعُون هذه العِقَاب والجِبال والطُّرق. وستَعْلَم حَقِيقة ذلك لو قَصَدت البَلد. فلم يَلْتَفِت إلىٰ قَوْلَهم وأنْفَذ إليهم عَسْكَرًا عليه ابنه مُحَمَّد بن الحجَّاج، فلم يَصْنَع شَيئًا وانْصَرف إلىٰ قَزْوِين فبَنىٰ بها مَسْجِدًا ونصَب فيها مِنْبرًا.

فذكَر مُحَمَّد بن زِيادٍ الْمُذْحَجِيُّ قال: رأيْتُ في مَسْجِد قَزْوِين لَوْحًـا فيـه مكْتُـوب: مِمَّا [١٥٠ظ] أمَر به مُحَمَّد بن الحَجَّاج، وهذا المَسْجِد الذي بنَاه مُحَمَّـد بـن الحجَّـاج. هـو المَسْجِد الذي علىٰ بَاب دَار بَنِي الجُنَيْد وكان يُسَمَّىٰ مَسْجِد التوث[a]. فلمْ يـزَل قَـائِمًا إلىٰ أنْ بُنِيَ للرَّشِيد مَسْجِدها الجَامع.[١]

---

[a] رسمت في الأصل: الثور، والتصويب من المختصر؛ القزويني: التدوين في أخبار قزوين.

---

[١] مر ذكر هذا الخبر انظر فيما تقدم ص٣٥١. وقارن: القزويني: التدوين في أخبار قزوين، ج١، ص٥٤.

وحَكىٰ قَومٌ من مشَايخ أهْل قَزْوِين أنَّهم لحقُوا عُمَّـال خَالِد بن عَبْد الله القَسْـرِيِّ [١] وهم يَنَالُون من أمِيرِ المؤْمِنين عَليّ بن أبي طَالِب ﷺ علىٰ [(a] مِنْبِر قَـزْوِين، وأنَّ رجُـلًا

٣ من عبد القَيْس سَمعَ ذلك يومًا فاخْتَرطَ سَيْفَه ورَقىٰ إلىٰ الذي علىٰ المِنبَر وقَـدْ نَـالَ منه فقَتلهُ فانْقَطعَ ذلك من ذلك اليوم[a)] [٢].

ورُوِي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال:« سَتُفْتَحُ علـيْكُمُ الآفَـاقُ، وستُفْتَحُ علـيْكُمْ مدِينَـةٌ

٦ يقال لها قَزْوِينُ، من رابَطَ فيها أرْبَعِينَ لَيْلَةً، كان له فِي الجَنَّةِ عَمُودٌ من ذَهَبٍ أحمر لـه سَبْعُونَ أَلْفَ مِصْرَاعٍ من ذَهَبٍ، علىٰ كُلِّ مِصْرَاعٍ زَوْجَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ» [٣].

ولما أرَاد عليٌّ بن أبِي طَالبٍ ﷺ المَسِير إلىٰ صِفِّين قال: من أحَبَّ مـنكم أنْ يَخْـرج

٩ معنا في وجْهَنا هذا وإلَّا فليَأتِ قَزْوين فإنَّها بَـابٌ مـن أبْـوَابِ الجنَّـة. قـال: فخَـرج الرَّبِيْعُ بنُ خُثَيْم [٤] إليها في أرْبَعةِ آلافٍ، فلم يَزل مُقِيمًا بها حتىٰ انْقَضَىٰ أمْر صِفِّين.

(a-a) في المختصر: «...فقام حبيش بن عبد الله وهو من موالي الجنيد أو بني عمه فاخترط سيفه وارتفع إلى العامل فقتله وقال: لا نحتملكم على لعن علي بن أبي طالب فانقطع بعد ذلك اللعن عنه رضوان الله عليه ... ».

---

[١] مرت ترجمته انظر ص٤٣.

[٢] قارن نص المختصر، ص٢٨٤.

[٣] حديث منكر ضعفه رجال الحديث، ولا يعرف إلا من رواية داود بن المحبر [انظر ترجمته: ص٢٢٠]. وهو راوٍ متروك ينقل عن المجاهيل ويضع الحديث عن الثقات. انظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٨، ص٤٤٨.

[٤] الربيع بن خثيم الثوري الكوفي، من سادة التابعين، وفاته على أقاويل منها ٦٣هـ/٦٨٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج٦، ص١٨٢-١٩٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٥٨-٢٦١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤، ص٥٦.

ويُرْوىٰ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « والذي نَفْسِي بيَده ليُقَاتِلنَّ قَومٌ بقَـزْوِين لـو أقْسَـمُوا علىٰ الله لأبَرَّ أقْسَامهُم». ويُرْوَىٰ أنَّ النَبيَّ ﷺ قـال: « مثـلُ قَـزْوِين في الأرْضِ مثـل جَنَّة عَدْنٍ في الجِنَان»[١].

ورُوِيَ أنَّ سَعِيد بن جُبير قَدِمَ قَزْوِين وهو متَوارٍ من الحجَّاج فبَاتَ بها لَيْلـةً ثـمَّ خَرجَ منها وقال: ليَجْتَهِد عُبَّـاد المَسْجِدينِ أنْ يدرِكُوا مثل لَيْلَتي هذه[٢].



[١] لم نجدحديثًا بهذا اللفظ في الصحاح ولا غيرها من متون الحديث.

[٢] بعض أخبار قزوين التي ذكرها ابن الفقيه اعتمد فيها على الأحاديث الموضوعة والروايات الضعيفة، وقد صرح بذلك قائلا:« وقد روت الحشوية في فضائلها أخبارًا كثيرة لا يصححها الثقات والحُفاظ أوردها لتكون فائدة في الكتاب إنْ شاء الله».

وهذه الأخبار لا نجد لها أصلًا أو مصدرًا فيما بين أيدينا من مظان، ولا تصح نسبة هذه الحكايات إلى الصحابة وأئمة التابعين.

قال: (a البَرَ والطَّيْلَسَان والطَّالَقَان وخُرَاسَان - إلَّا أهْل خُوارِزْم - من ولَدِ أشْتَق بن إبْرَاهِيمعَلَيهِٱلسَّلَامُ ، والكوفان والخَزَر والشُّور والإقْلِيس من الدَّيْلَم وهم بنو كماشِج بن يَافِث بن نُوحٍ عَلَيهِٱلسَّلَامُ. وسُمِّيت جِبَالهم على أسْمَائِهم إلَّا الإيْلَام ـ جِنْس من الدَّيْلَم ـ فإنَّهم من ولَدِ بَابِل بن ضَبَّة بن أدٍّ، ومُوقَان وجِبَالها وهم أهْل طَبَرِسْتَان من ولَدِ كماشِج بن يَافِث بن نُوحٍعَلَيهِٱلسَّلَامُ a)[1].

[١٥١و] قال: وحدَّثَنِي أبو حَامِد أحْمَد بن جَعْفَر المُسْتَمْلِيُّ[2]، حدَّثني عَبْد الله بن عَمْرو بن بِشْرٍ البَلْخِيُّ، حدَّثَنِي أبي قال[3]: اجْتَمعَ في حُبُوسِ كِسْرىٰ خَلقٌ كَثِيرٌ لم يرَ أنْ يقْتُلهُم، فشَاورَ فيهم فقِيلَ: غَرِّبهُم. فقال: انظُروا مَوْضِعًا أحْبِسهُم فيه فطَلَبُوا

(a - a) لدى ياقوت: « زعم أهل العلم بهذا الشأن أن الطَّيلسان والطالقان وخُرَاسَان ما عدا خوارزم من ولد أشتق بن إبراهيم الخليل، والديلم بنو كماشج بن يافث بن نوح عليه السلام، وأكثرهم سميت جبالهم بأسمائهم إلا الإيلام قبيل من الديلم، فإنهم ولد باسل بن ضبّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كما نذكره إن شاء الله في كتاب النسب، وموقان وجبالها وهم أهل طبرستان من ولد كماشج بن يافث بن نوح عليه السّلام ...».

[1] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،[مادة: طبرستان] ج٤،ص١٣.

[2] أحمد بن جعفر أبو حامد المستملي، ذكره الخطيب البغدادي، ومن روى عنهم ولم يذكر تاريخ وفاته. انظر: تاريخ بغداد، ج٥، ص١٠٢.

[3] نقل ياقوت الحموي هذا الخبر عن ابن الفقيه، وصدره بقوله:« وفيها روى ثقات الفرس قالوا: اجتمع في حبوس بعض الأكاسرة خلق كثير من الجناة...». قارن: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

ونقَّبُوا البِلَاد فوقَعُوا علىٰ جَبلِ طَبَرِسْتَان، فأَخْبَرُوه بذلك، فوجَّه بهم إلىٰ ذلك الجَبَل وخلَّاهُم فيه، وأخذَ عليهم البَاب- وهو يومئذٍ جَبلٌ لا سَاكنَ فيه- ثمَّ تركَهُم حَوْلًا

٣ لا يسأل عنهم.

فلمَّا كان بعد الحَولِ وجَّه إليهم من يقِف علىٰ خَبرهِم، فأَشْرفَ عليهم رَسُوله وكَلَّمهُم فإذا هم أحْيَاءٌ، فسَأَلهُم ما الذي تُريدُون؟- وكان الجبل أشِبًا[١] كَثِير

٦ الشَّجر. فقالوا: طَـبَرْهاه طَـبَرهْا. أي نُرِيد فؤُسًا نقَطِّعُ بها الشَّجر ونتَّخِذ بُيوتًا. فأُخْبر كِسْرىٰ بذلك، فأمَر أنْ يُبْعَث لهم ما طَلبُوا، ثمَّ أمْهَلهُم حَوْلًا آخر، ثمَّ أرْسَل إليهم فسَأَلهُم عن حَالهم، ووجَدُوهم قد اتَّـخَذوا بُيوتًا، فقالوا: زَنَان، زَنَان. أي

٩ نُرِيدُ نِسَاء. فأُخْبِر بذلك، فأتىٰ بمن في حبُوسِه من النِّسَاء فبعَثَ بهن إليهم فتَناسَلُوا. وعرَّب النَّاس هذه الكَلمَة فقالوا: طَبَرِسْتَان. وإنَّما هي طَبَرْزَنان: أي الفُؤوس والنِّسَاء.

١٢ [وأول] [a] مدينة طَبَرِسْتَان آمُل، وهي أكْبر مُدنهَا، ثمَّ مَمْطِير [b] وبينها وبين آمُل سِتَّة فَرَاسِخ، ثمَّ تُرُنْجَة [c] [٢] وهي من مَمْطِير علىٰ سِتَّة فَرَاسِخ، ثمَّ سَارِيَة ثمَّ طَمِيس- وهي من سَارِيَة علىٰ سِتَّة عَشْر فرْسَخًا- هذا آخِر حَدِّ طَبَرِسْتَان من نَاحِية خُرَاسَان

١٥ وجُرْجَان.

---

[a] زيادة من ياقوت. [b] في ياقوت: مامطير.

[c] رسمت في الأصل: تركجيذ. والتصويب من: المختصر، الإسفندياري: تاريخ طبرستان.

---

[١] أشِب الشجر أي التف وتشابك [يقصد أن الجبل كان كالغابة المتشابكة الأغصان]. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٢، ص٢٦.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: طبرستان] ج٢، ص٢٧؛ ج٤، ص ١٣-١٤.

ومن نَاحِية الدَّيْلَم علىٰ خَمْسَة فرَاسِخ [من آمُل] مدِينة يقال لها نَاتل فإذا جُزت نَاتِل فشَالُوس وهي ثَغر الجَبل. هذه مُدنُ السَّهل.

٣ فأمَّا مُدن الجَبل فمنها مَدِينة يقال لها الكَلار، وهي أيضًا ثَغْر الجَبل. ثمَّ تلِيهَا مَدِينة صَغِيرة يقال لها سَعِيدآبَاذ - فيها مِنْبرَ- ثمَّ الرُّويَان وهي أكبَر مُدن الجَبل. ثمَّ في الجَبل من نَاحِية حُدُود خُرَاسَان مَدِينة يقال لها تـمَار واللَّارْز والشِّزر ودِهِسْتَان.

٦ فإذا جُزْتَ اللَّارْز وقَعْت في جِبال وَنْداد هُرْمُز.

فإذا جزتَ هذه الجِبَال وقَعْت في جِبَال شَرْوِين وهي مَمْلكَة ابن قَارَن. ثمَّ الدَّيْلَم ثمَّ جَيْلَان. فلم تَزل طَبَرِسْتَان في يَدِّ ولَدِ العبَّاس يجْبُون خَراجَها ويولُّونَ

٩ عمَّالها إلىٰ أنْ كانت سَنةِ ثَمانٍ وأرْبَعِين ومائتَيْن، فخَرجَتْ من أيْدِيهم ودخَلها [١٥١ظ] العَلويَّة في هذه السَّنة.

وقال البِلَاذُرِيُّ[١]: كُوَر طَبَرِسْتَان ثَماني كُوَر، كُورَة سَارِيَة وبها مَنْزِل العَامِل، وإنَّما

١٢ صَارَت مَنْزِل العَامِل في أيَّام الطَّاهِريَّة، وقبلَ ذلك كان مَنْزِلُ العَامِل بآمُل. وجعَلها أيضًا الحسَن بن زَيْدٍ ومُحمَّد بن زَيدٍ العَلويُّ[٢] دار مُقَامِهما.

ومن رسَاتِيق آمُل أُرَم خَاسْت الأعْلىٰ، وأُرَم خَاسْت الأسْفَل والمِهْرَوَان[a]

١٥ والإصْبَهْبَذ ونَامِية وطَمِيس.

---

[a] في الأصل: الميروان، والتصويب من المختصر ، وياقوت.

---

[١] لم أقف على هذا القول في كتاب فتوح البلدان للبلاذري، وربما كانت نسخة كتاب الفتوح التي نقل منها ابن الفقيه أتم مما بين أيدينا.

[٢] انظر ترجمته فيما تقدم ص٤٥٢.

وبين سَارِيَة وسَلِينَة علىٰ طَرِيق الجِبَال ثَلاثُون فَرْسَخًا، وعَامتُها من جُرجَان وبعْضُها من طَبَرِسْتَان.

٣ وبين سَارِيَة ونَامِية والمِهْرَوَان عَشْرة فرَاسِخ. وبين سَارِيَة والبَحْر ثلاثَة فرَاسِخ، وبين آمُل وسَارِيَة ثَمانِية عَشْر فَرْسَخًا، وبين آمُل والرَّيِّ اثنا عَشْر فَرْسَخًا، وبين آمُل وشَالُوس، وهي إلىٰ نَاحِية جَيْلَان، عشْرُون فَرْسَخًا. وبين الجِبَال والرُّويَان اثنا عَشْر

٦ فرْسَخًا. ومن مدن الرُّويَان: شَالُوس واللَّارْز والشِزِّر ووَنْداشورج ثمَّ جَيْلَان.

وطُولُ طَبَرِسْتَان من جُرجَان[a] إلىٰ الرُّويَان سِتَّة وثَلاثُون فَرْسَخًا. وعَرْضها عِشْرُون فَرْسَخًا، في يدي السُّكْنىٰ من ذلك سِتَّة وثلاثُون فَرْسَخًا في عَرْضِ أرْبَعةِ

٩ فرَاسِخ، والبَاقِي في أيْدِي الجَروِيَّة والجِبَال والسُّفُوح، وهي طُول سِتَّة وثَلاثِين فَرْسَخًا في عَرْضِ سِتَّة عَشْر فَرْسَخًا، والعَرْض من الجَبلِ إلىٰ البَحْر[١].

وأوَّل من دُفعَت إليه السُّفوح شَرْوِين [بن سُهْرَاب][٢]، وكانت قبل ذلك في

١٢ أيْدِي الجُنْد الذين كانوا يَنْزِلُون المَسَالِح وغيرهم من المُسْلِمين، فأَخْرَجهَا من أيْدِي المُسْلِمينَ وأُنْزِلت فيها قُوَّاد الجَروِيَّة[٣] وأبنَاؤهم.

[a] رسمت في الأصل جيلان. والتصويب من المختصر، وياقوت.

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: طبرستان]ج٤،ص ١٣-١٤.

[٢] انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: شروين]ج٣، ص٣٤٠.

[٣] الجروية: من جروي، وهم ينتسبون إلى ولد جري بن عوف الجذامي، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٣٥.

فلم تَزل في أيْدِيهم إلىٰ أنْ قَدمَ الحَرْشِيُّ[١] فطَردهُم عنها، وأرَادَ أنْ يمْسَحَها وخَرج فعَسْكَر في مُصلَّىٰ آمُل ووجَّه المُسَّاح فخَرجُوا عليهم وقتَلوا القَائِد الموجَّه معه، ثمَّ كتَب إلىٰ الرَّشِيد في ذلك، فقَام الرَّشِيد بنَفْسِه إلىٰ الرَّيِّ ودعَا ببَنْدَاد هُرْمُزد[a][٢] وشَرْوِين.

فخرج وَنْدَاد هُرْمُز عن السُّفوح وسَهْلها وضِياعِه التي في السَّهل وصَارَ إلىٰ الرَّشِيد في الأمَان فصَيَّره إصْبَهْبَذ خُرَاسَان ووجه عَبْدَ الله بْنَ مَالِكٍ الخُـزَاعِيَّ[٣] فحَازَها ورَدَّهَا إلىٰ القُوَّاد أصْحَاب المَسالِح، فلما وليَ المَـأمُون أخذها منهم [١٥٢و] ورَدَّهَا إلىٰ أصْحَابه[٤]. [b) والمَسَالِح فيما بين أوَّل طَبَرِسْتَان إلىٰ حَدِّ الدَّيْلَم، إحْدىٰ وثَلاثُون مَسْلَحة، في كلِّ مَسْلَحةٍ فيما بين المِائَتينِ إلىٰ ألْفَي رَجلٍ (b].

[a)] في ياقوت: ونداد هرمز.

[b -b)] في ياقوت: « ... المسالح: من أول بلاد خُرَاسَان وطبرستان إلى أول حدود الديلم إحدى وثلاثون مسلحة، والمسلحة: الجيش أصحاب السلاح الذين يحفظون المواضع ما بين المائتين إلى الألفين».

[١] سعيد الحرشي، أحد القادة الشجعان، وصاحب شرطة المهدي. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٣١٦.

[٢] انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق،[مادة: ونداد هرمز]ج٥، ص٣٨٤.

[٣] عبد الله بن مالك الخزاعي، صاحب الشرطة في خلافة هارون الرشيد. توفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٠م. انظر في أخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٧.

[٤] راجع: الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٣١٦.

[مدن طَبَرِسْتَان]

٣ وأوَّل مدن طَبَرِسْتَان مما يلي جُرجَان، طَمِيسُ وهي علىٰ حَدِّ جُرْجَان وعليها دَرْبٌ عَظِيمٌ لَيْس يقْدِر أحَدٌ من أهْلِ طَبَرِسْتَان أن يَخْرج منها إلىٰ جُرْجَان إلَّا في ذلك الدَّربِ لأنَّه حَائِطٌ ممْدُود من الجَبلِ إلىٰ جَوْفِ البَحْرِ من آجُرٍّ وجَصٍّ.

٦ وكان كِسْرىٰ أَنُوشِروَان بنَاهُ ليَحُول بين التُّركِ وبين الغَارَة علىٰ طَبَرِسْتَان. وفي طَمِيس خَلْقٌ كَثِيرٌ من النَّاس ومَسْجِد جمَاعَة ومِنْبَر وقَائِد مُرتَّب في أَلْفِي رَجُلٍ[1].

وبعدها في السَّهلِ مدِينة المِهْرَوَان وفيها أيضًا مِنْبَر ومَسْجِد وقَائِد في ألفِ ٩ رجُلٍ.وبعدها قَصَبة سَارِيَة وفيها مِنبِر ومَسْجِد. وخَارِج المَدِينة ألْفُ جَرِيب أرْض لبَنْدَاد هُرْمُزد علىٰ بَابِ مَدِينة سَارِيَة ممَّا كان ابتَاعهُ من الصَّوافِي في أيَّام بِيعَت، فكان الذي تولَّىٰ بيعَها جَرِير بن يَزِيد والِي طَبَرِسْتَان.

١٢ وبعدها مدينة آمُل وفيها قَائِدٌ في أَلْفَيْ رجُلٍ، وفيها يُعْمَل الفُرش الطَّبريُّ، وفيها خَلْقٌ كَثِيرٌ من النَّاس وبها مِنْبَر ومَسْجِد، وبعدها مَمْطِيرُ فيها مِنبَر ومَسْجِد، وبين ممْطِير وآمُل رسَاتِيق وقُرَىٰ وعِمَارة كَثِيرة.

١٥ وزُعِمَ أنَّ الرُّويَان[2] لَيْسَت من طَبَرِسْتَان، وإنَّما هي كُورَة مفرَدَة برَأسِها، وبِلَاد واسِعَة تُحِيط بها جِبالٌ عَظِيمةٌ وممَالِك كَثِيرةٌ وأنْهَارٌ مطَّرِدَة وبسَاتِينُ متَّسِقَةٌ وعِمَارات

---

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: طميس] ج٤، ص٤١.

[2] راجع: ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: الرويان]ج٣، ص١٠٤.

متَّصِلة، وكانت فيما مَضَىٰ من مملكة الدَّيْلَم فافْتَتحهَا عَمْرو بن العَلاء صَاحِب الجَوْسَق بالرَّيِّ و[بنىٰ][a] فيها مَدِينةً وجعَل لها مِنْبَرًا.

٣ وفيما بين جِبَال الرُّويَان والدَّيْلَم رسَاتِيق وقُرىٰ، يَخْرُج من القَرْيةِ ما بين أرْبَعمِائة إلىٰ ألْفِ رجُلٍ، ويَخْرُجُ من جميعهَا أكْثَر من خَمْسِينَ ألْفَ مقَاتلٍ، وخَراجُها علىٰ ما وظَّفَ عليها الرَّشِيدُ أرْبَعمِائةِ ألْفٍ وخَمْسُونَ ألْفَ دِرْهمٍ.

٦ وفي بِلَاد الرُّويَان مَدِينة يقال لها كَجَّة[b] بها مُسْتَقرُّ الوَالِي. وجِبالُ الرُّويَان مُتَّصِلَة بجِبالِ الرَّيِّ وضِيَاعهَا، ويُدْخَلُ إليها ممَّا يَلِيِ الرَّيَّ. وبينَ مَدِينة الرَّيِّ وشَالُوس ثمانِية فرَاسِخ. وعلىٰ حَدٍّ من حُدُودِ الدَّيْلَم مَدِينة يقال لها [١٥٢ظ] شَالُوس[1] أيضًا في بَحْرِ
٩ العَدوِّ، وفيها مِنْبَر ومَسْجِد وبإزَائِها مُقَابِل كَجَّة مدِينة يقال لها الكَبِيرة وفيها أيضًا مِنْبَر. ومن مَدِينة شَالُوس إلىٰ مَدِينة مُحْدَثة في بِلَاد الدَّيْلَم يقال لها الطَّالَقَان فيها مَسْجِد ومِنْبر أرْبَعة عَشْر فرْسَخًا.

١٢ وسُفُوح هذا الجَبَل متَّصِلةٌ بالبَحْرِ، فيها المُسْتَأمنَة الذين اسْتأمنُوا إلىٰ عَمْرو بن العَلَاء، وفيها قَومٌ لهم دِيانَة قَد بنَوا المَسَاجِد وتزَوَّج إليهم أهْلُ شَالُوس وهم يغْزُونَ مع ولَاة طَبَرِسْتَان الدَّيْلَم ويدلُّون علىٰ عورَاتِهم. وبنِيت هذه المَدِينة في أيَّامِ المَأْمُون،
١٥ وأنْفَق عليها ألْفَ ألْف دِرْهمٍ، ووكَّل لحفْظِها عبَّاد بن أتْرب فضَمَّ إليه طَائِفة من العَربِ وهم إلىٰ اليَوْمِ بها قبائِلُ، منهُم آلَ عبَّاد وأهْلِ مُوسَىٰ والشَّعْبَانيَّة.

---

[a] زيادة من ياقوت.

[b] في الأصل: كجو. والتصويب من المختصر، وياقوت.

---

[1] انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: شالوس]ج٣، ص٣١١.

ووراء هؤلاء قَومٌ من الدَّيْلَم لم يُعْطُوا طَاعَةً قَط، وقُراهُم وجِبَالهم مُتَّصِلة بجِبال أرْمِينيَّة ولبَاب الأبْوَاب[١].

٣ ثمَّ القَرْية التي تجْتَمِع فيها الولَاة ومنها يغْزُون الدَّيْلَم يقال لها: مُزْنُ، وكان مُسْتَقر بَنْدَارسفنجَان أخو بنْداد هُرْمُزد بها[٢].

٦ [المَازَيَار بن قَارَن]

وكان المَازَيَار بن قَارَن لمَّا فرَغَ من قتل عُمومَته وأكَابِر ولد بَنْدار سفنجَان وقُوَّادِهم، لم يُمكِنهُ قتل ولَدَ شَرْوِين بن سُهْرَاب لكَثْرة مَالِهم ورَجَالِهم، ولأنَّ مُسْتقرَّهُم من جِبالِ طَبَرِسْتَان ممَّا يَلِي بِلَاد قُوْمس. وكان بين جِبالِ شَرْوِين وجبال ٩ بنْدَاد هُرْمُزد وبَنْدارسفنجَان درُوبٌ ومضَايِقُ مُمْتَنِعة، وفي تِلْكَ الدُّرُوب تسْلُك القَوافِل للتِّجَارَات إلى طَبَرِسْتَان.

١٢ وأظْهَر المَازَيَار لولَدِ شَرْوِين من البِرِّ والإكْرَام والحِيلَ ما أنسُوا به واطْمَأنُّوا إليه، وكان إذا قَدِمَ عليه القَادِم منهُم برَّه ووصَله وحمَّلهُ وكَساه، ثمَّ إنَّه أظْهَر غزو الدَّيْلَم وذكَر أنَّه يُقِيمُ على بلَدهِم حتى يَفْتَحهُ، وبنَى المَسَاجِد في مُدِنه وعَملَ بفِريم[٣]

---

[١] باب الأبواب: مدينة على بحر طبرستان [بحر الخزر] محكمة البناء والأساس، وهي من بناء أنوشروان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: باب الأبواب]، ج١، ص٣٠٣-٣٠٤.

[٢] راجع: ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: مزن]ج٥، ص١٢٢.

[٣] فريم: موضع في جبال الديلم، كان حصن ومستقر آل قارن يتوارثونه من أيام الأكاسرة. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٠.

مِنْبرًا، ومكَث علىٰ ذلك سنَةً أو نَحْوها ثمَّ كتبَ إلىٰ عَامِل خُرَاسَان يسْألُهُ أن يَبْعَث إليه أَلْفَي بعِير لحَمْلِ السِّلاح والمِيَرِ لغَزْو الدَّيْلَم، فلم يشك أنَّه مُجْمِع علىٰ ذلك. ٣ وكتبَ إلىٰ ولد شَرْوِين يسْألهُم أن يَخْرجُوا معه.

وأمَر بإخْرَاج مِنْبر إلىٰ أُرَم وأمَر النَّاس أنْ يَجْتَمعُوا فاجْتَمعُوا وحضَر ولَد شَرْوِين، فخطَبهُم الفَقِيه. فلمَّا فرِغَ [١٥٣و] من الخُطْبَة أمْرهُ بالانْصِرَاف إلىٰ سَارِيَة، ٦ وأمَر من حضَر من ولَدِ شَرْوِين وغَيْرهُم أنْ يَحْضَروا طعَامه فحضَروا مُسْتَبْشِرين، فلما صَاروا إلىٰ منْزِله وقُدِّم الطَّعامُ أمَر بأخْذِ سِلاحِهم، ثمَّ قيَّدهُم وقتَلهُم جَمِيعًا. وتركَ الخُروج إلىٰ الدَّيْلَم، وكَتب إلىٰ صَاحِب جُرجَان أنَّه قَدْ استغْنىٰ عن ذلك.

٩ ثمَّ وجَّه بعد هذا الوَقْتِ بسَنتَين قَائِدًا في عِشْرين أَلْف رَجُلٍ ودفَع إليهم الفُؤوس والمعَاول والمُرور، وأمَر القَائِد أنْ يَسِير حتىٰ يَنْتهِي إلىٰ الدَّيْلَم، فإذا أنَاخَ علىٰ بَلدِهم فإمَّا أنْ يَدْخُلوا في طَاعَته ويَدْفعُوا إليه رهَائِنهُم، وإمَّا أنْ يَقْتُلَهم ويَهْدِم ١٢ مُدنهَم. ففَعل القَائِد ذلك وخَاطَبهُم بما أمَره به، فأعْطُوه الطَّاعةَ ودفعُوا إليه الرَّهَائِن، وقتَل منهُم من ظنَّ به الغَدر ومن كان يَخاف بنَاحِيته.

ثمَّ أمَر أولَئِك المُسْتَأْمنَة أنْ يَخْرج منهُم عَشْرة آلَاف رَجُلٍ ليخرِّبُوا مَدِينة الرِّئاسَة ١٥ ففعَلوا ذلك. وهؤلاء المُسْتَأْمنَة في رِسْتَاقٍ عَظِيمٍ يقال له مُزُن.

وإلىٰ هذا المَوْضِع كان انْتهىٰ عَمْرو بن العَلَاء ومنه كانت تَغْزُو ولَاةُ طَبَرِسْتَان الدَّيْلَمَ وقَزْوِينَ وبَاب الأبْوَاب وبِلَاد بَابِك. وهؤلاء المُسْتَأْمنَة إنْ رَأوا للمُسْلِمينَ ١٨ قوَّة كانوا معهم وغَزُوا بغَزْوِهم، وإنْ رَأوا للعَدوِّ قوَّة كانوا معهم.

وبعد هذا المَوْضِع جَبل يتَّصِل بقَزْوِين وبِلَاد بَابِك يكون نَحْوًا من عِشْرِين فَرْسخًا، وإلىٰ هَاهُنا انتَهت الوِلَاةُ في غَزْو الدَّيْلَم، وما ورَاء ذلك لم يوصل إليه في ٣ وقْتٍ من الأوْقَات فيُخْبر عنه. وللدَّيْلَم بعد هذه الجِبال التي انْتَهىٰ الغَزْو إليها جِبالٌ لم يطَأْها المُسْلِمونَ قَط ولا وصَلُوا إليها، وهي جِبالٌ تتَّصِلُ ببِلَاد بَابِك وتِلْكَ النَّاحِية.

٦

[فتح طَبَرِسْتَان]

وكانت طَبَرِسْتَان في الحَصانَة والمَنْعَة علىٰ ما هي عليه، وكانت مُلُوك ٩ فَارِس توَلِّيها رجُلًا ويسَمُّونه الإصْبَهْبَذ، فإذا عَقَدُوا له لم يَعْزِلُوه حتىٰ يمُوت، فإذا مَات أَقَامُوا مكَانهُ ولده إنْ كَان له، فإنْ لم يكُن له ولَد وجَّهوا بإصْبَهْبَذ آخَر، فلم يزَالُوا علىٰ ذلك مُدَّة مُلْكِهِم، فلمَّا جَاء الإسْلَام وافْتُتِحَت [١٥٣ظ] المُدن المُتَّصِلة ١٢ بطَبَرِسْتَان.

فكان صَاحِبُ طَبَرِسْتَان يُصَالِح علىٰ الشَّيءِ اليَسِير، فيُقْبل منه لصُعُوبة المَسَلِك وشِدَّة جِبَاله وعِقَابه وخشُونَته[١]، فلم يزَل الأمْرُ كذلك حتىٰ ولَّىٰ (*عُثْمَان بن عفَّان ١٥ رضي الله عنه سَعِيدَ بن العَاص بن أُميَّة[٢] الكُوفَة سنة تِسْعٍ وعِشْرين، فكتَب إليه مَرْزُبَان

(* من هنا يبدأ التطابق بين المصنف وكتاب "فتوح البلدان"، قارن: البلاذري، ص٤٦٧-٤٧٥.

[١] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤، ص١٥.

[٢] تقدمت ترجمته ص١٠١.

طُوس وإلىٰ عَبْد الله بن عَامِر بن كُرِيْز بن رَبِيعَة [بن] حَبِيب بن عَبْد شَمْس[١] وهو يومئذ علىٰ البَصْرَة يَدْعُوهُما إلىٰ خُرَاسَان علىٰ أنْ يُملِّك عليها من غَلبَ وظَفَر فخَرَجَا جميعًا يُرِيدَانِها فسَبقَ ابن عَامِر وغَزا سَعِيد طَبَرِسْتَان ومعَهُ في غزاته -فيما يقال- الحَسَن والحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد قِيل أيضًا أنَّ سَعِيدًا غزَاها بغَير كِتابٍ أتَاه من أحَدٍ، بل سَار إليها من الكُوفَة ففتَحَ طَمِيسَة ونَامِية وهي قَرْيَة، وصَالَح ملِكَ جُرْجَان علىٰ مائَتِي ألْفِ دِرْهمٍ بغْلِيَّة وافِية. فكان يؤدِّيها إلىٰ [غُزَاة] [a] المُسْلِمين.

وافتتح أيضًا من طَبَرِسْتَان الرُّويَان ودُنْبَاوَنْد وأعْطَاه أهْل الجِبَالِ مَالًا؛ ثمَّ ولِيَ مُعَاوِية ـ رَحْمَةُ الله عليه ـ فولَّىٰ طَبَرِسْتَان مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة، أحَد بنِي ثَعْلَبة[b] بن شَيْبَان بن ثَعْلَبَة بن عُكَّابة[٢] فسَارَ إليها ومعَه عِشْرُون ألْف رَجُلٍ، فأوْغَل في البَلدِ يَقْتُل ويَسْبِي فلمَّا تَجاوَز المَضَايق والعِقَاب أخذَها عليه وعلىٰ جَيْشِه العَدوُّ عند انْصِرافه للخُروج، ودَهْدَهُوا عليهم الصُّخُور من الجِبالِ فهَلكَ أكْثَر الجَيْشِ، وهَلكَ مَصْقَلة فضَرب النَّاس فيه المَثل إذا ذَكَروا الشَّيء المُمْتَنِع أن يكون قالوا: لا يَكُون هذا حتَّىٰ يَرْجِع مَصْقَلَة من طَبَرِسْتَان.

[a] التتمة من البلاذري، وياقوت.

[b] رسمت في الأصل: تغلب.

[١] مرت ترجمته ص١٥٥.

[٢] قُتل بطبرستان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م.

وكان المُسْلِمُون بعد ذلك يغْزُون هذا الثَّغْر وهم حَذِرُون من التَوغُّل [a) [في أَرْضِ العدو] a) حتَّىٰ وليَ يَزِيد بن المُهَلَّب[١] خُرَاسَان وسَار يزيد [إلىٰ] طَبَرِسْتَان

٣ واسْتَجاشَ إصْبَهْبَذ الدَّيْلَم فأَنْجَدُوه، فقَاتَلهُ يَزِيد ثمَّ صَالحَهُ علىٰ أرْبعَةِ آلَافِ أَلْف دِرْهَمٍ وسَبعَمِائة أَلْفِ دِرْهَمٍ مثَاقِيل في كلِّ سنَة، وأرْبعَمِائة وقْرِ زَعْفَران، وأنْ يوجِّهُوا في كلِّ سنةٍ أَرْبعَمائِة رَجُلٍ علىٰ رَأْسِ كلّ رجُلٍ تُرْسٌ وجَامُ فِضَّةٍ ونُمْرقَةُ حَرِير قال:

٦ وفتح يَزِيد الرُّويَان ودُنْبَاوَنْد.

قال: ولم يزل أهْل [١٥٤و] طَبَرِسْتَان يؤدُّون هذا الصُّلْح مرَّةً ويمْتَنِعُون أخْرَىٰ ويحَارِبُون ويسَالِمون، فلما كان أيَّام مَروَان بن مُحمَّد، غَدرُوا ونقَضُوا ومنَعُوا ما كَانوا

٩ يَحمِلُونه. فلمَّا صَارت الخِلَافَة إلىٰ أبي العبَّاس [b) [وجَّه إليهم عَامِلًا فصَالحُوه علىٰ مَالٍ، ثمَّ غَدرُوا] b) وقتَلُوا المُسْلِمين وذلك في خِلَافة المَنْصُور فوجَّه إليهم خَازِم بن خُزَيْمَة التَّميمِيَّ[٢] ورَوْح بن حَاتِم المُهَلَّبيَّ[٣] ومعهما مَرْزُوق أبو الخَصِيب[٤].

(a -a) ساقطة من الأصل. والتتمة من البلاذري، وياقوت.

(b - b) ساقطة من الأصل. والتتمة من البلاذري، وياقوت.

---

[١] مرت ترجمته ص١٨٤.

[٢] خازم بن خزيمة التميمي، أبو العباس. من قادة العباسيين الذين غلبوا على مرو الروذ سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م وقتل عامل نصر بن سيار عليها. ثمَّ بعثه أبو العباس السفاح سنة ١٣٤هـ/٧٥١م، إلى بسام بن إبراهيم الذي خالف وخلع الطاعة، فانهزم بسام وأصحابه وقتل أكثرهم، كما هزم الراوندية سنة ١٤١هـ/٧٥٨م.

انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٧، ص٤٦١،٣٦٠.

[٣] تقدمت ترجمته ص٢٩١.

[٤] مرزوق أبو الخصيب: مولى الخليفة العباسي المنصور، وإليه ينسب قصر أبي الخصيب بالكوفة. انظر: البلاذري: فتوح البلدان،ص٤٧٣.

فسَألهُما حين ضَاقَ عليهم الأمْرُ وصَعبُ أنْ يَضْرِباه ويَحْلِقا رَأسَهُ ولِحْيَتَهُ ليوقِع الحِيلَة علىٰ الإصْبَهْبَذ. ففعَلا ذلك وهَرب بمُواطأة منهُما إلىٰ الإصْبَهْبَذ فقال له: إنَّ

٣ هَذين الرَّجُلَين اسْتَغْشَّانِي. فإنَّهما لَمَّا أشَرتُ عليهما أنْ لَا يَقْصِدا بَلدَك وعرَّفتَهما صُعُوبة وخُشُونة طُرقِه وعِقَابه ففعَلا بي ما تَرىٰ. فإنْ قَبِلتَ انْقِطَاعِي إليك وأنْزَلتَنِي المَنْزِلة التي اسْتحقُّها منك دللْتُك علىٰ عَورَات العَرب وكُنتُ يدًّا معك عليهم.

٦ وإنْ لم تَقْبل نُصْحِي واتَّهمْتَني انْصَرفتُ عنك إلىٰ غيرك من المُلوك. فقَبِله الإصْبَهْبَذ وأحْسَنَ إليه و اسْتَخصَّه وأظْهَر الثِّقة به والمُشَاورَة له، فكان يُرِيه أنَّه له نَاصِح وعليه مُشْفِق، فلمَّا اطَّلع علىٰ أمُوره وعَورَاته كتب إلىٰ خَازِم ورَوْح بما احْتَاجَا

٩ إلىٰ مَعْرِفته واحْتَال لبَابِ القَلْعَة حتىٰ فتَحهُ[١] وأدْخَل المُسْلِمين إليها فمَلكُوها.

وكان عَمْرُو بن العَلَاء جَزَّارًا من أهْل الرَّيِّ فجَمعَ جَمْعًا وقَاتل الدَّيْلَم فأبْلَىٰ بَلاءً حسنًا فأوْفَدهُ صَاحِب الرَّيِّ[a] إلىٰ المَنْصُور فقَوَّده[وجيَّشه][b] وجعَل له مَنْزِلة

١٢ وترَاقَت به الأمُور حتىٰ ولِّي طَبَرِسْتَان واسْتُشْهِد في خِلَافة المَهْدِي.

ثمَّ افْتتَح مُحمَّد بن مُوسَىٰ بن حَفْصٍ بن العلَاء، ومَازَيَار بن قَارَن جبَال شَرْوِين من طَبَرِسْتَان وهي من أمْنَع الجِبال وأصْعَبها وأكْثَرها شَجرًا وغِياضًا، وكان فتْحُهُما

١٥ إيَّاها في أيّامِ المَأْمُون. فقَلَّد المَأْمُون حين ذلك مَازَيَار: طَبَرِسْتَان والرُّويَان ودُنْبَاوَنْد، وسمَّاه مُحَمَّدًا وجعَل له مرْتَبة الإصْبَهْبَذ.

---

[a] في البلاذري، وياقوت بزيادة: "جهور بن مرار العجلي".

[b] زيادة من: البلاذري: فتوح.

---

[١] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥١٢.

فلم يزل واليًا عليها حتىٰ تُوفِّي المَأْمُون واسْتُخْلِف المُعْتَصِمُ فأَقَرَّهُ عليها ولم يعزله عنها، فأَقَام علىٰ الطَّاعَة مُدة ثمَّ غَدر وخَالَف وذلك [١٥٤ظ] بعد سِتِّ سِنِينَ [وأشْهُرٍ] [a] من خِلاَفَة المُعْتَصِم [١].

فكتَب المُعْتَصِم إلىٰ عَبْد الله بن طَاهِرٍ [٢] ـ وهو عَامِلُهُ علىٰ خُرَاسَان والرَّيِّ وقُومِس وجُرْجَان ـ ويَأمُرُهُ بمُحَاربَته. فوجَّه إليه عَبْدُ الله: الحَسنَ بن الحُسِين [عمه] [a] في جمَاعَةٍ من رجَال خُرَاسَان، ووجَّه المُعْتِصم مُحمَّد بن إبْرَاهِيم بن مُصْعَبٍ [٣] في خَلْقٍ من جُنْدِ الحَضْرةِ.

فلمَّا قصَدتهُ العَسَاكِر خَرَج إلىٰ الحَسَن بن الحُسين بغَير عَهْدٍ ولا عَقْدٍ، فأَخَذهُ وحملهُ إلىٰ سُرَّمَرَّىٰ في سنَةِ خَمْسٍ وعِشْرين ومائَتيْنِ فضُرِب بالسِّياط بين يَدي المُعْتَصِم حتىٰ مَات، وصُلِبَ في سنَةِ خَمْسٍ وعِشْرِين ومائَتيْنِ مع بَابك علىٰ العَقَبةِ التي بحَضْرَة مَجْلِس الشُّرْطَة.

---

[a] زيادة من: البلاذري: فتوح.

---

[١] قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٧٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ١٥.

[٢] عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، أبو العباس. أمير خراسان، من أشهر الولاة في العصر العباسي، ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخُرَاسَان والريّ والسواد وما يتصل بتلك الأطراف، وتوفي بنيسابور سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص١٦٢–١٦٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص١١٥–١١٨.

[٣] محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زُريق، صاحب شرطة المعتصم، بعد أخيه إسحاق بن إبراهيم. توفي سنة، ٢٣٦هـ/٨٥١م. انظر في أخباره: الطبري: المصدر السابق، ج٩، ص١٨٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص ٢٤٠.

وافْتُتِحت طَبَرِسْتَان وتقَلَّدها عَبْد الله بن طَاهِرٍ، وطَاهِر بن عَبْد الله بَعْده*)[١].

وكان صَاحِبُها قبل ذلك في أيَّام المُنْصور وبَعْدَها، إذا أحسَّ من عَامل خُرَاسَان

٣ بضَعْفٍ لم يطِعهُ ولم يُعْطِه الصُّلْح الذي فُورِق عليه.

فلمَّا قتَل المَنْصُور أبا مُسْلِمٍ وفعَل تلْكَ الأفْعَال، هَابهُ إصْبَهْبَذ خُرَاسَان وكَتبَ إليه بالطَّاعَة ووجَّه رسُولَه بالهدايَا، فقَبِل المَنْصُور ذلك منه وبرَّ رسُوله وألْطَفهُ وأقَام

٦ بالحَضْرَة يكَاتِب صَاحِبه بما يَحْتَاج إلى عمله.

وكان الإصْبَهْبَذ يُوجِّه بالهدايا والألْطَاف في النَّيْرُوز والمِهْرجَان[٢]، وطَالَتْ أيَّام المَنْصُور على الإصْبَهْبَذ فكَتب إلى رَسُوله بالانْصِراف إليه، وأمْسَك أنْ يبْعَث بما كان

٩ به من الهَدايَا، فلمَّا خَالَف (a عَبْدُ الجَبَّار بن عبد الرَّحْمَن a)[٣] على المنصور وجَّهَ إليه أبَا عَوْنٍ القَائِد[٤] ومعه أبو الخَصِيب[٥]، فلمَّا ظفَرا بعَبْدِ الجَبَّار وأَسَراه.

(a-a) في الأصل: عبد الرحمن بن عبد الجبار.

*) إلى هنا ينتهي التطابق بين المصنف وكتاب "فتوح البلدان" للبلاذري ص٤٦٧-٤٧٥.

[١] قارن مادة طبرستان لدى البلاذري: في كتابه الموسوم فتوح البلدان: ص٤٦٧-٤٧٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٥-٦١.

[٢] النَّيْرُوز والمهرجان: من أعياد الفرس. انظر فيما تقدم ص٢١٠.

[٣] عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزْدي، أمير من الشجعان الأشدّاء الجبارين. ولاه المنصور على شرطة خراسان، ثمَّ خلع الطاعة وخالف المنصور، فظفر به وقتله سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م. انظر في أخباره:- اليعقوبي: البلدان، ص٤٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٨٨.

[٤] انظر فيما تقدم ص٢٧٦.

[٥] انظر فيما تقدم ص٢٩١.

كتَب المَنْصُور إلى أبِي الخَصِيب بولايته قُومِس وجُرجَان وطَبَرِسْتَان وأمَرهُ أنْ يَدْخُل عن طَرِيق جُرْجَان. وكتَب إلى أبي عَوْنٍ أن يَسِير إلى طَبَرِسْتَان ويكون دخولَه
٣ من طَرِيقِ قُومِس(a [وتواعدَا لدخُول البَلَدِ من الوَجْهَينِ] a)[١].

وكان الإصْبَهْبَذ في مدِينةٍ يقال لها الإصْبَهْبَذان بينها وبين البَحْر أقَلُّ من ميْلين، فبَلَغَهُ خَبر الجَيْشِ فهَرب إلى الجَبَل إلى مَوْضِعٍ يقال له الطَّاق. وهذا المَوْضِع كان في
٦ القَدِيم [١٥٥و] خزانةً لمُلُوكِ الفُرْسِ، وكان أوَّل من اتَّخذ خَزانَة مَنُوجِهْر(b) وهو نَقْبٌ في مَوْضعٍ من جَبلٍ صَعب السُّلوكِ لَا يَجوزُه إلَّا الرَّاجِل بجَهْدٍ.

وهذا النَّقبُ شَبيهٌ بالبَابِ الصَّغِير، فإذا دخَلهُ الإنْسَان مَشَي فيه [نحوًا] من مَيلٍ
٩ في ظُلْمةٍ شَدِيدةٍ، ثمَّ يَخْرُج إلى مَوْضعٍ واسِعٍ شَبِيه بالمَدِينة قد أحَاطَت بها الجِبَال من كلِّ جَانب. وهي جِبالٌ لا يُمْكِن أحَد الصُّعُودُ إلى أقلِّها ارْتِفَاعًا، ولو اسْتَوى له ذلك ما قَدر على النُّزولِ[٢].

١٢ وفي هذه الرَّحْبَةِ الوَاسِعةِ مغَائِرُ وكهُوفٌ لا يُلْحَقُ أمدُ بعضها، وفي وسَطِها عَينٌ غَزِيرةُ الماءِ تَنْبُع من صَخْرةٍ ويغُور مَاؤهَا في صَخْرةٍ أخرى، بينهما نحو العَشْرةَ أذْرُعٍ ولا يَعْرفُ أحد لمَائِها بعد هذا مَوْضِعًا.

(a-a) التتمة من المختصر.

(b) كما في الأصل، وفي المختصر، وياقوت: منوشهر.

---

[١] قارن: مختصر الكتاب، ص٣١٠.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: الطاق] ج٤، ص٦.

وكان في أَيَّامِ ملُوك الفُرْسِ يَحفَظ هذا النَّقبَ رجُلَان معهما سُلَّم من حَبلٍ يدَلُّونه من المَوْضِع إذا أرَاد أحَدهما النُّزولَ في الدَّهْر الطَّويل، وعندهما جَمِيعُ ما ٣ يَحْتاجَان إليه لسِنين كَثيرة.

فلم يَزل الأمْرُ في هذا النَّقبُ وهذه الخزَانة علىٰ ما ذكَرنا، إلىٰ أنْ ملكَ العَرب فحاولُوا الصُّعُود إليها فتَعذَّر ذلك، ولم يَقْدِروا عليه إلىٰ أن ولي المَازَيَار طَبَرِسْتَان ٦ فقَصدَ هذا المكَان وأقَامَ عليه دَهْرًا حتَّىٰ اسْتَوىٰ له صعُود رَجلٍ من أصْحَابهِ إليه.

فلمَّا صَار إليه دلَّىٰ حِبالًا وأصْعَد قَوْمًا فيهم المَازَيَار حتىٰ وقَف علىٰ ما في تِلْكَ الكُهُوفِ والمغَائِر من الأمْوَالِ والسِّلاحِ والكُنُوز، فوكَّل بجَمِيع ذلك قومًا من ثِقَاتِهِ ٩ وانْصَرف. فكان المَوْضِع في يَدهِ إلىٰ أن أُسِر ونزَل الموكَّلُون به أو مَاتُوا وانْقَطعَ السَّبِيلُ إليه إلىٰ هذه الغَايةِ.

وذكر سُلَيْمانَ بن عَبْد الله[1]: أنَّ إلىٰ جَانِب هذا الطَّاق شَبيهًا بالدُّكَان وأنَّه إنْ ١٢ صَارَ إليه إنْسَان فلْطَخهُ بعذرَةٍ أو بشَيءٍ من سَائِر الأقْذَار، ارْتفعَت في الوَقْت سحَابة عظِيمة فمطَرت عليه حتَّىٰ تغْسِله وتُنظِّفه وتُزيل ذلك القَذر عنه.

وإنَّ ذلك مَشْهُور في البَلدِ يعْرِفه أهْله ولَا يتَمارَىٰ إنْسَان من أهْلِ تلك النَّاحِية ١٥ في صِحَّته، وأنَّه لا يَبْقَىٰ عليه شيء من الأقْذَار صَيفًا ولا شِتَاءً [١٥٥ظ][2].

[1] سليمان بن عبد الله بن طاهر. تقدمت ترجمته ص٣٣٣.

[2] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: الطاق] ج٤، ص٦.

قال: ولَمَّا هربَ الإصْبَهْبَذ إلىٰ الطَّاقِ وجَّه أبو الخَصِيب في أثَـرِهِ قـوَّادًا وجُنْـدًا، فلمَّا أُخْبِر بهم هربَ إلىٰ الدَّيْلَم وعَاشَ بعد هَزِيمَتهِ سنة ثمَّ مَات.

٣ وأقام أبو الخَصِيب في البَلدِ ووضَع علىٰ أهْلـهِ الخَـراج والجِزْيـة وجعَـل مقامـه بسَارِيَة وبنىٰ بها مَسْجِدًا جَامِعًا وجعَـل فيـه مِنْـبرًا، وكـذلك بآمُـل أيضًـا، وكانـت ولَايَته سَنتَيْن وسِتَّة أشْهُرٍ[١].

٦



(a - a) ساقطة من الأصل: والتتمة من المختصر.

[١] نقل ياقوت الحموي: في معجمه كثير من الأخبار السابقة نقلًا حرفيًّا من ابن الفقيه. قارن: [مادة: الطاق]، ج٤، ص٦.

[ذِكْر ولَاة طَبَـرِسْتَان]

٣ ثمَّ وليَ أبو العبَّاس الطُّوسِي[١] سنتَيْن، ثمَّ أبو خُزَيْمَة[٢] سنَتَيْنِ، ثمَّ رَوْحُ بن حَاتِم[٣] سنَتَيْنِ وسِتَّـة أشْهُرٍ. ثمَّ خَالِدُ بن بَرْمَك[٤] خَمْس سنِين، [a] [وعَمِل بها العجَائِب وظَفَرَ بخَزائِن مُلُوك فَارِس في الطَّاقِ وبنَات المَصْمُغَان][a].

٦ ثمَّ عَمْرو بن العَلَاء[٥] أرْبع سنِين، ثمَّ سَعِيد بن دَعْلَجٍ[٦] سنَتَيْن. ثمَّ عَمْرُو بن العَلَاء ثانيةً سنَتَيْنِ، ثمَّ تَمِيم بن سَعِيد[b] ثَلَاث سِنين[٧]، ثمَّ يَزِيد بن مَزِيد[c] [٨]، سَنة وأرْبَعة أشْهرٍ.

٩

(a-a) ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر. (b) في الأصل: سنان. (c) في الأصل: يزيد.

[١] انظر فيما تقدم ص٢٣٩.

[٢] مرت ترجمته ص٧٣٠.

[٣] تقدم ذكره ص٢٩١.

[٤] راجع ما تقدم ص٢٤٨.

[٥] انظر فيما تقدم ص٧٢٨-٧٣٢.

[٦] سعيد بن دعلج. ولَّاه الخليفة المهدي على الرويان وطبرستان في سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٤٣-١٤٩.

[٧] تميم بن سعيد بن دعلج. من ولاة العباسيين. تولى سجستان وطبرستان خلفا لأبيه في عهد الخليفة المهدي. انظر: خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص٤٤٦؛ الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص١٦٣.

[٨] يزيد بن مزيد بن زائدة بن عبد الله بن عمرو الشّيباني، أحد القادة الشجعان الأجواد، تولى أرمينية للخليفة المنصور. انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٤١٣-٤١٤؛ الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٢٦١-٣٥٣.

ثمَّ سَعِيد الحَرْشِي[١] ستَّة أشْهُرٍ، ثمَّ مُقَاتِل بن صَالِح[٢] سَنةً، ثمَّ سلَم بن نَافِع ستَّة أشْهُرٍ، ثمَّ جَرِير بن سِنَان أرْبَع سِنِين وأرْبَعة أشْهُرٍ، ثمَّ سُلَيْمان بن دَاود أرْبَعة أشْهرٍ، ثمَّ هَانِئ بْنِ هَانِئٍ سَنتَيْنِ[٣]، ثمَّ حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبَة سنَة وسِتَّة أشْهرٍ[٤]. ٣

ثمَّ مُقَاتِل بن صَالِح ثَانِيةً، ستَّة أشْهرٍ، ثمَّ إبْرَاهِيم بن عُثْمان[٥] ستَّة أشْهُرٍ، ثمَّ سَعِيد بن سَلم سِتَّة أشْهُرٍ، ثمَّ سَعِيد[a] بن دَعْلَج سِتَّة أشْهرٍ، ثمَّ حمَّاد بن عَبْد العَزِيز سِتَّة أشْهرٍ، ثمَّ (b)المُثَنَّىٰ بن الحجَّاج بن عَبْد المَلِك بن القَعْقَاع(b)[٦] سِتَّة أشْهرٍ. ٦

ثمَّ يَحْيَىٰ بن مُعَاذ[٧]، تِسْعَة أشْهرٍ، ثمَّ مُوسَىٰ بن يَحْيَىٰ[٨] تِسْعَة أشْهرٍ، ثمَّ عَبْد الله بن خَازِم[٩] سَنة وسِتَّة أشْهرٍ.

(a) في الأصل: الجنيد. والتصويب من الطبري: تاريخ.

(b-b) في الطبري: «... فولى المثنى بْن الحجاج بْن قتيبة بْن مسلم طبرستان...».

---

[١] انظر ترجمته فيما تقدم ص٧٢٣.

[٢] مقاتل بن صالح، مولى الخليفة العباسي المهدي. انظر: الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، ج٣، ص١٩٥٣.

[٣] لم أقف لهم على ترجمة.

[٤] مرت ترجمته ص٢٧٤.

[٥] إبراهيم بن عثمان بن نهيك. انظر فيما تقدم ص٢٧٥.

[٦] راجع: الطبري، المصدر السابق، ج٨، ٢٢٣.

[٧] يحيى بن معاذ، من أهل الري، أحد ولاة الرشيد ثم المأمون، وتوفي سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م. انظر: الطبري: تاريخ، ج٨، ص٣٢٣-٣٣٩؛ ٥٨٠-٥٨١.

[٨] موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، ولاه المأمون على السند. وتوفي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦. انظر: الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٢٥١-٢٩٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٦، ص١٩٥-١٩٩.

[٩] راجع ما تقدم ص١٩٦.

ثمَّ سعيد الجوهري سنة، ثمَّ مِهْرَوِيْه[١] سَنتَيْن، ثمَّ عَبْد الله بن خَازِم[a] ثَلاث سنِين، ثمَّ عَبْد الله بن مَالِك[٢] أرْبَع سِنين، ثمَّ مُوسَىٰ بن جَعْفَر سنتين، ثمَّ عَبْد الله بن مُحَمَّد ثَلاث سِنين وثَلاثَة أشْهرٍ، ثمَّ عبد الله بن خُرَّداذْبه سَنةً وسِتَّة أشهرٍ.

ثمَّ عَبْد الله بن سَعِيد[٣] سنَتِين، ثمَّ مُحمَّد بن مُوسَىٰ[٤] سنَتين، ثمَّ طَاهِر بن الحُسَيْن[٥]، ثمَّ عَبْد الله بن طَاهِر[٦]، ثمَّ طَاهِر بن عَبْد الله [١٥٦و] ثمَّ مُحمَّد بن طَاهِر[٧] وكان خَليفَتهُ عليها سُلَيْمان بن عَبْد الله بن طَاهِرٍ[٨] فخَرجَ عليه الحَسَن بن زَيدٍ العَلَّوي الحَسنِي في سنة تِسْعٍ وأرْبَعِين ومَائتِين، فأخْرجَهُ عنها وغَلبَ عليها إلى أن مَاتَ وقَام مكَانه أخُوه مُحَمَّد بن زَيد[٩].

---

[a] في الأصل: الحزمي.

---

[١] مرت أخباره فيما تقدم ص٣٠٥.

[٢] عبد الله بن مالك الخزاعي، أحد رجال الدولة العباسية، ولي خُرَاسَان لأبي جعفر المنصور، كما تقلد ديوان الشرطة للرشيد. انظر: تاريخ خليفة بن خياط ، ص٤٢٣-٤٧٤.

[٣] عبد الله بْن سعيد الحرشي، تولى طبرستان من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد، وذلك بعد أن قتل أهلها مهرويه الرازي سنة ١٥٨ه/ ٧٧٥م. انظر في أخباره: الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٢٧٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص١٠٣.

[٤] محمد بن موسى بن حفص بن عمرو بن العلاء. والي طبرستان. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٧٢؛ الطبري: المصدر السابق، ج٩، ص٩٠-٩٥.

[٥] انظر ترجمته فيما تقدم ص٢٤٧.

[٦] راجع ما تقدم ص٢٧٦.

[٧] انظر ترجمته فيما تقدم ص٢٥٢.

[٨] تقدمت ترجمته ص٣٣٣.

[٩] راجع ما تقدم ص٤٥٢.

وذكَر أبو زَيد بن أبي عتَّاب[١] قال: رَأيتُ فيَّما يرىٰ النَّائِم سَنة ثَمانٍ وأرْبَعِين ومَائتِين وأنا بمَدينة الرَّيِّ، وقد بِتْنَا علىٰ فِكْرٍ من الاخْتِلافِ بين القَائِلين بالسَّيفِ وبين أصْحَابِ الإمَامةَ.

فقال القَائِلُ منَّا: قد قال أمِيرُ المُؤْمنِين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخَيْـرُ بالسَّيفِ والخَيْـرُ في السَّيفِ والخَيْـرُ مع السَّيفِ، فأجَابه مُجِيبٌ: والدِّينُ بالسَّيْفِ وقد أمَر الله عَزَّ وَجَلَّ نَبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يُقِيمَ الدِّين بالسَّيف، ثمَّ تفرَّقنا، فلما كان اللَّيلُ وأخَذْتُ مَضْجَعِي من النَّومِ رأيتُ في منَامِي كأنَّ قَائِلًا يقول(شعر):

[البسيط]

هذا ابْنُ زَيْدٍ أتَاكُم قَائِدًا ... يُقِيمُ بالسَّيفِ دِينًا واهِي العُمِدِ
يثُور بالشَّرقِ في شَعْبَان ... سَيفَ النَّبيِّ صَفيِّ الواحِد الصَّمَدِ
فيفْتَحُ السَّهْلَ والأجْبَال ... من الكَلارِ إلىٰ جُرْجَان فالجَلَدِ
وآمُلًا ثمَّ شالوسًا وبحْرِهَما ... إلىٰ الجزَائِر من رُوْيَان فالبَلَدِ
[a) [ويَصْرِفُ الخَيْل عنها بعد ... من السِّنِين إلىٰ الزَّوْرَاءِ بالعَمدِ
فيَهْدِم السُّور منها ثمَّ يَنْهَبُهَا ... ويقْصِدُ الثَّغْر من قَزْوِينَ بالحَـرَدِ] (a)[٢]
ويَمْلِكُ القُطْرَ من حَرْشَاء ... ما لَاحَ في الجَوِّ نَجْمٌ آخرَ الأبَدِ

(a-a) ساقطة من الأصل، والتتمة من: المختصر، القزويني: التدوين في أخبار قزوين.

[١] لم أقف له على ترجمه. وقارن الخبر لدى ياقوت الحموي: في معجم البلدان، [مادة: كلار]، ج٤، ص٤٧٤، القزويني، التدوين في أخبار قزوين،ج٢، ص٤١٠.

[٢] قارن: القزويني: التدوين في أخبار قزوين، ج٢، ص ٤١١.

قال: فورَدَ مُحمَّد بن رُسْتُم الكَلَارِيُّ[١] ومُحمَّد بن شَهْرَيَار الرُّوْيانِيُّ[٢] الرَّيَّ في سَنةِ خَمْسِينَ ومائَتيْنِ- وكانا يَريَان السَّيف- فطَلَبا بها رَجُلًا من العَلويَّة يَجْعلَانه شَيْخًا ٣ يُقِيمانهُ بطَبَرِسْتَان ليَدْفعَا جَوْرَ سُلَيْمان بن عَبْد الله[٣]. فما زالَا يَطْلُبان ويلْتمِسَان حتىٰ وقع اخْتيَارُهُما علىٰ الحَسنِ بن زَيْد الحَسَنِيّ ﷺ.

فبايعَاه في شَهْرِ رمَضَان من هذه السَّنةِ، وخَرجَا يوم الاثْنَيْنِ لسَبعٍ بقَينَ من شَهْرِ ٦ رمَضَان سَنةِ خَمْسِين ومِائتَيْن نحو طَبَرِسْتَان. فخُطِبَ للحَسنِ بن زَيدٍ يَوْم الفِطْر بالكَلار والرُّويَان ثمَّ أخْرَج بعد مُدَيْدَةٍ يسِيرةٍ سُلَيْمان بن عَبْد الله [١٥٦ظ] عن البَلدِ لسُوءِ سِيرته.

٩ واضْطَربَ أمْرُ آلِ طَاهرٍ بخُرَاسَان، واعْتلَّ الحَسنُ بن زَيدٍ، فلمَّا حضَرته الوَفَاة جعَل الأمْرُ من بعده لأخِيهِ مُحمَّد بن زَيدٍ، فلمْ يزل عليها حتىٰ دخَلتْ سنة أَرْبَعٍ وثَمانِين، وكان المُعْتَضِد كتَب إلىٰ عَمْرو بن اللَّيْثِ بن الصَّفَّار[٤] يأمُرهُ المَسير إلىٰ ١٢ خُرَاسَان.

---

[١] محمد بن رستم الكلاري: من أبناء رستم الكلاري صاحب ثغور طبرستان، ومن الذين ساهموا في إقامة- الدولة الزيدية- دولة الحسن بن زيد، ودبر له أمره.

انظر حوداث سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م لدى: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٠٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠١-٢٠٦؛ الاسفنديارى: تاريخ طبرستان، ص ٢٣٦-٢٣٧- ٢٨١.

[٢] محمد بن شهريار الروياني: أحد الذين بايعوا الحسن بن زيد وقدم به إلى جبال طبرستان، فكانت الدولة الزيدية فيما بعد.

[٣] سليمان بن عبد الله بن طاهر، تقدمت ترجمته ص٣٣٣.

[٤] راجع ترجمته ص٤٧٣.

ويَطْلُب رَافِع بن هَرْثَمة[١] الذي بَلغَهُ من مَيْله إلىٰ مُحَمَّد بن زَيْدٍ علىٰ أن يتبعه [a]، فصَار إلىٰ خُرَاسَان ولَقِي رَافِعَ بن هَرْثَمة فَأَوْقَع به وهَزمهُ وأَخَذَه قَريبًا من خُوارِزْم فقتَلهُ وحَمَل رَأسَهُ إلىٰ مَدِينة السَّلام وصَارَت خُرَاسَان للصَّفَّار.

فلمَّا كان في سنة خَمْسٍ وثَمانِين ومِائتَين، كتبَ المُعْتَضِد إلىٰ الصَّفَّار يَأمُره بطَلب إسْمَاعِيل بن أحمد[٢] ويقَول في كِتابه أن قد ولَّيْـتُك[ما] إليه من العَمل، وكَتب إلىٰ إسْماعِيل بمِثْل ذلك.

فسَار كلٌّ منهُما إلىٰ صَاحِبه والْتَقُوا بناحية نَسَا وأبِيوَرْد فقُتِل بينهُما خَلْقٌ كَثِيرٌ وانْصَرفَ كلُّ واحدٍ منهُما إلىٰ بَلده. حتىٰ إذا دخَلت سنة سَبْعٍ وثَمانِين ومِائَتين سَار إسْمَاعِيل بن أحمَد نحو الصَّفَّار وعَبر النَّهر يُريده- والصَّفَّار في زهَاء مِائةِ أَلْفِ رجُلٍ مقِيم بمَدِينة بَلْخ- فنزلَ إسْماعِيل علىٰ بَابِ المَدِينة وحَاصَره فيها. فلمَّا أجْهَدهُ الحِصَار وضَاقت عليه وعلىٰ أصْحَابِه المِيرة والعُلوفَة، خرج إليه، فلمَّا الْتَقيا انْهزَمت خَيلُ الصَّفَّار، وأُخِذَ الصَّفَّارُ أسِيرًا مع جماعة من وجُوهِ قُوَّادِه فحُمِل إلىٰ مدينة سَمرْقَنْد وحُبس هناك [b][ثمَّ بُعِثَ به إلىٰ بَغْدَاد][b][٣].

---

[a] رسمت في الأصل: يبيض. [b-b] التتمة من المختصر.

---

[١] انظر ترجمته فيما تقدم ص٦٨٠.

[٢] إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان، أبو إبراهيم: ثاني أمراء الدولة السامانية ببخارى، أقره المعتضد العباسي على خُرَاسَان وما وراء النهر، وتوفي ببخارى سنة ٢٩٥هـ/ ٧٤٨. انظر في ترجمته وأخباره: النرشخي: تاريخ بخارى، ترجمة وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م. ص ١٠٧-١٢٥.

[٣] انظر مختصر الكتاب ص٣١٢-٣١٣.

واتَّصلَ الخَبَرُ بمُحَمَّدٍ بن زَيد وهو بطَبَرِسْتَان، فطَمعَ في جُرْجَان وسَار نحْوهَا ونزلَ عليها، فرَدَّ إليه إسْمَاعيلُ رجُلًا من قوَّادِه يعْرَف بمُحَمدٍ بن هارُون[١] فواقعَهُ

٣ علىٰ بَابِ مدِينة جُرْجَان فهَزمهُ وقُتل خَلْقًا من أصْحَابه.

ووجِدَ مُحَمَّد بن زَيدٍ قَتِيلًا، وأُسِر ابنه زَيْد [a)] [وذلَك يَوْم الجُمْعَة لخَمْسٍ خلَونَ من شوَّالٍ سَنةِ سَبْعٍ وثَمانِين ومِائتَين] [a)] ولم يَرُدَّ أصْحَابُه من الهَزيمةِ شيءٌ حتىٰ وافَوْا

٦ طَبَرِسْتَان، فلمَّا اجْتَمعُوا بها تشَاوَرُوا واتَّفق رَأيهم علىٰ أنْ يَجْعَلوا الأمْرَ للمَهْدِيِّ زَيْد بن مُحمّد، وهو يوْمَئِذ صَبيٌّ لم يَبْلُغ [١٥٧و] .

وعمدوا أنْ يفْعَلُوا ذلك يوم الجُمْعَة، ونَادُوا في النَّاسِ أنْ يَجْتَمِعُوا للبَيعَةِ. وكان

٩ في القُوَّادِ رجُلٌ يعرف بالزَّرَّاد قد طَابقَهم علىٰ ما أجْمَعُوا عليه، فلمَّا قَربُوا من بابِ المَسْجِد نشَر الزَّرَّاد أعْلامًا سَوْدَاء ووضَع في أصْحَاب مُحَمَّد بن زَيدٍ السَّيف فقَتلَ منهُم خَلْقًا. وخطَب للمُعْتَضِد بالله علىٰ منَابِر طَبَرِسْتَان وذلك في ذِي القِعْدَة سنة

١٢ سَبْعٍ وثمانِينَ ومائتَين. فكان بين أوَّل ولَايَتِهم إلىٰ أنْ أُخْرِجت عنهم [b)] سبعٌ وعشْرون سَنة [b)] [٢].

[a - a)] ساقطة من الأصل، والتكملة من المختصر.

[b - b)] في المختصر: ثمان وثلاثون سنة.

---

[١] محمد بن هارون: كان خليفة لرافع بن هرثمة أيام ولايته على خراسان، وانتدبه إسماعيل بن أحمد الساماني لقتال محمد بن زيد الحسني. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٨١-٨٩، مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٥، ص١٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥١٣- ٥١٤.

[٢] انظر مختصر الكتاب ص٣١٣.

٣ ## [من عجَائِب طَبَـرْسَتان]

قالوا: ومن عجَائِب طَبَرِسْتَان دُوَيْبَةٌ سَوْدَاء بَـرَّاقَة تظهَر في أيَّامِ العِنبِ فقط، وتكُون في عنَاقِيده قَدْرهَا دُون الخِنْصِر طُولًا وفوق الخَيط الدَّقِيق جِسْمًا فيها خطُوطٌ ٦ بِيضٌ يُسمِّيها النَّاسُ ذَاتَ ألْفِ قَائِمَةٍ. ولها قَوائِم دِقَاقٌ قِصَار نَابِتة علىٰ بطْنِها في صُفوفٍ فإذا تَحَرَّكت فكأنَّها أمْوَاج [تضطرب][a] [١].

وتذْكُر النِّساءُ أنَّ من شَرِبَ شيئًا منها منعَها عن الحَبَل. وبطَبَرِسْتَان أيضًا دَابَةٌ ٩ في عِظَمِ الثَّعْلب لها شَعْرٌ كَشعِرِ الدَّلَق وجِنَاحَان لاصِقَان بها كأجْنِحَة الخُفَّاش ولها أنْيَاب وطَعَامُها الثَّمر، تطِير من شَجَرةٍ إلىٰ شَجرةٍ كما يطِيرُ الطَّائِر [٢].

قال: وأخبرني سُلَيْمَان بن يَحْيَىٰ بن معاذ[b] [٣] أنَّه رَأىٰ ثَعْلبًا حُمِلَ من خُرَاسَان إلىٰ ١٢ المُتوكِّل له جنَاحَان يطِير بهما.

[a] زيادة من المختصر. وفي المقدسي: إذا تحركت تختالها أمواجًا تظهر من عناقيد العنب.

[b] في الأصل بن سلمة. والصواب ما أثبت في النص.

[١] انظر مختصر الكتاب ص٣١٣.

[٢] انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٦٨.

[٣] سليمان بن يحيى بن معاذ، أحد قواد المتوكل، أقره المتوكل على الحرس، وتوفي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص٩٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٢، ص٤٠١.

وقال عَليٌّ بن ربَّن كاتب المَازَيَار[١]: بطَبَرِسْتَان طَائِرٌ يسَمُّونه ككَو يظهَر أيَّام الرَّبيع، فإذا ظَهر تَبِعهُ جِنْسٌ من العصَافِير مُوشَّاة الرِّيش، فيَخْدَمهُ كلَّ يَوْمٍ واحدٌ
٣ منها نهَارهُ أجْمَع، يجِيئهُ بالغَذَاءِ ويزقه بها، فإذا كَانَ في آخِر النَّهار وثَب [علىٰ ذلك][a] العُصْفُور فأكَلهُ.

حتىٰ إذا أصْبَح وصَاح جَاءهُ آخَر من تِلْكَ العصَافِير، وكان معَهُ علىٰ [ما
٦ ذكرنا][a] حتىٰ إذا أمْسَىٰ أكَلهُ. فلَا يَزال علىٰ هذا مُدَّة أيَّام الرَّبيع، فإذا زَالَ الرَّبيعُ فُقِد هو وسَائِر أشْكَالِه، وكذلك أيضًا ذلك الجِنْس من العَصَافِير ولا يُرَىٰ شَيءٌ من الجَمِيع إلَّا قَابل في ذلك الوَقْت. وهو طَائِرٌ في قَدْرِ الفَاخِته[٢] وذَنبه مثل ذَنبِ الببَّغَاء
٩ وفي منسَرهِ تعقِيف[b][٣].

وقد يفْعل هذا البُومُ أيضًا في الجِبَال فإنهنَّ يتَعلَّقنَ بغُصْنٍ من أغْصَان الشَّجر ثمَّ يصوِّتن [١٥٧ظ] صَوْتًا تعْرفهُ العصَافِير ـ وفي طَبْع العصَافِير مُعَادَاة البُوم ـ فإذا
١٢ سَمِعنَ ذلك الصَّوْتَ اجْتَمعْنَ ولَا يزَلْنَ يُرفْرِفنَ علىٰ البُومِ، فكلَّما أمْكنه شَيءٌ منْهنَّ وثَب فأخَذهُ وهنَّ لا يَبْرَحْنَ منَ التَّرفْرُف عليه حتىٰ يَأخُذْنَ منهنَّ ما يُرِيد. فإذا اكْتَفىٰ طَار.

---

[a] زيادة من: ياقوت.

[b] في ياقوت بزيادة: هكذا وجدته وحققته.

---

[١] انظر فيما تقدم ص٣٥٨.

[٢] الفاختة: ضرب من الحمام المطوق. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٦٥.

[٣] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،[مادة: طبرستان] ج٤، ص١٦.

قال: ووجه المنصور خَالِد بن بَرْمَك[1] إلىٰ طَبَرِسْتَان لمُحَارَبة الإصْبَهْبَذ والمَصْمُغَان[2]، وكانت الأكَاسِرةُ أيَّام هَربُوا من العِرَاق إلىٰ مَرْو وقتل يَزْدَجُرْد، أودَعُوا جَبل طَبَرِسْتَان نفِيسَ أمْوَالِهم وذخَائِرهم لصُعُوبته وشِدَّة مَسْلَكهِ وصَيَّروا ذلك في القِلَاع.

فلمَّا ظَفر خَالِد بن بَرْمَك بالجَبل ومَلكَ قِلَاعه وجَد فيها من الجَواهِر والتِّيْجَان والمَنَاطِق والسُّيوف المُكَلَّلةِ بالدُّرِ واليَاقُوت والزُّمُرُّدِ ما لَا قِيمَة له. وظفَر من ذلك أهْلُ البَلدِ شَيئًا كَثيرًا.

فلعِظَم ذلك وكَبِر خَالِد في نفُوسِهم، لأنَّه فتَح هذا الفَتْح الجَلِيل، كانوا يُصوِّرونَه علىٰ تَراسِهم ويُصوِّرونَ المجَانِيق التي كان يَرْمِيهم بها. فأما الإصْبَهْبَذ لمَّا دَامَ الحِصَار عليه شَربَ السُّمَّ وسَقَاه جَمِيع حُرمِه فمَات ومَاتُوا.

وأما المَصْمُغَان فخَرج ومعهُ نسَاؤه وسَائِر حُرمِهِ إلىٰ خَالِدٍ وجَلسَ وأجْلَسهُم حَوْلهُ علىٰ التُّراب. فرَقَّ له خَالد وأجْلَسهُ علىٰ البِسَاط وبعثَ به وبسَائِر حُرمِهِ وبنَاته إلىٰ المَنْصُور.

[1] راجع ما تقدم ص٢٤٨.

[2] الإصبهبذ: لقب ملك طبرستان؛ المصمغان: لفظ فارسية تعني: كبير المجوس.

وكانت له عِدة بنَات -وأُمهنَّ بنت الإصْبَهْبَذ- فصَارت واحِدةٌ منهنَّ إلىٰ إسْمَاعِيل بن علي[١] وأخرىٰ إلىٰ المَهْدِي، وأخرىٰ إلىٰ العبَّاس بن مُحمَّد[٢] فولدت له إبْرَاهِيم بن العبَّاس، وكانت شَكْلَة أم إبْرَاهِيم بن المُهدي[٣] فولَدت له إبْراهِيم. ٣

وكان يُسَارُ بين يَدِي خَالِد وهو بطَبَرِسْتَان بعِدَّة ألْوِية. وهو الذي بنَىٰ المَنْصُورة واتَّخذ بها سُوقًا ومَسْجِدًا جَامِعًا.



[١] إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، عم الخليفة العباسي المنصور، كان كبير القدر ولي إمرة البصرة وفارس، وتوفي سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م.انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٣١-٤٣١؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٣٧٤.

[٢] انظر فيما تقدم ص١٠٨-١٠٩.

[٣] إبراهيم بن محمد المهدي بن المنصور أمير المؤمنين، كان شديد السواد عظيم الجسم، يلقب التنين، وكان من أحسن الناس في قول الشعر، توفي بسرمرى في سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج٧، ص٦٨-٧٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٥٧-٥٦٠.

القَوْلُ في خُرَاسَان

قال دَغْفَل[1]: خرج خُرَاسَان وهَيْطَل ابنا عَالم[a]) بن سَام بن نُوح لَمَّا تبَلْبَلَتِ

٣ الأَلْسُن [ببَابِل][b])، فنزلَ كلُّ واحِدٍ منهُما في البَلَدِ المَنْسُوبةِ إليه، يُرِيد أنَّ هَيْطَل نزَل

في البَلَدِ المَعْرُوف ببَلَدِ الهيَاطِلة وهو ورَواء النَّهر، ونزَل خُرَاسَان في قَلْعَته المعْرُوفَة

بخُرَاسَان دون النَّهر(c) [فسُمِّيت كلُّ قَلْعَةٍ بالذي نزَلهَا] (c)[2].

٦ وروي عن شَرِيك بن عَبْد الله[3] قال: [١٥٨و] خُرَاسَان كِنَانة الله، إذا غَضِبَ علىٰ

قَوْمٍ رمَاهُم [بهم][d])، وفي حَدِيثٍ آخر قال: ما خَرجَتْ من خُرَاسَان رَايَةٌ في جَاهِلِيَّةٍ

ولا إسْلَام فرُدَّتْ حتىٰ تَبْلُغ مُنْتَهاهَا.

٩

---

a) في الأصل: عالج. والتصويب من المقدسي، وياقوت.

b) زيادة من ياقوت.

c-c) التتمة من ياقوت.

d) ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت، وفي المختصر بزيادة: رماهم من كنانته.

---

[1] دغفل النسابة مرت ترجمته ص ٥١.

[2] انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٦١.

[3] شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، أبو عبد الله، الحافظ، القاضي. عرف بالنبل والذكاء، أقره كل من الخليفة العباسي المنصور والمهدي على قضاء الكوفة، وتوفي بالكوفة سنة ١٧٧هـ/٧٩٤م. انظر في ترجمته وأخباره: وكيع: أخبار القضاة، ج٣، ص١٤٩–١٦١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص ٣٨٤–٤٠٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٠٠–٢١٠.

وحَدَّثَنِي أبو عَبْد الله الحُسَين بن أَسْتَاذَوَيْه [قال] :حدَّثَني أبو إسْحَاق إبْرَاهِيم [بن الحسن] قال: قال أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن مَرْزُوق الهَاشِميُّ: حدَّثنا هِشَام بن مُحَمَّد بن السَّائِب الكَلْبي قال: حدَّثنِي أبي عن أبي صَالِحٍ عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لم يتزوَّج إبْرَاهِيمُ علىٰ سَارَةَ حتىٰ مَاتت، فتَزوَّج بعْدَها امْرَأة من العَربِ العَارِبة يقال لها قَنْطُورا بنت يَقْطن فولَدت له مَدْيَن ومَداين.

وهو مَدْين ويَقِشَان وأشْتَق وشُوح. فأمَر إبْرَاهِيم أنْ ينْضمَّ إليه من ولَدِهِ إسْماعِيل وإسْحَاق ومَدْين ويَقِشَان [a)[فقالوا لإبْرَاهِيم: يا أبَانَا أنْزَلتَ إسْماعِيل وإسْحَاق مَعك][a)وأمرتَنا أن ننزِل الغُربَة والوَحْشَة والوحْدَة؟! فقال: بذلك أُمِرت[1].

ثمَّ إنَّ إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ رحَمهُم فعلَّمهُم اسْمًا من أسْماءِ الله تعَّالىٰ، فكانوا يَسْتَنْصِرون به علىٰ الأعْدَاء ويَسْتَسْقُون في الجُدوب. ونَزلوا مَوْضِع خُرَاسَان فتَناسَلوا هناك وكَثروا.

فسَمِعَت بهم الخَزَر- وهُم من بني يَافِث بن نُوح- ووقَفُوا علىٰ ما مَعهُم من أسْماءِ الله تعالىٰ، فقالوا: يَنْبَغِي لمن علَّمكُم هذا أنْ يكُونَ خَيْرَ أهْلِ الأرْضِ، أو يكُون مَلِكُ الأَرْضِ، ورَغِبُوا في مُصَاهرتِهم؛ فزوَّجُوهم وعَلَّمُوهم الأسْماء.

قال الشَّعْبيُّ[2]: كأنِّي بهذا العِلْمَ وقد تَحوَّلَ إلىٰ خُرَاسَان!.

(a-a) ساقطة من الأصل، والتكملة من الطبري.

[1] قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٣١١.

[2] مرت ترجمته ص١٩٨.

قال: قَرأتُ في كتاب حَرْب جَوْذَرز[a] وفِيرَان[١] أنَّ فِيرَان كتب إلىٰ جَوْذَرز في رِسالةٍ طَويلةٍ: من فِيرَان بن وسْجَان[b] خلِيفَة أفْراسَياب مَلِك التُّرك من نسْلِ
٣ طوس[٢] إلىٰ جَوْذَرز بن جشوَاذَان، من أهْل البَيْت الكَيَان حَافِظ ثُغُور الأَوْثَان.

أني بَعوْنِ الله أكَاتِبكَ علىٰ سُنَّة الوَقَار ورسَائِل السِّلْم، أيُّها الحَكِيم المَمْنُوح من السَّماء عَقْل الحُكَماء. قد مرَّ ما كَتبتُ إليك أنَّ أباكَ كيْخِسْرُو الطيِّب يؤثِر سَياوش
٦ فإن أفْراسياب: قسَّم الأَرْض وفصَل الحُدود كما فُصِلَت قَدِيمًا أيَّام منُوجَهر[٣]، وسِير التُّرك عن قُوىٰ أرْيَان ونزَل غَرجِسْتَان العظِيمَة الكَثِيرة العَدد.

والطَّالقَان الحَصِينة الكَثِيرة الجِبال والمَراعِي مجتَمَع [١٥٨ظ] عسَاكِر الثُّغورِ قدِيمًا،
٩ وهَرَاة الجَمَّة الأمْوَال، وخشيندِيزة [ذات] الدَّارَات العَامِرة المُلُوكيَّة.

وآمُل وسَط النَّهر، والتِّرمِذ المُرعَة المَذْكُورة بالغنَاء والأمْوَال، وبُخَارىٰ الذي وضَع أفرِيدُون بها بَيْتَ النَّار، وأنْزَلها الأُسْدَ المَذْكُورين، وبَلْخ العَظِيمةَ المُنِيرةَ الأنِيقَة

---

[a] في الطبري: بي بن جوذرز، وفي مسكويه: بيب بن جوذرز.
[b] في الطبري: ويسغان.

---

[١] فيران: بالفارسية: پيران. وهو فيران بن ويسغان، أحد قادة الترك، ورئيس أصبهبذى أفراسياب، وكان المرشح للملك من بعده. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥١٢.

[٢] طوس بن نوذران، من جنود جوذرز، وكان ذا بأس ونجدة، أوكل إليه جوذرز محاربة أفراسياب وجعله على رأس ثلاثين ألف مقاتل. نفسه: ج١، ص٥٠٩-٥١٥؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج١، ص٧٦-٨٠.

[٣] ترسم في المصادر: منوشهر، منوشجهر، منوجهر، منوچهر.

المَشْهُورة بالأعِزَّة المُؤيَدين ذاتَ الجِبال العَالِية والسُّهولِ العَامِرة التي تقول الكيَّانيَّة[١] أنها من بَلدِ أرْيَان في نَاحِية المشْرِق إلى السُّغْد.

٣ وفي ناحِية الحَرى من بَريَّة خُوارِزْم إلى مَصبِّ بَهْرُوذ في البَحْر من مسَاكِن قبَائِل التُّرْكِ وأرْمِينيَّة المُحصَّنةِ العَظِيمة سُرَّة أرْيَان لا يَنْحَسِر ثَلْجُها عن جِبَالها ولَا مَاؤهَا عن أنْهَارِها، ولا تَخْلُو أرْضها من الثِّمار الكَثِيرة الكَرِيمةِ والزُّرُوعِ العَمِيمَة.

٦ وأذْريبِجَان العَامِرةُ الزَّاهِرة ذَات العُيون الكَثِيرة في شَواهِق جِبَالها ومسْتَوى أرْضِها.. في كَلامٍ له طَويل[٢].

ويروى أنَّ رسُول الله ﷺ قال:« تَفْتَح أُمَّتِي أرْضًا يُقال لها خُرَاسَان عند نَهْرهَا

٩ المَلْعُون أوَّله رَخَاء وآخِرهُ بَلَاء»[٣].

---

[١] الكيانية: الطبقة الثانية من ملوك الفرس، وكي هو الجبار وكيان هم الجبابرة، وعدد الكيانية تسعة وهم: كيقباذ ولقبه الأول، وكيكاوس ولقبه: نمرد أي لم يمت ولذلك أطلق عليه العبرانيون نمرود. وكيخسرو ولقبه همايون ومعناه: المبارك. وكيلهراسف ولبقه: البلخي لأنه كان ينزل ببلخ. وكيبشتاسف ولقبه الهربذ أي عابد النار سمي بذلك لأن زرادشت عندما أتاه بالمجوسية قبلها. وكي أزدشير بهمن وكان يسمى بهذين الاسمين ولقبه: الطويل الباع. وخماني بنت أزدشير بهمن ولقبها: جهرازاد. ودارا الأول ولقبه: الكبير، ودارا بن دارا ولقبه: الثاني وهو الذي قتله الإسكندر واستولى على ملكه.

انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١٢٢.

[٢] لم تشر المصادر التاريخية التي بين أيدينا إلى كتاب باسم «حرب جوذرز وفيران» وربما اطلع ابن الفقيه على كتاب فارسي قديم يحمل هذا العنوان. بينما ذكر بعض المؤرخين أخبار هذه الحرب.

للمزيد انظر: الطبري: تاريخ المصدر السابق، ج١، ص٥٠٥-٥١٥؛ مسكويه: المصدر السابق، ج١، ص٧١-٨٠؛ نظام الملك: سياسة نامة، تحقيق: يوسف حسين بكار، قطر، ١٩٨٧م، ص٢٢٦-٢٢٧.

[٣] لم يرو عن رسول الله ﷺ في الصحاح السِّت ولا في غيرها من الكتب حديثًا بهذا اللفظ لا صحيحًا ولا حسنًا ولا ضعيفًا.

وقال عَبْدُ الله بن مُسْلِم بن قُتَيْبَة[١]: أهْل خُرَاسَان أهْل الدَّعْوةِ وأنْصار الدَّوْلةِ، ولم يَزالُوا في أكْثَر مُلْكِ العُجْمِ لِقَاحًا. لا يُؤدُّونَ إلىٰ [أحدٍ][a] إتَاوَةً ولا خَراجًا.

٣ وكانت مُلُوكُ العُجْمِ قبل ملُوك الطَّوائِف تَنْزل بلَخ ثمَّ نزَلُوا بَابِل. ثمَّ نزلَ أرْدَشِير بن بَابِك فَارِس فصَارَت دَار مُلْكهُم، وصَارَت بخُرَاسَان مُلوك الهَيَاطِلة. وهم الذين قَتلُوا فَيْرُوز بن يَزْدَجُرد بن بَهْرَام مَلِك فَارِس.

٦ وكان غَزاهُم فكَادُوه بمَكِيدةٍ في طَريقهِ حتىٰ سَلكَ [سَبِيلًا][a] مُعْطِشَةٍ [يعْنِي][a] مُهْلِكةٍ، ثمَّ خَرجُوا إليه فأسَرُوه وأكْثَر أصْحَابِه [معه][a] فسألَهم أنْ يَمنُّوا عليه وعلىٰ من أُسِر معه من أصْحَابه وأعْطَاهُم مَوْثِقًا من الله وعَهْدًا مؤكَّدًا ألَّا يغْزُوهم أبدًا

٩ ولا يَجُوزَ حُدودَهُم، ونصَب حجَرًا بينهُ وبيْنَهُم صيَّرهُ الحدَّ الذي حلَف عليه، وأشْهَد علىٰ ذلك اللهَ تعالىٰ ومن حضَره من أهْلِه وخاصَّتِهِ أَسَاوِرتِهِ. فمنُّوا عليه وأطْلقُوه ومن أرَادَ ممَّن أُسِر معه.

١٢ فلمَّا عَاد إلىٰ مَمْلكَتِهِ دخَلتْه الأَنفَة والحمِيَّة مما أصَابهُ وعَاد لغَزْوِهم ناكِثًا لأَيْمَانهِ غَادِرًا بذمَّتِهِ، وجعَل الحجَر الذي [١٥٩و] نصَبهُ وجعَلهُ الحدَّ[b] الذي حَلفَ[c] أنَّه لا يَجُوزَه مَحْمُولًا أمامَهُ في مَسِيره يتأوَّل به أنَّه لا يتَقدَّمهُ ولَا يَجُوزَه.

[a] زيادة من ياقوت.

[b] رسمت في الأصل: اتخذ.

[c] رسمت في الأصل: خلفه.

[١] انظر: عيون الأخبار: ج١، ص١١٧-١٢١.

فلمَّا صَارَ إلىٰ بَلدِهمِ ناشَدُوه الله وأذْكَرُوه به، فأبىٰ إلَّا لجَاجًا ونكَثَ فوَاقعُوه وقتَلُوه وحُماته وكُماته واسْتَابحُوا عسْكَرهُ فلم يُفْلِت منهُم إلا الشَّرِيد.وهم قتَلُوا ٣ كِسْرىٰ بن قُبَاذ بن هرمزد[١].

فهذه حَال خُرَاسَان قبل الإسْلَام. ثمَّ أتىٰ الله بالإسْلَام فكانوا فيه أَحْسَنَ الأُممِ رَغْبةً وأَشدَّهُم إليه مُسَارَعةً، منًّا من الله عليهم وتفَضُّلًا وإحْسَانًا منه عليهم، ٦ فأسْلَمُوا طَوْعًا ودخَلُوا فيه أفْوَاجًا وصَالحُوا عن بِلَادِهم صُلْحًا، فخفَّ خَراجُهم وقلَّت نوائِبُهم، ولم يجْرِ عليهم سِباء ولم يَسقُط فيها بينهم وبين المُسْلِمينَ دَم[٢].

ولَّما رأىٰ اللهُ ﷻ سِيرة بني أُميَّة بعْدَ عُمَر بن عَبْد العَزيزِ وظُلْمَهم العِبَاد و ٩ إخْرَابهم البِلَاد واسْتِئثارهُم بالفِيء وعُكُوفهُم علىٰ المعَازِف والمَلَاهِي واللَّذَّات، وإعْرَاضهُم عمَّا أوْجَبَ اللهُ عليهم فيها قلَّدهُم، ابْتعَث جُنودًا من أهْل خُرَاسَان جمَّعهُم من أقْطَارِها كما يُجْمَع قَزع الخَرِيف، وألْبَسهُم الهَيْبَة ونزَع من قُلوبهم الرَّحْمَة ١٢ فسَارُوا نحْوَهم كَقِطعِ اللَّيلِ المُظْلِم قد اتَّخذُوا لِبْس السَّواد وأطَالُوا الشُّعور وشَدُّوا المَآزِر دُونَ النِّسَاء حتىٰ انْتَزعُوا مُلْك بنِي أُميَّة من أكَبرِ مُلُوكِهم سِنًّا، وأشَدِّهم حِنْكَةً، وأحْزَمِهم رَأيًا، وأكْثَرهِم عُدَّةً وعَدِيدًا، وأعْقَلِهم كَاتِبًا ووزِيرًا، وسَلَّمُوه إلىٰ ١٥ بَنِي العبَّاس.

[١] كسرى بن قباذ بن هرمزد، أحد ملوك العجم، كانت مدة حكمة ثلاثة أشهر، قتله خنشورا ملك خراسان. انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٦٦٦.

[٢] قارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٩٣.

وقد كان مُحَمَّد بن عَلِيٍّ بن عَبْد الله بن العَبَّاس[١] قال لدُعَاتِه حين أرَادَ تَوْجِيههُم إِلى الأمْصَار: أَمَّا الكُوفَةُ وسَوادُها فهناك شِيعةُ عَلِيٍّ ووَلدِهِ. وأَمَّا البَصْرَةُ فعُثْمَانِيَّةٌ

٣ تُدِينُ بالكَفِّ، (a [وتَقُول: كُنْ عَبْدَ الله المَقْتُولِ ولا تَكُن عَبْد الله القَاتِل] a).

وأَمَّا الجَزِيرةُ فحَرُورِيَّة مَارِقة وأعْرَابٌ كَأَعْلَاجٍ ومُسْلِمُون في أَخْلَاقِ النَّصارىٰ، وأَمَّا أَهْل الشَّام فلَيْس يعْرِفُون إلَّا آلَ أبي سُفْيَان وطَاعَةَ بَنِي مَرْوَان وعَدَاوةٌ لنا

٦ رَاسِخَةٌ وجَهْلٌ مترَاكِمٌ.

وأَمَّا أَهْل مَكَّة والمدِينة فقد غَلَبَ عليهما أَبُو بَكْرٍ وعُمَر - رضي الله عنهما - ولكن عليكم بأَهْل خُرَاسَان، فإِنَّ هناك العَددَ الكَثِيرَ والجَلَدَ الظَّاهِرَ، وهناك

٩ [١٥٩ظ] صُدُورٌ سَلِيمةٌ وقُلوبٌ فَارِغةٌ لم تقْتَسِمها الأهْواءُ ولم تتوزَّعهَا النِّحَل ولم يَقْدِم عليها فسَادُ، (b [ولَيْسَت لهم اليَوْم هِمَمُ العَربِ ولا فيهم كتَحازُب الأتْبَاعِ بالسَّادَات، وكتحَالُفِ القَبائِل وعَصَبِيَّة العشَائِر، ولم يَزالوا يُذَالُون ويُمْتَهنُونَ

١٢ ويُظْلَمُون ويَكْظِمُون ويتَمَنَّوْنَ الفَرجَ ويُؤمِّلونَ الدُّول] b)[٢].

(a-a) التتمة من: ابن قتيبة: عيون الأخبار؛ والمختصر.

(b-b) ساقطة من الأصل: والتكملة من: ابن قتيبة: عيون الأخبار.

[١] محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي القرشي، والد السفاح والمنصور، أول من قام بالدعوة لبني العباس، توفي سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م. انظر في ترجمته وأخباره: طبقات خليفة بن خياط، ص٥٧٠؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص٨٠-٨٢.

[٢] قارن ابن قتيبة: عيون الأخبار، [باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبين] ج١، ص٢٠٤-٢٠٥.

وهم جُندٌ لهم أبْدَان وأجْسَام ومنَاكِب وكوَاهِل وهَامَات ولِحًى وشَوارِب وأصْوَات هَائِلة ولُغَات فخْمَة تَخْرُج من أجْوَافٍ مُنْكَرة. وبعد، فإني أتفاءَلُ إلىٰ المَشْرِق وإلىٰ مَطْلع سِرَاج الأَرْضِ ومصْبَاح الخَلْقِ[١].

٣

فلمَّا بلغَ الله إرَادتهُ من بني أُميَّة وبَنِي العبَّاس، أقَام أهْل خُرَاسَانَ مع خُلفَائِهم علىٰ أسْكَنِ رِيح وأحْسَنِ دِعَةٍ وأشدِّ طَاعَةٍ وأكثَرِ تَعْظِيمٍ للسُّلْطَان، وهو أحْمَدُ سِيرةٍ في رَعِيـتَّه يتزَيَّنُ عندهم بالحَسَنِ ويَسْتَتِر منهُم بالقَبيحِ[٢] إلى أنْ كان [ما كان] من قَضاءِ الله ورَأىٰ خُلفَاؤنا الاسْتِبْدَال بهم وتَصِيير التَّدبِير لغَيْرِهم .a) ولا نَذْكُر ما جَرىٰ بعد ذلك والله المُسْتَعَانa)[٣].

٦

٩

(a - a) العبارة في ياقوت: «... فاختلَّت الدولة وكان من أمرها ما هو مشهور من قبل الخلفاء في زمن المتوكل، وهلمَّ جرًّا ما جرى من أمر الدَّيلم والسلجوقية وغير ذلك».

[١] قارن: الجاحظ: رسائل الجاحظ، ج١، ص١٦؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، [باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبين] ج١، ص٢٠٤-٢٠٥؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٥٦.

[٢] بدأ المقدسي حديثه عن خراسان بقوله:« يحكى عن ابن قتيبة أنه قال: خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة...». إلا أنه نقل هذا الخبر بذات النسق الذي صاغه ابن الفقيه.

قارن: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٩٣-٢٩٤.

[٣] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة خراسان]، ج٢، ص٣٥٣.

وقال قَحْطَبَةُ بن شَبِيبٍ[١] لأَهْل خُرَاسَان: قال لـِي مُحَمَّد بن عليٍّ بن عَبْد الله: أَبَىٰ الله أنْ تَكُون شِيْعتُنا إلَّا أَهْل خُرَاسَان. لا نُنْصَرُ إلَّا بهم ولَا يُنْصَرُون إلَّا بِنا.

٣ إنَّه يَخْرجُ من خُرَاسَان سَبْعُونَ أَلْفَ سَيْفٍ مشْهُور قُلُوبهم كَزُبرِ الحَديد، أَسْمَاؤهم الكُنىٰ وأَنْسَابُهُم القُرىٰ، يطِيلُون شُعُورهَم كالغِيلان، جِعَابهم تَضْرِبُ كِعَابَهم، يطْوونَ مُلْكَ بني أُميَّة طيًّا ويُزِفُّون المُلْكَ إلينا زَفًّا؛ وأنْشَد لعصَابَة الجَرْجَرَائِيِّ[٢]:

٦ [البسيط]

الدَّارُ دَارَانِ إيوَانٌ وغُمْدَان والمُلْكُ مُلْكَانِ سَاسَان
والنَّاسُ فَارِسُ والإقْلِيمُ بَابِلُ والإسْلَام مكَّةُ والدُّنْيَا خُرَاسَانُ
والجَانِبَانِ العَتِيدان اللَّذا خُشِيَا منها بُخَارَىٰ وبَلْخُ الشَّاه وأَرَّانُ
قد ميَّز النَّاسَ أَفْوَاجًا ورتَّبهُم فمَرْزُبَانٌ وبِطْرِيقٌ ودِهْقَانُ

ولخُرَاسَان غَذَاءُ الهَواءِ، وطِيبُ المَاء، وصِحَّة التُّرْبة، وعُذُوبَة الثَّمرَة وإحْكَام الصَّنْعة، وتَمَامُ الخِلْقَة وطُول القَامةِ، وحُسْنُ الوُجُوه، وفَراهَة المَرْكَب من البَراذِين

٩ والإبِل والشَّهارِي والحَمِير، وجَوْدَة السِّلَاح والدُّرُوع والثِّياب.

[١] قحطبة بن شبيب الطائي، قائد شجاع من ذوي الرأي والشأن، صحب أبا مسلم الخراساني وسانده في إقامة الدعوة العباسية بخراسان، غرق في الفرات على إثر معركة له مع يزيد بن عمر بن هبيرة، وتوفي سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. انظر في أخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٩٦-٣٩٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٨٨-٤١٢.

[٢] إسماعيل بن محمد بن حاتم الباذامب، أبو إسحاق الشاعر، الملقب عصابة من أهل جرجرايا. قال عنه الصولي: إنه كثير الشعر مسف الألفاظ متشيع يهجو بني العباس. انظر في أخباره: ابن المعتز : طبقات الشعراء، ص٣٩٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٢٥.

وهم أَهْلُ التَّجَارِب وأَصْبَرهُم علىٰ البُؤْسِ أَنْفُسًا وأَقَلُّهُم تَنعُّمـًا وخَفْضًا. [a][فأَهْلُ خُرَاسَان جُنَّة للمُسْلِمينَ دُون التُّرْكِ][a] فهم يُثْخِنُونَ فيهم القَتْلَ والأَسْر وبهم يُدْفَع [١٦٠و] عن المُسلِمين معَدتِهم وكَيْدِهم. وقد جَاء في الحَديث: «تَارِكوا التُّرْكَ ما ترَكُوكُم»[١].

وجاء عن النَّبيِّ ﷺ فيها مَا لَا أَعْلَمُ أَنَّه جَاء مِثْله في شيءٍ من البِلَاد إلَّا في الحَرَمَينِ في الأَرْضِ المُقدَّسةِ. وقال: «[b]التُّركُ أَشَدُّ العَدوِّ بَأسًا وأَغْلظُهُم أَكْبَادًا[b]»[٢].

ورُوي عن بُـرَيْدَة[٣] أَنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بُـرَيْدَة، إنَّه سَيُبْعَثُ من بعدي بُعُوث، فإذا بُعِثْت فكن في [أَهْلِ][c] بَعْثِ المشرق، ثمَّ كُنْ في بعْثِ خُرَاسَان، ثمَّ كُنْ في بعْثِ أَرْضٍ يقال لها: مَرْو. فإذا أَتيْتهَا فانْزِل مَدِينتها»[٤].

(a-a) التتمة من: المختصر.

(b - b) في المقدسي: «...الترك أشدُّ العدوِّ بأسًا وأغلظهم رقابًا وأصبرهم على البؤس أنفسًا وأقلّهم تنعُّمًا وخفضًا».

c) زيادة من: ابن قتيبة: عيون الأخبار.

[١] انظر تخريج الحديث فيما تقدم ص٤٥٧.

[٢] لم يرو عن رسول الله ﷺ حديثًا بهذا اللفظ أو المعنى؛ وقارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٩٤.

[٣] بريدة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أبو عبد الله، من صحابة رسول الله ﷺ ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد الحديبية، وتوفي بمرو سنة ٦٣هـ/٦٨٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص١٨٥ – ١٨٦.

[٤] انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢١٥.

فإنَّه بناهَا ذُو القَرْنَيْنِ وصلَّىٰ فيها عُزَيْر[a] ، أنْهارها تَجْرِي بالبَرَكَةِ، علىٰ كلِّ نَقبٍ[b] منها مَلِكٌ شَاهِر سَيْفَهُ يَدْفعُ عن أهْلهَا السُّوء إلىٰ يَوْمِ القِيَامة»، فقَدِمهَا بُرَيْدَة ٣ ومَات بها[١].

وقد جَهدَ الطَّاعِنُ علىٰ أهْل خُرَاسَان حَيثُ يَدَّعِي عليهم البُخْلَ ودِقَّة النَّظر ويُشَنِّعُ بمِثْلِ قَوْل ثُمامة[٢]: [c] إنَّ الدِّيك في كلِّ بلدٍ يَلْفَظُ ما يَأكُله في فَمِه للدَّجَاجةِ ٦ بعد ما قد حصَل، إلَّا دِيكة مَرْو فإنَّها تَسْلِب الدَّجَاج ما في مناقِيرهَا من الحبِّ[c][٣]. وهذا كَذبٌ بـيِّن ظَاهِر للعَيَانِ لَا يُقْدِمُ علىٰ مِثْلهِ إلَّا الوقَّاع البهَّات الذي لا يتوَقَّىٰ الفضُوح والعَار. وما دِيكَـةُ مَرْوٍ إلَّا كَالدِّيكَةِ في جَمِيع الأرْضِ.

---

[a] في ابن قتيبة: غزيرة.

[b] في المختصر: نهر.

[c - c] القول في الجاحظ: « قال ثمامة: لم أر الديك في بلدة قطّ إلا وهو لاقط، يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم».

---

[١] انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢١٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: مرو الشاهجان] ج٥، ص١١٣؛ القزويني: آثار البلاد، ص٤٥٦.

[٢] ثُمامة بن أشرس النُّميري البصري المعتزلي، ورد إلى بغداد واتصل بهارون الرشيد والمأمون، وهو أحد الفصحاء البلغاء المقدَّمين. كان ذا نوادر وملح، ومن أشهر تلاميذه الجاحظ، توفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن طيفور: كتاب بغداد، ص٣٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨، ص٢٠-٣٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٦-١٧.

[٣] انظر: الجاحظ: البخلاء، تحقيق: طه الحاجري: دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٨، الحيوان، ج٢، ص١٤٩؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: مرو الشاهجان] ج٥، ص١١٣؛ الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج٢، ص٦٩٢.

ولأهْلِ خُرَاسَانَ أجْوادٌ مُبْرزُون [a] [وأنْجَادٌ مشْهُورُون] [a] لا يُجارُون ولا يُبْلَغ شَأوهم، منهُم: البَرامِكَة لا نعلَم أنَّ أحدًا قَرُبَ من السُّلْطَانِ قُربَهم فأعْطَىٰ عطَاءهم
٣ وصَنعَ صَنيعَهم واعتقَد بيُوتَ الأمْوَال وخَزائِن الخُلفاء مثل اعْتِقَادِهم.

ومن المَشْهُور عنهم أنَّه لم يكُن لخَالِد بن بَرْمَك صَنِيعةٌ ولا متَحَرِّمٌ به إلَّا بنَىٰ له دَارًا علىٰ قَدْرِ كفَايَتِهِ ثمَّ وقَف علىٰ أولَادِه ما يُعِينهُم أبدًا، ولم يكُن لأحَدٍ منهُم ولَدًا
٦ إلَّا من جَارِيةٍ وهَبها له.

ومن أهْل خُرَاسَان القَحَاطِبة، عَلِيُّ بن هِشَام [١] وعَبْدُ الله بن طَاهِر [٢] وخُبِّرَ عنه بعضُ قُوَّادِه بخُرَاسَان أنَّه فرَّق في مَقامٍ واحِدٍ ألْفَ ألف دِينَارٍ، وهذا يكْثُر أنْ يُملَك
٩ فضْلًا عن أنْ يُوهَب. وأخْبَارُ البَرامِكَة وهؤلاء الذين ذكَرنا بعْدَهم فأكثر من أنْ تُلْحَق أو تُعدَّ أو تُوصَف.

ومِمن خفَتْ حَاله وسَمَحتْ نَفْسُه بما ملَكَ عَبْدُ الله بن المُبَارك [١٦٠ظ] كان يُفَرِّقُ
١٢ مَاله علىٰ إخْوَانِه ويُؤثِرهُم بذَخائِره ويَكْسُوهم الثِّياب المُرتفعَة ويَحْمِلهُم علىٰ الدَّوابِ الفَرِهَة ويَلْبَس هو ثَوْبًا بعَشْرَةِ دَراهِم، ويُعْطِي صَاحِب الحَمَّام دِينَارًا وللحَمَّاميِّ دِينَارًا.

١٥ فأمَّا الأُمَّة التي سَبق أوَّلُها وعَفا آخِرهُا فأهْل فَارِس. كانوا في سَالِف الدَّهْرِ أعْظَمَ الأُممِ مُلْكًا، وأكْثَرهُم أمْوالًا، وأشدَّهُم شَوْكَة.

(a - a) ساقطة من الأصل، والتكملة من المختصر.

---

[١] انظر فيما تقدم ص١٤٨.

[٢] تقدمت ترجمته ص٢٧٦.

وكَانت المُلوك في جِميعِ الأطْرَافِ والأقَالِيم تعْتَرِف لهم بذلك، وتُعَظِّم مُلْكَهُم، وتَغْتَنِمُ منَّـةَ أنْ تَهادِيهُم. وكانت العَرب تَدْعُوهُم الأحْرَار وبَنِي الأحْرَار، لأنَّهم كانوا يَسْبُونَ ولا يُسْبَونَ ويَسْتَخدِمُونَ ولا يُسْتَخْدَمُون، ثمَّ أتىٰ الله بالإسْلَام فكانوا كَنارٍ خَمِدَتْ وكَرَمَادٍ اشْتَدَّت به الرِّيح في يَوْمٍ عَاصِف، فتَبدَّد جمْعهُم ومُـجَّـتْ قُلوبهُم ومُزِّقُوا كلَّ مُمزَّقٍ، فلم يَبق في الإسْلَام منهُم نَبِيهٌ يُذْكَر ولا شَرِيفٌ يُشْهَر إلَّا أن يكونَ عَبْد الله بن المُقَفَّع والفَضْلَ بن سَهْل[1].

وأهْل خُرَاسَان دخَلُوا في الإسْلَام رَغْبةً وطَوْعًا، ثمَّ هم أحْسَنُ النَّاس تَقِـيَّـةً وأشَدُّهم بالدِّين تَمسُّكًا، فمنهُم المُحَدِّثُون والنُّبلُ المَشْهُورُون والعُلَماءُ بالفِقْهِ المُتقَدِّمُون والعُبَّاد المُجْتَهِدون.

فإنْ قال قَائِلٌ: كَيفَ تَدْفعُ فارِس عن حُسْنِ التَعبُّد مع قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ[2]: «لو كَان الإيمَانُ مُعلَّـقًا بالثُّـرَّيا لنَالتْهُ رِجَالٌ من أبْنَاء فَارِس»؟[3] قُلْنَا له: في هذا القَوْل دَليلٌ علىٰ رَغْبةِ المَوْصُوفِين في الدِّينِ ومُسَارَعتِهم إليه وتَمسُّكِهُم بِسُننِ النَّبيِّ ﷺ فيه.

[1] مرت ترجمته ص١٨٥.

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سننه بلفظ:« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الإِيمَانُ بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ» وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة لم تبلغ مرتبة الصحة؛ وقال عنه الترمذي بعد روايته له: غريب في إسناده. انظر: الترمذي: سنن الترمذي، طبعة المكنز الإسلامي، برلين ١٤١٢هـ/١٩٩١م. [كتاب تفسير القرآن عن رسول الله سورة الجمعة] حديث رقم: (٣٦٥٢)؛ راجع تخريج الحديث فيما تقدم ص٤٦٠.

[3] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: فارس]ج٤، ص٢٢٧.

وإنَّما هو كَقْولكَ: لو كُنتَ في أقَاصِي البِلَاد لزُرْتَك، فزِيدَ: لتَجشَّمتُ الوصُول إليك رَغْبةً في لِقَائِك. وخَبرُ رسُول الله ﷺ من الأمْرِ يكون فيما بعُدَ إنَّما هو عن الله ﷻ ولَا خِلْفَ لَقْولِ الله ولا تَبْدِيل.

فإذا نحنُ تطَلَّبْنا مِصْدَاق هذا القَوْلِ في أهْلِ فَارِس لم نَجِده أوَّلًا ولا آخِرًا، إلَّا أنَّ أوَّل أمرِهم في الإسْلَام علىٰ ما قد علِمتَ من شِدَّة العَداوَة للمُسْلِمينَ ومُحارَبتِهم إيَّاهُم حتىٰ قُهِرُوا وهُزِمُوا وطُلِبوا ومزِّقُوا ولم تَجِد لهم [١٦١و] بعد ذلك رجَالًا برعُوا في العلْمِ وعُرِفُوا بالحفْظِ للأثَرِ والتَّفقُّه في الدِّين والاجْتِهَاد في العِبَادةِ، إلَّا أن تِجد من ذلك الشَّيء اليَسِير والنُّبَذ المَغْمُور.

ونَجِدُ هذه الصِّفةَ في أهْل خُرَاسَان أوَّلًا و آخِرًا؛ [a] لأنَّهم دخَلُوا في الإسْلَام رَغْبةً وطَوْعًا، هم أحْسَنُ النَّاس تَقِيَّةً وأشَدُّهم بالدِّين تمسُّكًا، فمنهُم المُحَدِّثُون والنُّبَلُ المَشْهُورُون والعُلَماءُ بالفِقهِ المُتقَدِّمُون والعُبَّاد المُجْتَهِدون[a].

فإنْ قال قَائلٌ: كان رسُولُ الله ﷺ جعَلهُ في أهْلِ فَارِس فكيفَ جعَلْتهُ في أهْل خُرَاسَان؟ قُلنا: إنَّ فَارِس وخُرَاسَان كَانتا عند العَربِ شيئًا واحِدًا إلَّا أنَّهما يتَحاذَّانِ ويتَّصِلان[١].

(a-a) تكررت هذه العبارة، وربما كان ذلك انتقال نظر من الناسخ.

---

[١] تجدر الإشارة إلى تطابق بين بعض نصوص مادة خراسان –خاصة– بين ابن الفقيه وبين المقدسي دون غيره من الجغرافيين، ومن اللافت للنظر تصريح المقدسي عند تطابق النصوص أكثر من مرة قوله: « قرأت في كتاب بخزانة عضد الدولة...». ما يدل على اشتراكهما في الاطلاع على نفس المصدر، وإن كانا لم يصرحا به. انظر: أحسن التقاسيم، ص٤٤٨-٤٤٩.

ولأنَّ لسَانِ أهْل خُرَاسَان وفَارِس بالفَارِسيَّة، فهم يُسمُّون جميعًا الفُرْسِ. وكذلك المُتكلِّمُون بالعَربيَّة عند من لَا يُفْصِح من الأعَاجِم عَرب. وقال الشَّاعِر
٣ يذْكُر بِلَاد فَارِس (شِعْر):

[البسيط]

في بَلْدَةٍ لم تَصِلْ عُكْلٌ بها طُنُبًا ... ولا خِباء ولا عَكٌّ ولا هَمْذَانُ
ولا لجَرْمٍ ولا الأتْلَاد من يَمنٍ ... لكنَّها لبَنِي الأحْرَارِ أوْطَانُ
أرْضٌ يُبنِّي بها كِسْرىٰ مسَاكنهُ ... فَما بها من بني اللَّخْناءِ إنْسَانُ

ورَوىٰ أبو الجَلَدْ (a جِيلَانُ بْنُ فَرْوَة a)[1] قال: الدُّنْيا كلُّها أرْبَعةٌ وعشْرُونَ ألْف
٦ فَرْسَخ. فمُلْكُ السُّودَان إثْنا عَشْر ألْفَ فَرْسَخ، ومُلْكُ الرُّوم ثمانِيةُ آلَافِ فَرْسخٍ، ومُلْكُ فَارِس(b ثَلاثَةُ آلَافِ فَرْسخٍ b)، وأرْضُ العَربِ ألْفُ فَرْسَخ[2].

(a – a) في الأصل: عمر بن جيلان، والصواب ما أُثبت.

(b - b) في الأصل: ألف فرسخ. وتمام الخبر في ابن قتيبة: «حدّثني الأصمعي قال: أخبرني النِّمر بن هلال الحَبَطي عن قتادة عن أبي الجلد قال: الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ، فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ، وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ، وملك فارس ثلاث آلاف فرسخ، وأرض العرب ألف فرسخ».

[1] جيلان بن فروة الأسدي البصري، أبو الجلد الأخباري تابعي ثقة. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٢٢؛ طبقات خليفة بن خياط، ص٣٥٢؛ ابن حبان: الثقات، ج٤، ص١١٩.

[2] انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢١٥؛ المقدسي: المصدر السابق، ص٦٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠، وقارن ص١٦.

فذكَر [فَارِس] ولم يذكر خُرَاسَان، وهي أوْسَعُ منها لأنَّه جعَل المَشْرِق كلَّهُ من فَارِس وكذلك الرُّومِ، ولم يَذْكُر ما يُحاذِيهَا من بِلادِ العُجْمِ جعَل كلَّه للرُّومِ[1].

٣ وفي الحَدِيث: أنَّ رجُلًا قال لعَليٍّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ: « غَلَبَتْنَا هَذِهِ الْحَمْرَاءُ »- يعْنِي العَجَم- فقال عليٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: « ليَضْرِبُنَّكُم علىٰ الدِّينِ عَوْدًا كمَا ضَرَبْتُمُوهُم عليه بَدْءًا»[2].

٦ يريد: ليَضْرِبُنَّكُم بالسِّيوفِ علىٰ دِينِ الله إذا غيَّرتُم وبدلْتُم كمَا ضَربتُمُوهُم عليه [١٦١ظ] فإذا نحن طَلَبْنَا مِصْدَاقَ ذلك في العَجَمِ وجدْنَاهُ في أهْل خُرَاسَان، لأنَّهم هم الذين [ضَاربُوا] بالسِّيُوفِ العَرب وأهْل الشَّامِ غضَبًا لدِين الله، وإنْكَارًا لسِيرةِ بني أُميَّة ٩ حتىٰ أبْتَروهُم المُلْك ونقَلوهُ عن الشَّامِ إلىٰ العِرَاق.

وروىٰ عَبْد الله بن مَسْعُودٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّىٰ يَأْتِيَ قَوْمٌ من قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، يَسْأَلُونَ الحَقَّ ١٢ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ فَيَنْتَصِرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا، وَلَا يَقْبَلُونَهَا حتىٰ يَدْفَعُوهَا إلىٰ رَجُلٍ من أهل بَيْتِي فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا، كَمَا مَلَؤُوهَا جَوْرًا، مَنْ أدْرَكَ ذلك منكُم فَلْيَأْتِهِمْ ولو حَبْوًا علىٰ الثَّلْجِ»[3].

١٥

[1] قارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٤٩.

[2] لم يرد هذا الحديث في الصحاح ولا في المسانيد. وقد وقفت عليه لدى: ابن سلمة الأزدي: شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، ج٩، ص١٥٧.

[3] أخرجه ابن ماجه في سننه، (كتاب الفتن) باب خروج المهدي. برقم ٤٢٢٠.

وقَرأتُ في الإنْجِيل: أنَّ المَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: [a)] «بحَقٍّ أقَول لكُم ليَأتِينَّ قَوْمٌ من المَشْرق فيَنْكِبُون بَنِي إبْرَاهِيم وإسْحاقَ ويَعْقُوب ـ صلوات الله عليهم ـ في مَلكُوتِ

٣ السَّماءِ ويَخْرُج بني المسْكُونة إلىٰ الظُّلْمة البَرَّانيَّـة حيث يكُون البُكَاء وصَرِيرُ الأسْنَان» [a)] [١].

ومما يزيد ما قلناه في فارس وضوحًا أن النَّبي ﷺ كان بعث عَبْد الله [b)] بن حُذَافَةَ

٦ السَّهْمِيِّ [٢] إلىٰ كِسْرىٰ، وكَتب إليه كِتَابًا بدَأ فيه بنَفْسِه. فلَمَّا قَرأهُ كِسْرىٰ غَضِبَ ومزَّقهُ وبعثَ إليه بتُراب. فقال النَّبيُّ ﷺ: «مزَّق كِتَابي أمَا إنَّه سَيُمزَّق دِينهُ وأُمَّتهُ ومُلْكهُ. وبعثَ إليَّ تُرابًا. أمَا إنَّكم سَتمْلِكُونَ أرْضَه» [٣].

(a-a) الفقرة في الكتاب المقدس: «الحق وأقول لكم:لم أجد ولا في بني إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا، وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات. وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان».

(b) في الأصل خنيس بن عبد الله. وهو خطأ.

---

[١] انظر: الكتاب المقدس (العهد الجديد) الترجمة العربية، دار الكتاب المقدس، ١٩٩٥م، إنجيل متى، الإصحاح ٨، فقرة، ١١-١٢.

[٢] عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي، أبو حذافة، بعثه النبي ﷺ بكتاب إلى كسرى، هاجر إلى الحبشة، وشهد فتح مصر، وتوفي بها نحو ٣٣هـ/٦٥٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٨٩-١٩٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص٨٨٨-٨٩١.

[٣] تجمع المصادر التي بين أيدينا أن كسرى أبرويز الثاني مزق رسالة النبي ﷺ، فدعا أن يمزق الله ملكه. أما ما زاده ابن الفقيه فلم تنص عليه المصادر.

فكيف تكون البَقِيَّة الحَسنَة لمن أعْلَمنَا رسُول الله ﷺ أنَّهم سيُمزَّقُون؟ ولَا جَرمَ أنَّهم قَد خلوا ودَرسُوا فدارسٌ[١] إلىٰ يَوْمِنا هذا.

٣ [وأهْلُ فَارِس][a] أبْخَع النَّاسِ بطَاعِة سُلْطَان، وأصْبَرهُم علىٰ الظُّلْمِ وأثْقَلهُم خَراجًا وأذلهم نفوسًا[٢]. وذكَر جماعَة من مشَايخهم أنَّهم لم يَعْرِفوُا عَدْلًا قَطّ. وأنَّ سِيرةَ عُمَر بن عَبْد العَزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَمِلت البِلَاد كلَّها غير بَلدهِم، فإنَّ عَامِلهُ الذي ٦ أنْفَذهُ إليهم هلكَ في مَسِيرهِ نحوهم.

ويَزْعُم قَومٌ من أَهْلِ السَّوادِ أنَّهم من أبْنَاءِ أشْرَاف فَارِس، وربَّما قال بعْضهُم إنَّهم قَوافِل خُرَاسَان وإنَّما كانوا. فإنَّ الله قد [١٦٢و] أسْبغَ عليهم بالعَربِ النِّعْمة، ٩ وظَاهَر لهم الكَرامَة وأنْقبَ لهم العِز، وأبْدلهُم بحَالهِم حَالًا لا يُنْكِرهَا غير مَنْقُوصٍ أو حَاسِدٍ كفُور. لأنَّ السَّواد فتَحهُ العَرب عُنْوةً. والإمَامُ مخيَّـرٌ في العُنْوةِ بين القَتْلِ والرِّقِ والفِدْيةِ والمنِّ، فاخْتَارُوا خَيرَ الأمُورِ لهم وحقَنُوا دمَاءهُم ومنُّوا عليهم ١٢ وأقرُّوا الأمْوَالَ في أيْديهِم.

ثمَّ جَاورُوا السُّلْطان من بنِي العبَّاس وأوْلياءه من أهْل خُرَاسَان، فاسْتَخْلصَهُم لأمُورهِ وجعَلهُم مَوْضِع سِرِّه واتَّخذَ منهُم الكتَّاب والوزَراءَ والأصْحَاب ١٥ والنُّدمَاء، فصَارُوا به أسْعَد من يَبْذُل في التَّمْهِيد والمُهْجَة والمَال. وهؤلَاء الذين ذكَرْنَاهُم، هم المشْهُورُون من النَّاس.

[a] ساقطة من الأصل، والتكملة من المقدسي: أحسن التقاسيم.

[١] أي انتهوا وفنوا. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: درس]ج٦، ص٧٩-٨٨.

[٢] انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٤٨.

فأمَّا من خفِي أمْرهُ ودخَل في جُمْلةِ النَّاسِ فلَا حَاجةَ بِنَا أنْ نقُصَّ عليه ولا نذْكُر أوَّله وآخِره، فنَجْعلهُ خَصْمًا وهو مُسْلمٌ، ويَفْتحُ عليه بَابٌ مثل ما عليه أولَئِك
٣ الطَّاعِنُون علىٰ العَربِ وقد قال الأُوَلُ (شِعْر):

[الطويل]

كفَانِي نَقْصًا أنْ أجُرَّ عَدَاوةً بقَوْلٍ أرَىٰ في غَيْرِهِ متوسَّعًا

وذكر عليُّ بن مُحَمَّد المدَائِني: أوَّل فُتوحِ خُرَاسَان الطَّبَسَيْنِ وهُما بَابَا خُرَاسَان
٦ فتحَها عَبْد الله بن بُدَيْلِ بْن وَرْقَاءَ في ولَاية عُثْمان بن عفَّان[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإيَّاهَا عنىٰ مَالِكُ بن الرَّيْبِ[2] (شِعْر):

[الطويل]

لعَمْري لئِن غَالتْ خُرَاسَانُ هَامتِي لقد كُنْتُ عن بَابيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
دَعَانِي الْهَوَىٰ مِنْ أَهْلِ ودِّي ولُحْمَتِي بِذِي الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفتُّ وَرَائِيَا

٩ [a) [ومن الرَّيِّ إلىٰ دَامَغَان ثمَانُون فَرْسخًا. ومن دامَغَان إلىٰ نَيْسَابُور مِثلُ ذلك] a)
ومن الرَّيِّ إلىٰ نَيْسَابُور مِائةٌ وستُّون فَرْسَخًا.

(a-a) زيادة من: المختصر.

[1] انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٩٠؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٤٠٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٠.

[2] مالك بن الريب بن حوط التميمي المازني، من الشعراء الأدباء الظرفاء، صحب سعيد بن عثمان إلى خراسان، ومات بها سنة ٦٠هـ/٦٨٠م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٣٤١-٣٤٣؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٦٤.

ولنَيْسَابُور قَهَنْدَز[١] وهي أحدُ كُور خُرَاسَان الجَلِيلة، ولها من المُدنِ: زَام، وبَاخَرْز، وجُوَيْن، وبَيْهَق.

٣ [(a)ولها اثْنا عَشْر رُسْتَاقًا في كلِّ رُسْتاقٍ مِائةٌ وستُّون قَرْيةً(a)] . ومن نَيْسَابُور إلى سَرْخَس أربَعُون فَرْسَخًا، ومن سَرْخَس إلى مَرْو مَدِينة خُرَاسَان ثَلاثِينَ فرْسَخًا. وتُسمَّى مَرْو الشَّاهِجَان؛ قال (شِعْر):

٦ [الوافر]

أدَارَتْ مَــــرْوَ رأْسَ أَبِي وأَبْقَــتْ عِــبْرَةً لِلْــعَابِرِينَا



٩

١٢

(a-a) زيادة من: المختصر.

[١] قهندز: اسم للحصن أو القلعة في وسط المدينة، في لغة أهل خراسان وما وراء النهر خاصة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٩.

٣ ## [مَرْو الشَّاهِجَان]

وسُمِّيت مَرْو الشَّاهِجَان لأنَّها كانت للْمَلِك [خاصَّة] ومعْنىٰ هذه الكَلمَة أنَّها رُوحُ المَلِك [١٦٢ظ] لأنَّ الشَّاه المَلِكُ، والجَانَّ الرُّوح فقيل: مَزْج الرُّوح[1].

٦ وسُمِّيت مَرْو الرُّوذ لأنَّه لم يكُن بها بِناءٌ فبعَثَ إليها كِسْرىٰ نَاسًا من السَّوادِ عليهم رجُلٌ يقالُ له بهْرَاميَّة فبُنوهَا وسكَنُوها.

ولما غَلبَ أرْدَشِيرُ علىٰ مُلْكِ النَّبطِ فرَأىٰ جَمالَهم وعُقولَهم قال: ما أخْوَفنِي إنْ ٩ حَدثَ بي حَدثٌ أنْ يعُودَ المُلْكَ إلىٰ هؤلاء. ففرَضَ لهم فَرْضًا وبعثَ منهُم بُعوثًا، وأغْزَاهُم خُرَاسَان وفرَّقهُم في البِلاد. إلَّا من لَيْستَ عليه منهُم مَؤونَة [a] من أهْل الذِّلة. فأهْل مَرْو من النَّبطِ [b][2].

١٢ وعن قَتَادة في قَوْلِهِ تعَالىٰ: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورىٰ: ٧] قال: أمُّ القُرَىٰ بالحِجَاز مكَّة. وبخُرَاسَان مَرْو.

[a] في الأصل: مؤدية، والتصويب من المختصر.
[b] في الأصل: القبط، والتصويب من المختصر.

[1] انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٩٩.
[2] قارن: مختصر الكتاب، ص٣١٩.

ولَمَّا ملَك طَهُومَرْث بنىٰ قَهَنْدز مَرْو، وبنىٰ مَدِينة بَابِل ومَدِينة إبْرَايين -وهي بَأرْضِ قَوْمِ مُوْسىٰ- وبنىٰ مَدِينةً بالهِنْدِ في رَأسِ جبَلٍ يقال له أوق. وخُمَانِي بِنْت أرْدَشِير بن أسْفِنْدِيَار أُمِرت لَمَّا مَلكَت ببِنَاء الحَائِط الذي حَوْلَ مَرْو.

ويُقال إنَّ طَهْمُورث لَمَّا بنىٰ قَهَنْدز مَرْو، بَناهُ بألْفِ رجُلٍ وأقَام لهُم سُوقًا فيها الطَّعَامُ والشَّرابُ، فكانَ إذا أمْسَىٰ الرَّجل أُعْطِي دِرْهمًا فاشْتَرىٰ به طعَامهُ وجَميعَ ما يَحْتَاجُ إليه، فتَعُود الأَلْفُ دَرْهمٍ إليه. فلم يُخْرِج في البِنَاءِ إلَّا الألْفَ دِرْهمٍ[1].

وكان بمَرْو بَيْتٌ قَدِيمٌ يقال له: كِيْ مَرْزُبَان. فإذا ارْتفَع من الأرْضِ مِقْدَار قَامةٍ، كان مَحْمُولًا إلىٰ السَّقْفِ علىٰ أرْبَعةِ صُورٍ، وفي جَوانِبهِ رجُلَان وامْرأتَان. وكانت فيه صُورَةٌ عَجِيبَةٌ لا يُدْرىٰ ما هي، فجَاء قَومٌ فادَّعُوا أنَّه لهم وأنَّ أبَاهُم بناهُ، فنَقضُوه وابْتَاعُوا ما كان فيه من الخَشَبِ وما كان في صُورهِ من الذَّهبِ. وكان بَيْتًا عَجِيبَ الصَّنْعةِ، فأصَابت مَرْو وقُراهَا في السَّنةِ التي هُدِم فيها حَوائِجُ عِظَام. فزعَمَ أهْلُ مَرْو أنَّه كان طَلْسَمًا للعُمْران وأنَّه لَمَّا [زَال][a] نَال البَلدَ وأهْله ما نَاهُم.

ووفَد علىٰ بعْضِ الخُلَفاءِ رجُلٌ من أهْلِ خُرَاسَان له عَقْلٌ ومَعْرِفةٌ فقال: أخْبِرنِي من أصْدَق أهْل خُرَاسَان؟ قال: أهْلُ بُخَارَىٰ. قال: فمن أوْسَعهُم بَذْلًا للخَيْرِ[b]؟ فقال: أهْلُ الجُوْزَجَان[2].

---

[a] زيادة يقتضيها السياق.

[b] في المختصر: للخبز والملح.

---

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: مرو الشاهجان] ج٥، ص١١٣.

[2] قارن: مختصر الكتاب، ص٣١٩.

قال: فمن أَحْسنُهُم [١٦٣و] ضِيَافةً؟ قال: أَهْلُ سَمَرْقَنْد. قال فمن أدَقُّهُم نظَرًا؟ قال: أَهْلُ مَرْو. قال: فمن أسْوؤهُم طَاعةً وأذْهَبهُم بنَفْسِه؟ قال: أَهْلُ خَوارَزْمِ. قال: فمن أحْسَنهُم فِطْنَةً وأبْعَدهُم غَوْرًا؟ قال: أَهْلُ مَرْو الرُّوذ. قال: فمن أصْدَقهُم عقُولًا، قال: أَهْلُ طُوسٍ إنْ [رضِي] [a] أَهْلُ نَسَا.

قال فمن أكْثرهُم جَدلًا وشَغبًا؟ قال: أَهْلُ سَرْخَس. قال: فمن أضْعَفهُم رَأْيًا وتَدْبِيرًا؟ قال: أَهْلُ نَيْسَابُور. قال: فمن أقَلُّهُم غِيرة؟ قال: أهل هَرَاة. قال: فمن أجْهَلهُم بالخَالِق؟ قال: أَهْلُ بُوشَنْج وبَادغِيس. قال: فمن أرْمَاهُم؟ قال: أَهْل خُوَارَزم. قال: فمن أبخَلهُم؟ قال: أَهْل مَرْو [١]. وأنْشَد:

[الطويل]

مَيَاسِيرُ مَرْوٍ من يَجُودُ لضَيْفِكُم بِكِرْشٍ فقد أمْسَىٰ نَظِيرًا لحَاتِمِ
ومن رَشَّ بَابَ الدَّارِ منهُم بغَرْفَةٍ فقد كَمُلَتْ فيه خِصَالُ المكَارِمِ
يُسمُّونَ بطْـنَ الشَّـاةِ طَاووسَ وعند طَبِيخِ اللَّحْمِ ضَرْبُ الجَماجِمِ
فَلا قَدَّسَ الرَّحْمنُ أرْضًا وبَلْدَةً طَواوِيسُهم فيها بطُونُ البَهائِمِ

---

[a] بياض في الأصل: والتكملة من المختصر.

[١] قارن: مختصر الكتاب، ص٣٢٠.

وكان المَـأْمُونُ يقول: اسْتَوىٰ الشَّرِيفُ والوضِيعُ من أهْل مَرْو في ثَلاثةِ أشْيَاءٍ: الطَّبِيخُ النَارَنْك[١]، والمَاءُ البَارِدُ بغَيْرِ الثَّلْجِ، والقُطْنُ اللَّين.

٣ وبمَرْو الرَّزِيقُ والمَاجَان، وهما نَهْرانِ كَبِيرانِ حسَنانِ منهُما سَقْيُ أكثرُ ضِيَاعِهم ورَسَاتِيقِهم[٢]. وأنْشَد لعَليٍّ بن الجَهْمِ[٣] (شِعْر):

[الخفيف]

٦
جَاوَزَ النَّهْرينِ والنَّهْروانَا أَجلَوْلَاء يَوْمُ أم حُلْوانَا
ما أظُنَّ النَّوىٰ يُسَوِّغُهُ القُر بُ ولم تَخُضِ المَطِيُّ البِطَانَا
نشَطتْ عقْلَها فهبَّتْ هُبوبُ يحِ خَرْقَاء تخْبِطُ البُلْدَانَا
أوْرَدَتْنا حُلوانَ ظَهْرًا لَيْلًا وصَبَّحتْ هَمَذَانَا
أنْظَرتَنَا إذا مررَنَا بمَرْو ووَرَدْنَا الرَّزِيقَ والمَاجَانَا
إنْ نَجِيءَ دِيَار جَهْمٍ بِخَيرٍ ونَسْأَلَ الإخْوَانَا

---

[١] النارنك: لفظة فارسية عربيتها نارنج، وهو نوع من الليمون أحمر اللون. انظر: أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٥٢.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: مرو الشاهجان] ج٥، ص١١٣-١١٤.

[٣] انظر فيما تقدم ص٣٣٩.

[١٦٣ظ] قال وحدَّثَني أحْمَد بن جَعْفَر[١]: حدَّثَني أبو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُدْرِكٍ[٢] قال: كنتُ عند أبي إسْحَاق الطَّالقَانِي[٣] يومًا بَمَرْو علىٰ الزَّرِيق في المَسْجِد الجَامِع فقال أبو ٣ إسْحَاق: كنَّا يَوْمًا عند ابن المُبَارك، فانْهَار القَهَنْدز فتنَاثَرت منه جَماجِم فتصَدَّعتْ جُمْجُمة منْهنَّ وتنَاثَرت أسْنَانهَا فوزَنَّا سِنَّين منها، فكان في كلِّ واحِدةٍ منهُما مَنَوانِ[٤] أربعة أرْطَال. فأتىٰ ابن المُبَارك بهما، فأقْبَلَ يوزِنْهُما بيَدِه سَاعةً ثمَّ قال (شِعْر):

٦ [المتقارب]

أُتيتُ بِسِنَّيْنِ قَدْ رُمَّتَا ... مِنَ الْحِصْنِ لَمَّا أَثَارُوا الدَّفِينَا
عَلَىٰ وَزْنِ مَنوَيْنِ إِحْدَاهُمَا ... بِهِ الْكَفُّ شَيْئًا رَزِينَا
ثَلاثينَ أُخْرَىٰ عَلَىٰ قَدْرِهَا ... تَبَارَكْتَ يَا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَا
فَمَـــاذَا يَقُـــومُ لِأَفْوَاهِهَا ... وَمَا كَانَ يَمْلَأُ تِلْكَ الْبُطُونَا
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ أَجْسَامَهُمْ ... تَقَاصَرتِ النَّفْسُ حَتَّىٰ تَهُونَا
وَكُلٌّ عَلَىٰ ذَاكَ لَاقِي الرَّدَىٰ ... وَبَادُوا جَمِيعًا فَهُمْ خَامِدُونَا

---

[١] مرت ترجمته ص٧١٩.

[٢] عمر بن مدرك القاص الرازي، أبو حفص، سكن الري، ثم قدم بغداد وحدث بها، وتوفي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٤م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٥٠-٥٢؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٢٨، ص٤٨١.

[٣] إبراهيم بن إسحاق بن عيسى البناني، أبو إسحاق الطالقاني، سمع ابن المبارك وبقية. وتوفي سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م. انظر في ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٢٧٣؛ ابن حبان: الثقات، ج٨، ص٦٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص٥١٦-٥١٨.

[٤] المنوان: مثنى المن. وهو معيار قديم يوزن به السمن وغيره. ومقداره رطلان، ويقدر بالجرام نحو٧٧٣,٥. انظر: علي جمعة، المكاييل والموازين، ص٢٨.

وقال إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَمَّاسٍ الطَّالَقَانِيُّ:[١] قَدمْتُ علىٰ عَبْد الله بن المُبَارَك من سَمَرْقَنْد إلىٰ مَرْو، فأخذ بيَدِي فأخْرَجنِي فأطَافَ بي حَوْلَ سُور مَدِينَة مَرْو. ثمَّ قال لي: يا إِبْرَاهِيمُ من بنَىٰ هذهِ المَدِينة؟ قلت لا أَدْرِي يا أبَا عَبْد الرَّحْمَن.

٣

قال: فمَدِينة مثل هذه لا يُعْرَفُ من بنَاها! [a) وقَدْ أخْرَجتْ مَرْو من الأعْيَانِ وعُلَماءِ الدِّين والأرْكَانِ ما لم تُخْرِج مَدِينةٌ مثْلَهُم، منهم: أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل الإمَام[a) وسُفْيان بن سَعِيد الثَّوْرِي مات ولَيْسَ له كفَنٌ واسْمهُ حَيٌّ إلىٰ يَوْمِ القِيَامة[٢].

٦

قال [أبو] مُعَاذ التِّرْمِذِيُّ[٣]: أَرْبَعةٌ من أصْحَابِ رسُول الله ﷺ ماتوا بِمَرْو وحَوالَيْهَا: [أبو] بَرْزَةَ[b) الأسْلَمِيُّ[٤]، وبُرَيْدَةُ بن الحُصَيْب[٥].

٩

(a-a) تتمة العبارة من: ياقوت.

b) رسمت في الأصل: بريدة.

[١] إبراهيم بن شماس، أبو إسحاق السمرقندي، كان فاضلا عالما ثقة ثبتا في الرواية، متعصبا لأهل السنة، توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج٧، ص٥-٧.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: مرو الشاهجان] ج٥، ص١١٤.

[٣] أبو معاذ الترمذي، روى عن سفيان بن عيينة، وتوفي سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م. انظر في ترجمته: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٤، ص٤٧٦-٤٧٨.

[٤] نضلة بن عبد الله بن الحارث بن حبال، أبو برزة الأسلمي، مشهور بكنيته، صحابي جليل شهد فتح مكة، وقاتل الخوارج مع علي بن أبي طالب، ثم غزا خراسان وتوفي بها سنة٦٤هـ/٦٨٤م. انظر في ترجمته وأخباره: طبقات خليفة بن خياط، ص١٨٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٤٩٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٥٣٥-٥٣٧.

[٥] تقدمت ترجمته ص٧٥٧.

والحَكَمُ الغِفَارِيُّ[١] ، وقُثَمُ بنُ العَبَّاسِ بنِ عبْدِ المُطَّلِب[٢] .

[إقْلِيم خُرَاسَان]

٣

وقال البِلَاذُرِيُّ[٣] : خُرَاسَان أَرْبعَةُ أرْبَاع. فالرُّبْع الأَوَّل: إيرَانْشَهْر، وهي نَيْسَابُور، وقُهِسْتَان، و الطَّبَسَيْنِ، وهَرَاة، وبُوشَنْج، وبَادغِيس، وطُوس، واسْمُهَا طَابَران. والرُّبْعُ الثَّانِي: مَرْو الشَّاهِجَان، وسَرْخَس ونَسَا وبَاوَرْد، ومَرْو الرُّوذ، والطَّالقَان [١٦٤و] وخُوارِزْم، وآمُل، وهما علىٰ نَهْرِ بَلْخ، وبُخَارَىٰ. والرُّبْعُ الثَّالِث: وهو غَرْبِي النَّهْر وبَيْنهُ وبين النَّهْرِ ثَمانِية فَرَاسِخ، الفَارِيَاب، والجُوْزَجَان، وطُخَارِسْتَان العُلْيَا، [a) وهي الطَّالقَان، والخُتَّل، وهي وَخْش، والقُوَادِيَان] (a وخَسْت.

٦

٩

(a-a) الزيادة من المختصر.

[١] الحكم بن عمرو بن مُجَدَّع بن حذيم الغفاري، صحب رسول الله ﷺ وتوفي بمرو سنة ٥٠هـ/٦٧٠م. ودفن هو وبريدة الأسلمي في موضع واحد أحدهما إلى جنب صاحبه. انظر في ترجمته: الدارقطني: المؤتلف والمختلف، ج٤، ص٢١٦٩؛ ابن عبد البر: المصدر السابق، ج١، ص٣٥٦-٣٥٨.

[٢] قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وكان أكثر الناس شبهًا به. غزا خراسان في أيام معاوية واستشهد بها. واختلف في سنة وفاته. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٦٧؛ ابن عبد البر: المصدر السابق،ج٣، ص١٣٠٤-١٣٠٥ .

[٣] لم أقف على هذا القول في كتاب فتوح البلدان للبلاذري، وقد نسبه إلى البلاذري كل من المقدسي، وياقوت الحموي، قارن: أحسن التقاسيم، ص٣١٣؛ ومعجم البلدان، [مادة: خراسان]، ج٢، ص٣٥١. ما يعني أنهم ربما اطلعوا على نسخة أتم من التي بين أيدينا.

وأَنْدَرَابَة، والبَامِيَان، وبَغْلَان، ووالِجُ[١]. وهي مَدِينة مُزَاحِم بن بَسْطَام[٢]، ورُسْتَاق بَيْل وبَذَخْشَان وهي مَدْخَلُ النَّاسِ إلىٰ التُّبَّت، ومن أَنْدَرَابَة مدْخَلُ النَّاس إلىٰ كَابُل، والتِّرْمِذ، وهي في شَرْقِي بَلْخ والصَّغَانِيَان. وزَمُّ، وطُخَارِسْتَان السُّفْلىٰ، وخُلْم وسِمِنْجَان.

والرُّبْعُ الرَّابع[٣]: مَا وراء النَّهْر بُخَارَىٰ، والشَّاش، والطُّرَارْبَنْد، والسُّغْد، وهو: كِشٌّ ونَسَف، والرُّويسْتَان، و أَسْرُوشَنَة، وسَنَام قَلْعَةُ الْمُقَنَّع، وفَرْغَانَة، وسَمَرْقَنْد، (a[وأَبَارْكَت، وبنَاكَت، والتُّرْك]a)، ولسَمَرْقَنْد أَرْبَعةُ أَبْوَاب: بَابُ كَبِير، وبَابُ الصِّين، وبَابُ أَسْرُوشَنَة ، وبَابُ الحَدِيد.

(a-a) التتمة من: المختصر.

[١] قارن نص المختصر ص٣٢١-٣٢٢.

[٢] مزاحم بن بسطام، عامل الخليفة العباسي المنصور على مدينة الباميان. وكان بها رجل دهقان يسمى أسدًا، وهو بالفارسية الشير، فأسلم على يده، وزوج ابنته لمحمد بن مزاحم ويكنى أبا حرب. انظر: اليعقوبي: البلدان، ص١١٩.

[٣] اعتمد بعض الجغرافيين القدامى تقسيمة البلاذري لإقليم خراسان في الثلاثة الأولى فقط، واختلفوا معه في الأخير. فذكر المقدسي:« والربع الرابع ما وراء النهر: وهذا أيضًا يخالف مذهبنا وقياسنا يؤدّى أن تكون سرخس خزانة لنيسابور غير أنَّا تركنا القياس واستحسنَّا أن نجعلها مضافة إلى مرو لأنها معها في أرض واحدة مع تقاربهم في الرسوم واللسان والمسافة». بينما علل ياقوت الحموي ذلك بقوله: «إن جميع ما ذكره البلاذري من البلاد كان مضمومًا إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها». أما الربع الرابع الذي يقع فيه الخلاف فقال عنه ياقوت: «فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها، وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات نخيل، لا عمل بينها وبين خراسان». انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣١٣؛ معجم البلدان، ج٢، ص٣٥١.

وبين سَمَرْقَنْد وأسْرُوشَنَة نَيْفٌ وعشْرُونَ فَرْسخًا، وخُجَنْدَة مُتَيامِنَة عن أَسْرُوشَنَة إلىٰ الجَبَلِ والبَاميَان إلىٰ نَاحِية كَابُل، والنَّبْج قَرْيةٌ من أسْرُوشَنَة إلىٰ نَاحِية الجَبَلِ والبَاميَان. ٣

وكان إصْبَهْبَذ خُرَاسَان يَسْتَعمِل أَرْبَعَةَ مرَازِبة علىٰ أرْبَاعِ خُرَاسَان، مَرْزُبَان علىٰ رُبْعِ مَرْو الشَّاهِجَان، ومَرْزُبَان علىٰ بَلْخ وطُخَارِسْتَان، ومَرزُبَان علىٰ هَرَاة وبُوشَنْج ونَيْسَابُور، ومَرْزُبَان علىٰ ما ورَاء النَّهْر. ٦

ومن مَرْو طَريقَان أحْدُهما إلىٰ الشَّاشِ والأخير إلىٰ بَلْخ وطُخَارِسْتَان، فمن مَرْو إلىٰ مَدِينة بَلْخ مِائةٌ وسِتَّةٌ وعُشْرونَ فَرْسَخًا؛ وهي اثْنَان وعشْرُونَ مَنْزلًا.

قال الأحْوَص[1]: ٩

[الكامل]

تُجْبَىٰ لهُ بَلْخٌ ودِجْلَةُ كلُّهَا ولَهُ الفُرَاتُ وما سَقىٰ والنِّيلُ

١٢

ويُقال أنَّ لهرَاسِف بنىٰ مَدِينة بَلْخ وعمَّرهَا، وخَرَّب مَدِينة بَيْتِ المَقْدِس وشرَّدَ من بها من اليَهُود.

وقال الضَّحَّاك[2]: أَسْرَعُ الأرْضِ خرابًا من المَشْرِق بَلْخ. ١٥

[1] عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، شاعر هجاء، لقب بالأحوص لضيق في عينيه،كان معاصرًا لجرير والفرزدق، وتوفي سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج٢،ص٦٥٥-٦٥٩؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١، ص٥٠٩-٥١٠.

[2] تقدمت ترجمته ص٦٨٢.

ويقال إنَّ الإسْكَنْدَر بنَىٰ بَلْخَ وقِيلَ إنَّه مَات [بها]، وقَدْ قَاتَل مُلُوكًا كَثِيرة وقَهرهُم وغَلبهُم غَلبَاتٍ مَشْهُورةٍ، وهزَم جُنُودًا ذَات قُوةً ووطِئ بُلْدَانًا كَثِيرة، ٣ وكانت مُدَّة عُمْرِه اثْنَتَين وثَلاثِين سَنة وسبْعَة أشْهُرٍ لم يَسْتَرِح في شَيءٍ منها.

ويقُال إنَّه مَلكَ الأرْضَ كلَّها ودَانَت [له] سَائِر مُلُوكهَا، وبنَىٰ ثَلاث عَشْرَةَ مَدِينَة وسَمَّىٰ كلَّها الإسْكَنْدرِيَّة. بعْضُها قَائِمٌ إلىٰ اليَوْمِ، وقد غُيِّرت بعْضُ [١٦٤ظ] ٦ أسمَائِها. منها الإسْكَنْدرِيَّة التي بنَاهَا علىٰ اسْمِ فَرِسه فقليوس وتفْسِيره: رَأسُ الثَّور.

ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي في باورنقوس، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي تُدْعىٰ المُحَصَّنة، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي بنَاهَا في بِلَاد الهِند، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي في جَاليقوس، ٩ ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي في بلاد السَّقوياسيس.

ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي علىٰ شَاطِئ النَّهر الأعْظَم، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي بأرْض بَابِل، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي في بِلَاد السُّغْد وهي سَمَرْقَنْد، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي ١٢ تُدْعَىٰ مَرْغَلبوس وهي مَرْو، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي في مجَارِي الأنْهَار بالهِنْد، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة العُظْمَىٰ التي في بِلَاد مِصْر، ومنها الإسْكَنْدرِيَّة التي سُمِيتْ كُوش وهي بَلْخ. فهذه مَدائِنه التي بنَاهَا ومَات ببَابِل مَسْمُومًا[١].

١٥

[١] نقل ياقوت الحموي هذه المادة من ابن الفقيه مصرحًا بقوله: «...فهذه ثلاث عشرة إسكندرية نقلتها من كتاب ابن الفقيه كما كانت فيه مصورة». قارن: معجم البلدان، [مادة: الإسكندرية] ج١، ص١٨٣.

[النُّوبَهار]

٣ وببلخ النُّوبَهَار وهو من بَنَاء البَرَامِكَة.

قال عُمَرُ بن الأَزْرَق الكِرْمَانِيُّ[١]: كانت البرَامِكَة أَهْل شَرَفٍ علىٰ وجْهِ الدَّهْرِ بَبَلْخَ قبل مُلُوك الطَّوَائِف، وكان دِينُهُم عِبَادَةَ الأَوْثَانِ، فوصِفَتْ لهم مَكَّة وحَالُ

٦ الكَعْبَةِ بها وما كَانت قُرَيْش ومن والَاهَا من العَرَبِ تُدِين به[a]، فاتَّخَذُوا بَيْت النُّوْبَهار مضَاهَاة لبَيْتِ الله الحَرَام، ونصَبُوا حَوْلهُ الأَصْنَام وزَيَّنُوه بالدِّيْبَاجِ والحَرِير وعَلَّقُوا عليه الجَوَاهِر النَّفِيسَة.

٩ وتَفْسِيرُ النُّوْبَهار: الجَدِيد[b]. وكانَتْ سُنَّتُهُم إذا بَنُوا بِنَاءً حسَنًا أو عَقدُوا طَاقًا شَرِيفًا أنْ يُكَلِّلُوه بالرَّيْحَان، ويتَوخُّون بذلك أوَّل رِيحَان يطْلعُ في ذلك الوَقْت. فلمَّا بنُوا ذلك البَيْت جعَلُوا عليه أوَّل ما ظهَر من الرَّيْحَانِ فكان البُهَار فسمي نُوبَهار

١٢ [لذلك][c].

[a] في ياقوت: يأتون إليها ويعظمونها.

[b] في ياقوت بزيادة:لأن نو الجديد.

[c] زيادة من: ياقوت.

[١] عمر بن الأزرق الكرماني، أبو حفص، قيل إن المأمون عرض عليه الوزارة ولكنه ترفع عنها. ألف كتابًا في أخبار البرامكة وفضائلهم، وهو كتاب مفقود وقد نشر قطعة منه إحسان عباس ضمن كتاب: شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت تونس، ١٩٨٨م. وله ذكر لدى الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١،ص٤٣٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٦، ص٧، ج٣٣، ص٣١٥.

وكَانت العَجَم تُعَظِّمهُ وتَحجُّ إليه وتُهْدِي له وتُلْبِسُهُ أَنْوَاع الثِّيَاب وتَنْصُب علىٰ أعْلَىٰ قُبَّتِه الأعْلَام. وكانوا يُسَمُّون قُبَّته الأُستُن، وكانت مِائةُ ذِرَاعٍ في مِثْلِها، وارْتِفَاعهَا فَوْقَ مِائةِ ذِرَاعٍ بَأَرْوِقَةٍ مُسْتَدِيرة حَوْلَهَا، وكان حَوْلَ البَيْتِ ثَلاثُمِائةٍ وستُّون مقْصُورة يَسْكُنها خُدَّامهِ [١٦٥و] وقُوَّامه وسَدَنتهِ.

وكان علىٰ كُلِّ واحِدٍ من سُكَّان تِلْكَ المَقَاصِير خِدْمَة يوْمٍ لا يَعُود إلىٰ الخِدْمَةِ حَوْلًا كَامِلًا. ويُقال إنَّ الرِّيح كَانت ربَّما حَملت الحَرِير من العَلَم الذي فَوْقَ القُبَّـة فتُلْقِيها بتَرْمِذ وبينهُما اثْنَا عَشر فرْسَخًا، وكانوا يُسَمُّون السَّادن الأَكْبَر بَرْمَك، لأنَّهم شَبَّهُوا البَيْت بِمَكَّة وقالوا: سَادنه بَرْمَكه. فكانَ كلُّ من وَلِي منهُم السَّدَانة يُسَمَّىٰ بَرْمَكًا. وكانت مُلُوك الهِنْدِ والصِّين وكَابُل شَاه وغَيْرهُم من المُلُوك تُدِينُ بذلك الدِّين وتَحجُّ إلىٰ هذا البَيْت. وكَانت سُنَّتهُم إذا هُم وافُوه أنْ يَسْجُدوا للْصَّنَمِ الأَكْبَر ويُقَبِّلوا بَرْمَك، وكانوا قَدْ جعَلُوا للْبَرْمَك ما حَوْلَ النُّوْبَهار من الأرْضِينَ سَبْعة فَرَاسِخ في مِثْلِها وسَائِر أهْل ذلك الرُّسْتَاق عَبِيدٌ له يَحْكُم فيهم بمَا يُرِيد.

وكانوا قَدْ صَيَّرُوا للْبَيْتِ وقُوفًا كَثِيرةً وضِياعًا عَظِيمةً سِوَىٰ ما يُحْمَلُ إليه من الهَدَايَا التي تتجَاوَز كلَّ حَدٍّ، وسَائِر أمْوَال ذلك مَصْرُوفَة إلىٰ البَرْمَك الذي يَكُون عليه، فلم يَزل يَلِيه بَرْمَك بعد بَرْمَك إلىٰ أنْ افتُتِحَت خُرَاسَان أيَّام عُثْمَان بن عَفَّان ﵁، وقد وصَلتْ السَّدَانةُ إلىٰ بَرْمَك أبي خَالِد فسَار إلىٰ عُثْمَان ﵁ مع دَهَاقِين كانوا قَدْ ضِمنُوا مَالًا في البَلَدِ. ثمَّ إنَّه رَغِبَ في الإسْلَام فَأَسْلَم وسُمِّي عَبْد الله ورَجِع إلىٰ وَلَدِهِ وأهْلِهِ وبَلدِه فَأنْكَروا عليه إسْلَامَهُ وجعَلُوا بَعْض ولَدِه مكَانِه بَرْمَكًا. فكَتب إليه نَيْزَك طُرْخَان، وهو أَحَدُ المُلُوك يُعْظِّم ما أَتَاهُ من الإسْلَام ويَدْعُوهُ إلىٰ الرُّجُوعِ

في دِينِ آبائِهِ فأَجَابهُ بَرْمَك: إنِّي إنَّما دخَلْتُ في هذا الدِّينِ اخْتِيَارًا لهُ وعِلْمًا بفَضْلهِ من غَيرِ رَهْبة ولا خَوْف، ولم أكُن لأرْجَع إلىٰ دِينٍ بَادِي العَوَار مُهتَّك الأسْتَار.

٣ فغَضِب نَيْزَك وزَحفَ إلىٰ بَرْمَك في جَمْعٍ كَثِيفٍ. فكَتَبَ إليه بَرْمَك: قَدْ عَرِفتَ حُبِّي للسَّلامَة وإنِّي إنْ اسْتَجَرتَ المُلُوك عَلَيْكَ أنْجَدُوني فاصْرِف عني أعِنَّة خَيْلِك وإلَّا حَمَلْتَنِي علىٰ لِقَائِك! فانْصَرفَ عنه ثمَّ اسْتَغرَّهُ وبيَّتهُ [١٦٥ظ] فقَتلَهُ، وعَشْرَة بَنِين ٦ له، فلَمْ يَبْق له خِلْفٌ سِوَىٰ بَرْمَك أبي خَالِد، فإنَّ أمَّهُ هَربَتْ به وكان صَغِيرًا إلىٰ بِلَاد القَشْمِير [من بِلَادِ الهِنْد] [a] فنشَأ هناك وتعَلَّم النُّجُوم والطبَّ وأنْوَاعًا من الحِكْمَةِ وهو علىٰ دِينِ آبَائِه، ثمَّ إنَّ أهْل بَلدِهِ أصَابهُم طَاعُونٌ ووبَاءٌ فتَشَاءَمُوا بمُفَارَقةِ دِينَهُم ٩ ودخُولهَم في الإسْلَام، فكَتَبُوا إلىٰ بَرْمَك حتىٰ قَدِم عليهم فأجْلَسُوهُ في مكَانِ أبِيه وتَولَّىٰ أمرَ النُّوْبهار، فسُمِّي بَرْمَكًا.

فتَزَّوجَ بَرْمَك بِنْت مَلِك الصَّغانْيَان فوَلَدت له الحَسن وبه كَان يُكنَّىٰ، وخَالِدًا ١٢ وعمَرًا. [b)] [وأختًا يُقال لهَا] [b)] أمُّ خَالِد، وسُلَيْمان بن بَرْمَك من امْرَأةٍ غيرهَا من أهْلِ بُخَارَىٰ [١]. وأهْدَىٰ صَاحِبُ بُخَارَىٰ إلىٰ بَرْمَك جَارِية فولَدت له كَالَ بن بَرْمَك، وأمَّ القَاسِم، [وبِنْتًا أخْرَىٰ] [c)] وللبَرامِكَةِ أخْبَارٌ كَثِيرةٌ يطُولُ أمْرُها، وإنَّما ذَكَرنا هذا الخَبرَ ١٥ بِسَببِ بِنَاءِ النُّوْبهار.

[a)] ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت. [(b – b)] ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت.

[c)] ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت.

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: نوبهار] ج٥، ص٣٠٧–٣٠٨؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٣١–٣٣٢.

[نَهْر جَيْحُون]

٣ وبِبَلْخَ جَيْحُون وهو نَهْرهُم العَظِيم، وبَيْنهُ وبَيْن بَلْخ اثْنَا عَشْر فَرْسَخًا. والتِّرْمِذ وبُخَارَىٰ وجِبَالها وعُيونها وأنْهَارهَا التي من الجَانِب الأقْصَىٰ في الشَّمالِ والمُدن التي علىٰ يَمِين النَّهْرِ والأنْهَار الصِّغَار التي في هذه الجِبَال الشَّرقيَّة التي من نَاحِية القِبْلَة ٦ ومن نَاحِية الدَّبُور تَصُبُّ إلىٰ هذا النَّهر أعْنِي نَهْر بَلْخ.

وهو يَجِيءُ من نَاحِية المُشرق من مَوْضِعٍ يقُال له ريوسَارَان وهو جَبلٌ يتَّصِلُ بنَاحِية السِّنْدِ والهِنْدِ وكَابُل. ومنه عَينٌ تَجْرِي من مَوْقعٍ يقُال له عَذْمِين وإسْفِزارُ [a] ٩ من هذا الجَبل[١].

ويجتمع بمرو ويجيء إلىٰ مرغاب ثمَّ يمر إلىٰ أمُّويَه[٢] ويَشقُّ خُوارِزْم فيَصِير إلىٰ البَحْر الخُراسَانِي وهو بَحرُ الخزَر ثمَّ يَدْخُل الصِّين.

[a] رسمت في الأصل: استرز.

[١] إسفزار: مدينة من نواحي سجستان من جهة هراة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧٨.

[٢] أمُّويه: هي مدينة آمل المشهورة الواقعة غرب نهر جيحون، في طريق المتوجه من بخارى إلى مرو. وذكر ياقوت لها ثمانية أسماء:«... ويقال لهذه آمل زمّ، وآمل جيحون، وآمل الشطّ، وآمل المفازة، لأن بينها وبين مرو رمالا صعبة المسالك ومفازة أشبه بالمهالك. وتسمَّى أيضًا آمو، وأمُّويه، وربّما ظنّ قوم أن هذه الأسامي لعدَّة مسميَّات وليس الأمر كذلك...». انظر: معجم البلدان، [مادة: آمل] ج١، ص٥٧-٥٩.

ونصَارَىٰ خُرَاسَان تَمِيلُ إلىٰ الثَّـنَوِيَّة[١] السُّمَنِيَّة[٢] إلَّا أنَّ نَسْطُور لما دخلَها مَالُوا إلىٰ مَذْهَبِهِ. وأصْلُ هذا النَّهْر في المَشْرِق وعليه معَادِن البِلَّوْر وغَيْره من الأحْجَارِ

٣ النَّفِيسَة، وعليه أيْضًا مَعْدنُ ذَهبٍ جَيدٍ.

ومن بَلْخَ إلىٰ شَطِّ جَيْحُون اثْنَا عَشْر فَرْسَخًا، فذَاتِ اليَمِين علىٰ الشَّطِّ كُورَة خُلْم[a] ، ونَهْر الضُّرْغَام، وذَاتِ اليَسَار مَرْو وخُوارِزْم واسْمُها فِيل. وهي جَانِبَان

٦ علىٰ نَهْر بَلْخ يَشُقُّها جَيْحُون [١٦٦و] وآمُل وزَمَّ وجِبَال الطَّالقَان [b)]والبَحْر والجَوْزَجَان[b)] وأقَاصِي قُرىٰ بَلْخ[٣] (شعر)[٤]:

[الوافر]

سَقَىٰ مُزْنَ السَّحَابِ إذَا اسْتَهَلَّتْ مَصَــارِعَ فِتْيَةٍ بِالْجُوزَجَانِ

[a)] كما في الأصل، وابن خُرَّداذْبه. وفي المختصر: الختل.

[(b - b)] في ابن خراذابة: والفارياب، والنخذ، والجوزجان.

[١] الثنوية: من يعتقدون بوجود إلهين اثنين إله للخير وإله للشر، ويرمز لهما بالنور والظلام، ويقولون بأن النور والظلمة أزليان قديمان. الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٥١م، ج٢، ص٤٩؛ انظر: المعجم الوسيط، ج١، ص١٠٢.

[٢] السمنية: فرقة بالهند دهرية يعبدون الأصنام يقولون بتناسخ الأرواح وينكرون وقوع العلم أي اليقين بغير الحس، وتنسب إلى السومنات. وهو اسم صنم بولاية سورتهه بالهند. انظر: النديم: الفهرست،ج٢، ص٤٢٢؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٥٥.

[٣] بنصه لدى ابن خُرَّداذْبه، قارن: المسالك والممالك، ص٣٣.

[٤] ينسب هذا الرثاء إلى كثير بن الغريزة النهشلي، قيل في الفرسان الذين استشهدوا مع الأقرع بن حابس التميمي في فتح الجوزجان. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق،[مادة: جوزجان]، ج٢، ص١٢٨؛ حسين عطوان، الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٦٩.

ويَعْبُر نَهْر بَلْخ هذا إلىٰ التِّرْمِذ -وهو معها- ويَضْرِب سُورَها ومَدِينَتها علىٰ حَجَر طَرِيق الصَّغَانِيَان. ومن التِّرْمِذ إلىٰ الرَّاست ثمانُون فَرْسَخًا، والرَّاسِت أقْصَىٰ
٣ خُرَاسَان من ذلك الوَجْه. وهي بين جَبَلَيْنِ، وكان منهُما مَدْخَلُ التُّرْك بِلَاد الإسْلَام للغَارَة عليهم، فعَلَّق الفَضْلُ بن يَحْيَىٰ بن خَالِد هناك بابًا.

ومن بَلْخ إلىٰ طُخَارِسْتَان العُلْيَا ثمانِيَةٌ وعشْرُونَ فَرْسَخًا. وهناك قَرْيَةٌ يقال لها
٦ قَارِض. وبالقُرب منها قُرَىٰ بِسْطَام بن سَوْرَة بن عَامِر بن مُسَاوِر[١].

ولما أنْ أقرَّ ابنُ عَامِر[٢] قَيْسَ بنَ الهَيْثَم[٣] علىٰ خُرَاسَان سَارَ قَيْس إلىٰ مَدِينةِ بَلْخ، وقَدَّم بين يَديهِ عَطَاءَ بن السَّائِب[٤] فدَخلَها وخَرَّب النُّوبَهار. ويُقال إنَّ أوَّل من دخَل
٩ هَرَاة من المُسلمينَ رجُلٌ يقال له عَطاء، دخَل من البَابِ المَعْرُوف بالحَسك. فسُمِّي الرَّجلُ عطَاء الحسَك.

[١] ممن أوكل إليهم عبد الله بن طاهر خراج خراسان وذلك عامي ٢١١هـ/٨٢٦م ؛ ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر: تكملة النص الذي نقله ابن الفقيه من كتاب المسالك والممالك لابن خُرَّداذْبه،ص٣٣-٣٤.

[٢] عبد الله بن عامر بن كريز. مرت ترجمته ص١٥٥.

[٣] قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السُّلَمِي، من الخطباء البصريين الشجعان. توفي بالبصرة عام ٨٥هـ/٨٠٤م. انظر في ترجمته: طبقات خليفة بن خياط، ص٣٣٦؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٧، ص١٠٥.

[٤] مرت ترجمته ص٣٨١.

وحدَّثَنِي أَبُو يُوسُف يَعْقُوب بن إسْحَاق[1] قال: حدَّثَنِي إبْرَاهِيمُ بن الجُنَيْـدِ[2]، عن إبْرَاهِيم بن أَدْهَم الخَوارَزْمِي[3] قال: فيما بين خُرَاسَان وأرْض الهِنْد نَمْلٌ أمْثَال الكِلَاب السَّلُوقِيَّة، وكَلْبُهم عَظِيم لا يطَاقُون، ويَحْفِرُونَ من أمَاكِنِهم الذَّهب ويُخْرِجُونَهُ، فأرْضُهم كلُّها ذَهبٌ، وهي شَدِيدةُ الحرِّ .

فهم يَحِيفُون في أحْجِرتهم الهَاجِرة، فيَجِيءُ النَّاس ليَأْخُذُوا ذلك الذَّهَب ويَعْتَمِدُون وقَت شِدَّة الحرِّ ودخُولهُم إلى أمَاكِنِهم، فيأخُذُون ما يَقْدِرُون عليه ويُبَادِرُون الخُروج قبل سُكُون الحرِّ وخُروجهُم، فإنْ خَرَجُوا ولِحِقُوا أحَدًا منهُم أتَوا عليه، ويكونُ معَهُم اللَّحْمُ أشْقَاقًا كِبَارًا، فإذا كَادُوا أنْ يَلْحَقُوهُم طَرحُوا بعد ذلك اللَّحْمَ في وجُوهِهِم فاشْتَغلُوا به وبَادَرُوا هم بالخُرُوج، فإذا بلَغُوا إلى مَوْضِع هو الحدُّ لم يَخْرُجُوا منه شِبْرًا واحِدًا في طَلَبِهم.

[1] يعقوب بن إسحاق السكيت، أبو يوسف النحوي اللغوي، من أهل الفضل والدين، وكان مؤدِّب ولد المتوكل، صاحب تصانيف، وتوفي سنة٢٤٤هـ/٨٥٨م. النديم: الفهرست، ج١، ص٢١٩-٢٢٠؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٤، ص٥٨-٦٢؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٤٠-٢٨٤١.

[2] مرت ترجمته ص٨٤.

[3] لم أهتد إلى ترجمته في المراجع المتيسرة.

[طَرِيق الشَّاش والتُّـرْك]

٣

وأمَّا الطَّرِيقُ من مَرْوَ إلى الشَّاشِ والتُّرْكِ، فمن مَرْو إلى كُشْمَاهَن ثمَّ إلى الدِّيوان [١٦٦ظ] ثمَّ إلى المَنْصَف ثمَّ إلى الأحْسَاء وإلى بِئْر عُثْمان ثمَّ إلى آمُل: فمِن مَرْو إلى آمُل ٦ سِتَّة وثَلاثُون فَرْسَخًا، ومن آمُل إلى شَطِّ نَهْر بَلْخ فَرْسَخ ويعْبُر إلى قُرَيَّة فَرْسَخ، ومن آمل إلى بخارىٰ سَبعة عشَر فَرْسَخًا، ولبُخَارَىٰ قَهَنْدَز ولها من المُدنِ: كَرْمَانيَّةَ، وطَوَاوِيس، وقُرَيَّة[a]، ووَرْدَانَة، وبِيْكَنْد مَدِينةُ التُّجَار.

٩ ومن بُخَارَىٰ إلى كُول عَشْرَة فَرَاسِخ وممَّا يَلي الجَنُوب من هذا المَوْضِع جِبَال الصِّين. ومن بُخَارَىٰ إلى سَمَرْقَنْد سَبْعَة وثَلاثُون فَرْسَخًا، ولسَمَرْقَنْد قَهَنْدَز: ولها من المُدنِ الدَّبُوسِيَّة، وأَرْبِنْجَن، وكُشَّان، وكِسُّ، ونَسَف، وخُجَنْدَة. وهي مَدِينةٌ طَيِّبةٌ ١٢ كَثِيرةُ الخَير حَسَنة. أنْشَدنِي رجُلٌ من أهْلها[1]:

[الوافر]

ولَمْ أرْ بَلْدَةً بِإزَاء شَرْقٍ ولا غَرْبٍ بأنْزَه من خُجَنْده
هِي الغَرَّاءُ تُعْجِبُ من رَآهَا وهي بالفَارِسِيَّة دِلْ مَزَنْده

---

[a] رسمت في الأصل: فربر، والتصويب من: ابن خُرَّداذْبه.

---

[1] كل ما يتعلق بوصف ومسافات طريق مرو إلى الشاش نقله ابن الفقيه من ابن خُرَّداذْبه. قارن: المسالك والممالك، ص٢٥–٢٧؛ وراجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: خجندة] ج٢، ص٣٤٧.

[من أَخْبَار سَمَرْقَنْد]

ويُقال إنَّ سَمَرْقَنْد من بِنَاء الإسْكَنْدَر. واسْتِدَارَةُ حَائِطِها اثْنَا عَشر فَرْسَخًا، وفيه بسَاتِين ومَزَارِع وأرحَّاء. ولها اثْنَا عَشر بَابًا من البَابِ إلى البَابِ فَرْسَخ، وعلىٰ أعْلَىٰ السُّور آزَاجٌ وأبْرِجَةٌ للْحَربِ، والأبْوَاب الاثْنَا عَشر من حَدِيد، وبَين كُلِّ بَابيْنِ مَنْزِل للبَوَّاب، فإذا جُزت المَزَارِع صِرت إلىٰ الرَّبَض وفيه أبْنِيةٌ وأسْوَاق، وفي رَبضِها من المَزارِع عَشْرةُ الآفِ جَرِيبٍ يَدْخُل المَدِينة، ومِسَاحتهَا خَمْسَةَ عَشر ألْفَ جَرِيبٍ.

ولهذه المدِينة أرْبَعة أبْوَاب، ثمَّ يَدْخُل المدِينَة الدَّاخِلة ومِسَاحتهَا ألْفَان وخُمْسُمِائَة جَرِيبٍ، وفيها مَسْجِد جَامِع وفيها القَهَنْدَز وفيه مَسْكَن السُّلْطَان[1].

وفي هذه المَدِينة الدَّاخِلة نَهْرٌ يجْرِي (a) [في رَصَاص، وهو نَهْرٌ قد بُنِيَ عليه مُسنَّاة عَالِية من حَجَرٍ يَجْري عليه المَاء إلىٰ أنْ يَدْخُل المَدِينة من باب كِسٍّ، ووَجْهُ هذا النَّهرِ رَصَاصٌ كلُّه، وقد عُمِلَ في خَنْدَقِ المدِينة مُسنَّاة وأُجْرِيَ عليها، وهو نَهْرٌ يَجْري في وَسَطِ السُّوق بمَوْضِع يُعْرَف ببَاب الطَّاق، وكان أعْمَر مَوْضِعٍ بسَمَرْقَند، وعلىٰ حَافَّات هذا النَّهْر غَلَّاتٌ مَوْقُوفةٌ علىٰ من بَات في هذا النَّهْر وحَفْظَةٌ من المَجُوس عليهم حِفْظُ هذا النَّهرِ شِتَاءً وصَيْفًا مُسْتَفْرضُ ذلك عليهم.

---

[1] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة:سمرقند]ج٣، ص٢٤٧–٢٤٨.

وفي المَدِينة مِياهٌ من هذا النَّهْر عليها بسَاتِين، ولَيْس من سِكَّةٍ ولا دَارٍ إلَّا وبها مَاءٌ جَارٍ إلَّا القَلِيل، وقلَّمَا تخلُو دَارٌ من بُسْتَان حتىٰ إنَّك إذا صَعَدْتَ قَهَنْدَزهَا لا ٣ تَرىٰ أبْنِيَةَ المَدِينة لاسْتِتَارِها عنك بالبسَاتِين والأشْجَار[a) فأمَّا دَاخِل سُوق المَدِينة الكَبِيرة ففَيهِ أوْدِيَةٌ وأنْهَارٌ وعُيونٌ وجِبالٌ، وعلىٰ القَهَنْدز بَاب حَدِيد من دَاخِله بَاب آخَر حَدِيد.

٦ وفي أخْبَار مُلُوك اليَمَن قالوا[١]: لَمَّا مَات نَاشِرُ يُنْعِم المُلْك، قَام بالمُلْكِ من بعْدِه شِمْرُ بن إفْرِيقيس بن أبْرَهة. فجَمعَ جنُودهُ وسَار في خَمْسمِائة ألْف رجُلٍ حتىٰ ورَدَ العِراق فأعْطَاه كُشْتَاسِف بن بُخْتَ نَصَّر الطَّاعَة وعلِمَ أن لا طَاقَةَ لهُ به لكَثْرةِ ٩ جُنودِهِ وشِدَّة صَوْلَتِهِ، فسَارَ من العِرَاقِ قَاصِدًا لبَلدِ الصِّين، فلمَّا صَارَ إلىٰ بَلدِ السُّغْد اجْتَمعَ أهْلُ تِلْكَ البِلاد [١٦٧و] وتَحصَّنُوا منه بمَدِينة سَمَرْقَنْد فأنَاخَ عليها وأحَاطَ بمن فيها من كُلِّ وَجْهٍ وحَارَبهُم حتىٰ اسْتَنْزَلهُم بغَيرِ أمَانٍ، فقَتَلَ منهُم مَقْتَلة عَظِيمَة ١٢ وأمَر بالمَدِينةِ فهُدِمت، فسُمِّيت من يَوْمَئِذ شِمْرُ كَنْد، أي شَمَر هَدمهَا، فعرَّبَتها العَرَبُ وقالوا: سَمَرْقَنْد وقال في مَسِيرِه هذا (شِعْر):

[الوافر]

أنَا شَمَرٌ أبُو كَرْبِ اليَمَانِي جَلَبْتُ الخَيْلَ من يَمَنٍ وشَامِ
لآتِي أعْبُدًا مَرقُوا علَيْنا بِأرْضِ الصِّينِ من أهْل السُّوَام

(a - a) ساقطة من الأصل. والتتمة من ياقوت.

---

[١] هذا الخبر ذكره المفجع في كتاب المنقذ من الإيمان وذلك ضمن أخبار ملوك اليمن. وقد نقل عنه ابن الفقيه دون أن يشير إلى نقله عنه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: سمرقند] ج٣، ص٢٤٧.

فأَحْكُم في بِلَادِهم بُحُكْمٍ وثِيقٍ لا يُجَاوِز بالأَثَامِ
فإنْ أَهْلِكْ ولم أَرْجِع إِلَيْكُم فقَد هَلكَ المُلُوكُ من آلَ سَامِ
بنُو مَهْلِيلَ انْتَجعُوا فسَاحُوا وخَطُّوا البَيْتَ بالبَلَدِ الحَرامِ
هو البَيْتُ العَتِيقُ فعَظِّمُوه وإن كانت وجُوهكُم دَوَامِ
سَيَملك بعْدنَا مِنَّا مُلُوك يَدِينُون العِبَادَ بغَيرَ ذَامِ
ويَمْلُك بَعْدَهُم مَلِكٌ كَرِيمٌ نَبِيٌّ لَا يُرَخِّصُ في الحَرَامِ
مُحمَّدٌ اسْمُهُ يَا لَيْتَ يَوْمِي تَأَخَّر بَعْدَ مَخْرَجِهِ بعَامِ

ثمَّ سَارَ حتىٰ قَارَب الصِّين فمَات هو وأَصْحَابه عَطَشًا فلَمْ يَبْق منهُم مُخبِرٌ، وكَان مُلْكُهُ سَبْعَ سِنْين. فلَمْ تَزل سَمَرْقَنْد خَرابًا إلىٰ أنْ مَلكَ تُبَّع الأَقْرَن بن أبي مَالِك بن ٣ نَاشِر يَنْعُم. فلم تكن له هِمَّة إِلَّا الطَّلَب بِثَأر جَدِّه شَمْر الذي هَلكَ بَأرْضِ الصِّين فتَجهَّز واسْتَعدَّ وسَار في مِائَة أَلْفِ رجُلٍ من أَبْطَال قَوْمِهِ نحو العِرَاق فخَرجَ إليه بَهْمَنُ بن إسْفَنْدِيار[1] وأَعْطَاه الطَّاعَة وحمَل إليه الخَراج ثمَّ أَقَامَ له التُّرك في جمِيعِ ٦ مَمْلَكته.

وكان طَرِيقُهُ علىٰ الأَهْوَاز حتىٰ دخَلَ فِي أَرْضِ خُرَاسَان، فانْتَهىٰ إلىٰ النَّهْرِ الأَعْظَم فعَبرهُ بالسُّفنِ حتىٰ وافىٰ مَدِينة بُخَارىٰ فطَوَاهَا حتىٰ أَتىٰ سَمَرْقَنْد وهي ٩ خَرابٌ، فَأَمَر بِبنَائهَا وأَقَامَ عليها حتىٰ فَرغَ منها ورَدَّها إلىٰ أَفْضَل ما كانت عليه من العِمَارة، ثمَّ سَار منها إلىٰ فَرْغَانَة ورَكِبَ من هناك المَفَاوِز، فسَار فيها شَهْرًا حتىٰ أَتَىٰ بِلَادًا واسِعَةً كَثِيرةَ المِيَاه والكَلَأ، فابْتَنَىٰ هناك مَدِينة عَظِيمَة وأسكَنَ فيها ثَلاثِينَ من

[1] مرت ترجمته ص١٤٥.

أصْحَابه مِمَّن لم يَسْتَطِع السَّير معه إلىٰ الصِّين وسمَّاهَا التُّبَّت، فأهْلُهَا إلىٰ اليَوْم في زيِّ العَرَبِ ولِبَاسهِم ولهم فُرُوسِيَّةٌ وبَأْسٌ شَدِيدٌ، قد قَهرُوا جَمِيع من حَوْلهُم من أجْنَاس ٣ الأتْرَاك.

وسَار من هناك حتىٰ ورَدَ الصِّين [١٦٧ظ] فخَرجَ إليه مَلِكُهَا فحَاربهُ فهَزمهُ الأقْرَن، وقتَل خَلْقًا من جُنُودِه وأخْرَب مَدِينَتهُ وشَنَّ في أرْضِه الغَارة، وطَلبَ المَلِكَ ٦ حتىٰ ظفَر [به] فقَتلهُ وغَنِم من أرْضِه غنَائِم لم يَغْنَم مِثْلها أحَدٌ ممَّن كان قَبْلهُ من المُلُوك، فيُقَال إنَّ تِلْكَ المَدِينة التي كان سَكَنها هذا المَلِك خَرابٌ إلىٰ اليَوْم.

وفي ذلك يقُول تُبَّع الأقْرَن (شِعْر):

٩ [الطويل]

أنا تُبَّعٌ ذُو المَجْدِ من آل حِمْيَرٍ ... مَلكْنَا عِبَاد الله في الزَّمنِ الخَالي

فَدَانَتْ لنَا شَرْقُ البِلَاد وغَرْبهَا ... وأُبنَا عليها خَيْرَ أوْبٍ وأنْفَالِ

مَلكْنَاهُمُ قَسْرًا وسَارَت خُيولُنا ... إلىٰ الهِنْدِ بالفُرْسَانِ حَالًا علىٰ حَالِ

ومَغْربُ شَمْس الله قَدْ وطَئَتْ لنا ... قَبَائِلُ خَيلٍ غير نِكْسٍ وأعْزَالِ

وسَوفَ تَلِيهَا بعدنَا خَيْرُ أمَّةٍ ... ذَوُو نَجْدةٍ من خَيرِ دينٍ وأفْضَالِ

يَدِينُون دِين الحَقِّ لا يُسْلِمُونه ... سُجُودٌ رکُوعٌ في غُدُوٍّ وآصَالِ

كِرامٌ ذَوُو فَضْلٍ وعِلْمٍ ورَأفَةٍ ... فمن بَين زُهَّادٍ كِرَامٍ وأبْدَالِ

يُقِرُّ جَمِيع العَامِلين بفَضْلِهم ... ولَيْسُوا عن الحَربِ العَوَان بأنْكَالِ

ضَرَاغِمَةٌ بِيضٌ كأنَّ وجُوهَهمْ ... إذا مَا بَدُوا لَيْلًا قَنَادِيلُ ذَيَّالِ

ثمَّ انْصَرفَ بعده إلىٰ أرْضهُ وقد أَدْرَك ثَأرَهُ.

ولَمَّا حضَر سَعِيد بن عُثْمَان بن عفَّان – رضِيَ اللهُ عنهُما- مَدِينة سَمَرْقَنْد، حلَفَ أَلَّا يَبْرَح ولا يَزُول حتىٰ يَدْخُل المَدِينة ويَرْمِي القَهَنْدَز بحَجرٍ صُلْحًا أو فِدْيَةً أو عُنْوةً، فصَالحَهُم علىٰ سبْعَمِائة أَلْفِ دِرْهمٍ وأنْ يَدْخُل المَدِينة من بَاب ويَخْرُج من الآخَر، وأنْ يَمُرَّ علىٰ القَهَنْدز وأنْ يعْطُوه رَهْنًا من أَوْلَاد عُظَمائِهم. فدَخل المَدِينة ورَمىٰ القَهَنْدَز بحَجرٍ فثَبتَ فيه فتَطيَّروا لذلك وقالوا: ثَبتَ فيها مُلْك العَربِ[a] [١].

وصَالحَ قُتَيْبَة بن مُسْلِم أَهْل سَمَرْقَنْد علىٰ أَنَّ له مَا في بُيُوتِ النِّيرَان وحُلْيَة الأَصْنَام، وأُخْرِجَتْ إليه الأَصْنَام فسَلبَ حُلِّيهَا وأمَر بتَحْرِيقِها فقال سَدَنَتُهَا: إنَّ فيها أَصْنَامًا من أَحْرَقهَا هَلك. فقال قُتَيْبَة: أَنَا أَحْرقهَا [١٦٨و] بيَدِي، وأَخذَ شُعْلَةً من نَارٍ فأَضْرَمهَا فيها فأُضْرِمت واحْتَرقت، فوجَد بقَايَا ما كان فيها من مسَامِير الذَّهب خَمْسِينَ أَلْفَ مِثْقَال.

وسَمَرْقَنْد من بِلَاد السُّغْد، ومن ورَائِها كَرْمَانِيَّة، ودَبُوسَ، وأُسْرُوشَنَة، والشَّاش، ونَخْشَبُ، وبَنَاكِتُ، وأَسْتُورْكَث، أَبُوازكَت، سَام، سَرك، بِنْكَت، نُوكَت، وشِكْت، رفكَتْ، وسِيج، وبُرْنمذ. هذه كلُّها من مُدنِ الشَّاش.

[a] في ياقوت بزيادة: «... وأخذ رهائنهم وانصرف، فلمّا كانت سنة ٨٧هـ، عبر قتيبة بن مسلم النهر وغزا بخارى والشاش ونزل على سمرقند، وهي غزوته الأولى، ثمّ غزا ما وراء النهر عدَّة غزوات في سنين سبع وصالح أهلها على أن له ما في بيوت النيران...».

[١] انظر : ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: سمرقند]، ج٣، ص٢٤٨.

وقالوا: ليس في الأَرْضِ مَدِينةٌ أَنْزَه ولا أَطْيَب ولَا أَحْسَن مُسْتَشْرفًا من سَمَرْقَنْد، وقد شَبَّهَهَا الحُضَيْنِ بْنُ المُنْذِر الرَّقَاشِيُّ[1] فقال: كأَنَّهَا السَّماءُ لِلْخُضْرَة، وقُصُورهَا الكَواكِبُ للإشْرَاق، ونَهْرهَا المَجرَّةُ للاعْتِراض، وسُورُها الشَّمْسُ للأطْبَاق[2] .

وسَأَل المَأْمُون رَجُلًا عن سَمَرْقَنْد فقال: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين، كأَنَّ مَدِينَتَها دَارَةُ القَمَر، وكأَنَّ نَهْرَها المجَرَّةُ، وكأَنَّ ضِياعَها حَوْلَهَا النُّجُومُ.

وقال الشَّعْبِيُّ: شَهدَتُ فتَح سَمَرْقَنْد مع قُتَيْبَة بن مُسْلِم، فنظَر علىٰ بعْضِ أَبْوَابِهَا لَوْحًا في الحَائِط فيه خُطُوط كأَنَّها عَرَبيَّة ولَيْسَت عَرَبيَّة - وكأَنَّ اللَّوْح من حَجَر- فنَظَر فتَأَمَّلهُ طَويلًا ثمَّ قال: والله إنِّي لأَظُنَّها بعْض فعِالَات حِمْيَر. أَبْغُونِي رَجُلًا من الجُنْدِ قَرِيب العَهْدِ باليَمن وكَلَام حِمْيَر: فبعَث إلىٰ عَبْدِ الله الخِزَامِيِّ فقال له: أَتَعْرِف هذا الخَط؟ قال: نعم- أَصْلَح اللهُ الأَمِير- هذا بِخَط حِمْيَر الذي يُقال له المسْنَد.

قال: اقْرَأهُ. فإذا هو: باسْمَك اللَّهُمَّ. هذا كِتَابُ مَلِكِ العَرَبِ والعَجَمِ شَمْرُ يَرْعَش المَلْك الأَشَم. من بلَغ هذا المكان فهو مِثْلِي، ومن جَازَه فهو فَوْقِي، ومن قَصُر عنه فهو دُونِي. فأبىٰ قُتَيْبَة أَنْ لَا يَرْجَع حتىٰ يطَأَ بِلَاد الصِّين. وبلَغَ ذلك مَلكَهَا فخَاف فبَعثَ إليه بإكْلِيل مُفَصَّل باليَاقُوت وبِجَرابٍ من تُراب بَلدِه وقال: ابْسِط هذا التُّرَاب وامْشِ عليه، فإذا فعَلتْ فقد بَرَّت يمِينُك. وضَمِن له خَراجًا في كلِّ سَنة فقَبِل ذلك منه وأَقَام.

---

[1] مرت ترجمته ص٥١٨.

[2] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: سمرقند]ج٣، ص٢٤٨.

وقال الأَصْمَعِيُّ: مَكْتُوب علىٰ بَاب سَمَرْقَنْد بالحِميريَّة: بين هذه المدِينة وبين صَنْعَاء أَلْف فَرْسَخ، وبين بَغْدَاد وإفْرِيقيَّة أَلْف فَرْسَخ، وبين سَجِسْتَان [١٦٨ظ] وبين
٣ البَحْر مِائَتا فَرْسخٍ.

(*ومن سَمَرْقَنْد إلىٰ زَامِين سَبْعَة عَشْر فَرْسَخًا. وزَامِين مَفْرق طَرِيقَيْن إلىٰ الشَّاشِ والتُّرْك وفَرْغَانَة. فمن زَامِين إلىٰ الشَّاش خَمْسَةٌ وعِشْرُونَ فرْسَخًا. ومن
٦ الشَّاشِ إلىٰ البَنْجَهِير – مَعْدَن الفِضَّة– سَبْعَةُ فَرَاسِخ وإلىٰ بَابِ الحَدِيد ميلان[١].

ومن الشَّاش إلىٰ بَارجَاخ أَرْبَعُون فَرْسَخًا[٢]. وبَارجَاخ[a] تَلٌّ حَوْلَه أَلْفُ عَينٍ تَجِيء من المَشْرق إلىٰ المَغْرِب، وتُسَمَّىٰ بَرْكُوب آبَ أي: المَاء المَقْلُوب [b] يُصَادُ فيه
٩ الدَرَّاج الأَسْوَد [b][٣].

ومن الشَّاش إلىٰ أَسْبِيجَاب اثْنَان وعشْرُون فَرْسَخًا، ومن أَسْبِيجَاب إلىٰ مَوْضِع مَلِك كَيْماك مسِيَرة ثمانِين يَوْمًا يُحْمَل فيها الطَّعَام.

١٢ ومن طِرَاز إلىٰ نُوشْجَان السُّفْلىٰ ثَلاثَة فَرَاسِخ. ومنها إلىٰ كَصرْبَاس فَرْسَخَان وهي جَرمِيَّة يَشْتُو بها الخَرْلُخِيَّة، وبقُرْبها مشتىٰ الخَلَجِيَّة.

---

[a] في ابن خُرَّداذْبه: بارجاج.

[b- b] كما في الأصل و ابن خُرَّداذْبه، صَيْده تَدَارج سُود، والتصويب من: ياقوت .

(*) من هنا يبدأ التطابق بين المصنف وكتاب "المسالك والممالك"، لابن خُرَّداذْبه من ص٢٧– ٣١.

[١] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: زامين]ج٣، ص١٢٨.

[٢] راجع: ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة:الشاش]ج٣، ص٣٠٩؛ [ومادة: بارجاخ]ج١، ص٣١٩.

[٣] قارن: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٠٠–١٠٢.

ثم إلى كُول شُوب أرْبَعة فراسِخ. ثمَّ إلى جل شُوب أرْبَعة فَراسِخ. ثمَّ إلى كَوْلَان، قَرْيةٌ غنَّاء ذَاتَ مِياهٍ وأشْجَار، أرْبَعة فراسِخ. ثمَّ إلى بَركَى، قَريْةٌ كَبِيرة، ٣ أرْبَعة فَرَاسِخ. ثم إلى أَسْبَرة أرْبَعة فراسِخ.

ثم إلى نُوركَث، قَرْيةٌ عَظِيمةٌ ثمانية فراسِخ. ثمَّ إلى خَرنَجْوان أرْبَعة فرَاسِخ. ثم إلى كُبَال ثَلاثَة فَراسِخ. ثمَّ إلى نُوشَجَان الأعْلى خَمْسَة عَشْرَ يَوْمًا للقَوافِل على ٦ المَرعَى- وهو حدُّ الصِّين- فأمَّا لبَرِيد التُّرك فمَسِيرة ثَلاثَة أيَّام.

[الطَّرِيق من زَامِين إلى فَرْغَانَة]

٩ والطَّرِيقُ من زَامِين إلى فَرْغَانَة، ومنها إلى سَابَاط فَرْسَخَان، وإلى أسْرُوشَنَة سَبْعَة فرَاسِخ، منها فَرْسَخَان في سَهْلٍ، وخَمْسَةٌ في اسْتِقْبالِ مَاءٍ جَارٍ من نَاحِية المَدِينة. فمن سَمَرْقَنْد إلى أسْرُوشَنَة سِتَّةٌ وعِشْرونَ فَرْسَخًا، ومن سَابَاط إلى غَلْوكَ سِتَّة فرَاسِخ، ١٢ ثمَّ إلى خُجَنْدَة أرْبَعة فرَاسِخ.

ثم إلى صَامغَار خَمْسَة فرَاسِخ. ثمَّ إلى خَاجسْتَان أرْبَعة فرَاسِخ. ثم إلى تُرْمُقَان سَبْعَة فرَاسِخ. ثمَّ إلى مَدِينة بَاب ثَلاثَة فرَاسِخ. ثم إلى فَرْغَانَة أرْبَعة فرَاسِخ. فمن ١٥ سَمَرْقَنْد إلى فَرْغَانَة ثَلاثَةٌ وخَمْسُون فَرْسَخًا.

وكان أنُوشِرْوَان بنَاها ونقَل إليها من كلِّ أهلِ بيْتٍ واحِدًا وسمَّاهَا "أزْهَرخَانَه" أي: من كلِّ بيتٍ واحِد. وخُجَنْدَة من [١٦٩و] فَرْغَانَة.

ثم إلىٰ قُبا عشْرَة فرَاسِخ. وإلىٰ مَدِينة أُوش عَشْرَة فرَاسِخ. وإلىٰ مَدِينة خُورْتَكِين سَبْعَة فرَاسِخ. وإلىٰ العَقَبة مَسِيرة يَوْمٍ، وإلىٰ أطْبَاش مسِيرةُ يَوْمٍ. وأطْبَاش هَذِه ٣ مَدينة علىٰ عَقَبةٍ مُرْتفِعة. ثم إلىٰ نُوشَجَان الأعْلَىٰ إلىٰ مَدِينة خَاقَان التُغزْغُز مسَيِرة ثَلاثَة أشْهرٍ في قُرىٰ كِبار وخِصْب وأهْلُها أتْرَاكٌ فيهم مجُوسٌ يعْبُدونَ النَّار وفيهم زنَادِقة. والمَلِكُ في مَدينَةٍ عظِيمَةٍ لها اثنا عشَر بَابًا حَدِيدًا. وأهْلُهَا زنَادِقة.

٦ وعن يسَارِها كَيْمَاك وأمَامهَا الصِّين علىٰ ثَلاثمائِة فَرْسَخ. ولملك التُغزْغُز خَيْمةٌ [من ذَهبٍ][a] علىٰ أعْلَىٰ قَصْره تَسَعمائِة إنْسَانٍ تُرىٰ من خَمْسَةِ فرَاسِخ. فأمَّا مَلِك كَيْمَاك ففِي خِيَامٍ يَتْبع الكَلأ، بين طِرَاز [وبين][a] مَوْضِعهِ مسِيرة واحَدٍ وثمَانِين يَوْمًا ٩ في مفَاوِز[*]. وجِبَالٌ وأوْدِيةٌ فيها الأفَاعِي وغَيْرها من الحيَوانَات القتَّالة. والطِّرَازُ آخر الإسْلَام من هذا الوَجْه.

ورُويَ عن عَبْد الله بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيْتُ النَّبيَّ ﷺ يُشِيرُ بيَدهِ إلىٰ ١٢ المُشِرقُ ويقول: «إنَّ الفِتْنَة هَاهُنا حَيْثُ يطْلُعُ قرْنُ الشَّيطَانِ»[٢].

[a] ساقطة من الأصل: والتتمة من: ابن خُرَّداذْبه.

[١] قارن: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٠٣-١٠٥.

[*] إلى هنا ينتهي التطابق بين المصنف وبين كتاب "المسالك والممالك": لابن خُرَّداذْبه، قارن: ص٢٧-٣١.

[٢] نص الحديث: عن عبد الله بن عمر أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق ويقول: « هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ». أخرجه الإمام مالك في الموطأ، والإمام أحمد في المسند، وانظر فيما تقدم ، ص٨٠.

ورُوِيَ عن عِكْرِمَة[١] أنَّه قال: -وقَدْ خَرجَ من خُرَاسَان-: الحَمْدُ لله الذي أخْرَجنَا منها، لتُطْوىٰ خُرَاسَانُ طَيَّ الأدِيم حتىٰ يقوَّم الحمار الذي كان فيها بخَمْسَة دَرَاهِم بل بخَمْسِين أو بخَمْسمائِة.

ويُرْوىٰ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: « إنَّ الدَّجَال يَخْرُج من المَشْرِق من أرْضٍ يُقالُ لها خُرَاسَان يَتْبَعهُ أقوامٌ كأنَّ وجُوهَهُمُ المْجَانُّ المْطْرَقَة»[٢].

خَراج خُرَاسَان

(*الذي وُظِّف علىٰ عَبْد الله بن طَاهِرٍ من خَراج خُرَاسَان وللأعْمَال المَضْمُومة إليها لسَنتِي إحْدَىٰ واثْنَتي عَشْرة ومِائتَين: الرَّيُّ: عَشْرةُ آلَافِ ألْف دِرْهمٍ. قُومِس: ألْفَا ألْفٍ ومِائَة ألْفٍ وسِتَّة وتِسْعُون ألْفَ دِرْهمٍ. جُرْجَان: عَشْرة آلَافِ ألْفٍ ومِائَة ألْفٍ وسِتَّة وسَبْعُون ألْفًا وثَمانِمائَة دِرْهمٍ. كِرْمَان: مِائَة وثَمانُون فَرْسَخًا في مِائةٍ وخمْسِين فَرْسَخًا. وكانت تُجْبىٰ للأكَاسِرة [١٦٩ظ] سِتِّين ألْفَ ألْفِ دِرْهمٍ. سِجْسِتَان بعد المُنْكَسِر من خَراج قُرىٰ مُورِّق والرُّخَّج وبِلَاد الداوَر وزَابُلِستان- وهي من ثُغور طُخَارِسْتَان- وهو تسْعمائَة ألْفٍ وسَبْعة وأرْبَعُون ألْف دِرْهمٍ سِتَّة آلافِ ألْفَ ألْف وسبْعُمائِة ألْفٍ وسِتَّة وسَبْعُون ألْف دِرْهمٍ.

[١] تقدمت ترجمته ص٧٤.

[٢] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: خراسان]، ج٢، ص٣٥٣.

(* من هنا يبدأ نقل ابن الفقيه من كتاب "المسالك والممالك" قارن: قائمة خراج خراسان لدى ابن خُرَّداذْبه، ص٣٤.

الطَّبَسَيْنِ: مِائة ألفٍ وثَلاثَة عَشْر أَلْفًا وثَمانِمائَة وثَمانُون دِرْهمًا.قُهِسْتَان: سَبعُمِائة أَلْفٍ وسَبْعةٌ وثَمانُونَ أَلْفًا وثَمانِمائةٍ وثَمانُون دِرْهمًا، نَيْسَابُور: أَلْفَا أَلْفٍ وثَمانِمائة
٣ وستُّون دِرْهمًا[١].

نَسَا: ثَمانِمائةِ أَلْفٍ وثَلاثَةٌ وسَبْعُونَ ألفًا وأَرْبَعِمِائة دِرْهمٍ. أَبِيوَرْد: سَبْعُمِائة أَلْفِ دِرْهمٍ. سَرْخَس: ثَلاثُمِائة أَلْفٍ وسبْعَةُ آلَافٍ وأَرْبَعمِائة وأَرْبَعون دِرْهمًا.

٦ مَرْو[a] الرُّوذ، ورُسْتَاقٍ بها يقال لها طَنْج، أَرْبَعمِائة أَلْفٍ وعشُرُون أَلْفًا وأَرْبعمِائة دِرْهمٍ. الطَّالقَان : واحدٌ وعَشْرُون أَلْفًا وأَرْبَعمِائة دَرْهمٍ.

غَرْجِسْتَان: مِائةُ أَلْفِ دِرْهمٍ، ومن الغَنمِ أَلْفَا شَاةٍ. باذَغِيس: أَرْبَعُمِائة أَلْفٍ
٩ وأَرْبَعُون أَلْفَ دِرْهمٍ. هَرَاة وأَسْفُزَار وأَسْفِذانج : أَلْفَ أَلْفٍ ومِائة أَلْفٍ وتِسْعةٌ وخَمْسُون أَلْفَ دِرْهمٍ. كُور طُخَارِسْتَان: زَمٌّ: مِائَةُ أَلْفٍ وسِتَّةُ آلَافِ دِرْهمٍ.

الفَارَيَاب: خَمْسةٌ وخَمْسُون أَلْفَ دِرْهمٍ. الجُوْزَجَان: مِائَةُ أَلْفٍ وأَرْبَعةٌ وخَمْسُون
١٢ أَلْفَ دِرْهمٍ. الخُتَّلَان: خُلْم: اثْنا عَشْر أَلْفَ دِرْهمٍ. بَلْخ وشِعبُ خُره وجِبَالهُا: مِائةُ أَلْفٍ وثَلاثُمِائة وتُسْعُون أَلْفًا وثَلاثُمِائة دِرْهمٍ[٢].

[a] في ابن خُرَّداذْبه: «مرْو الشاهجان ألف ألف ومائة ألف وسبعة وأربعون ألف درهم منها الأخلاف سبعة وستّون ألفًا ومائة وأربعة وأربعون درهمًا وثلاثة دوانيق ومنها عن الأجمة ثمانية وأربعون ألفًا وستّمائة وتسعة وستّون درهمًا وثلاث وخمس درهم».

[١] قارن الاختلاف بين ما ذكره المنصف وبين قائمة الخراج التي اعتمدها ابن خرداذبه: في كتابه المسالك والممالك، ص٣٤.

[٢] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣١-٣٦.

فَيْروغَس[a]: أرْبَعةُ آلَافِ دِرْهمٍ. تِرْمِذ: أَلْفَا دِرْهمٍ. الرُّوب وسِمِنْجَان: اثْنَا عَشْر أَلْفًا وستُّمِائة دِرْهمٍ. البَامِيان: خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهمٍ. [b] بَرْخَان وجَوْهَرينِ والمنْخَان[b] :
٣ مِائتَا أَلْفٍ وسِتَّة آلَافٍ وخَمْسُمائة دِرْهمٍ. التِّـرْمِذ: سَبْعَةٌ وأرْبَعُونَ أَلْفَ [دِرْهم][c] ومِائة دِرْهمٍ. القِيْقان : ثَلاثَةُ آلَاف وخَمْسُمِائة دِرْهمٍ.

كرَّان: أرْبَعةُ آلَاف دِرْهَم. شِنْقَان: أَرْبَعةُ آلَافِ دِرْهمٍ. وخَّان: عُشْرُون أَلْفَ
٦ دِرْهمٍ. المْندَجان : أَلْفَا دِرْهمٍ، آخَرُون: اثْنَان وثَلاثُون أَلْفَ دِرْهمٍ. الكَست: عَشْرةُ آلَافِ [١٧٠و] أَلْفِ دِرْهمٍ. الصَّغَانِيَان: ثَمانِيةٌ وأرْبَعُون أَلْفًا وخَمْسُمِائة دَرْهمٍ. بَاسَارَا: سَبْعةُ آلَافٍ وثَلاثُمِائَةِ دِرْهمٍ. الواشَجِرْد: أَلْفُ دِرْهمٍ.العَنْدَمين والوَخْشَان[d]: اثْنَا
٩ عَشْر أَلْفَ رَأس وثَلاث عَشْرة دَابَّة.

كَابُل: أَلْفَا أَلْفٍ وخمسُمِائة دِرْهمٍ. ومن الوَصَائِف: أَلْفَا رَأس قِيمتها ستُّمائةِ أَلْفَ دِرْهمٍ. وكَابُل من ثُغور طُخَارِسْتان ولها من المُدن: واذَان، وخُوَاش، وخُشَّك،
١٢ وحَبرة. وبكَابُل: عُود، ونَارجِيل، وزَعْفَران، وهِليلِج، لأنَّها متَاخِمة للْهِند[١].

[a] في ابن خُرَّداذْبه: قبروغش.
[b - b] في ابن خُرَّداذْبه: برمخان وجومرين والبنجار.
[c] ساقطة من الأصل، والتتمة من: ابن خُرَّداذْبه.
[d] في ابن خُرَّداذْبه: الزمثان.

[١] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣١-٣٦.

نَسَف: تِسْعُون أَلْف دِرْهمٍ. كِسُّ: مِائة أَلْف واثنَا عَشْر أَلْفًا وخَمْسُمِائة دِرْهمٍ. البُتَّم: خَمْسَة آلَافِ دِرْهمٍ. البَاكِبين: ستَّة آلَافٍ ومِائَتا دِرْهمٍ. رُسْتَاق جَاوَان: سَبْعة آلَاف دِرْهمٍ. رُسْتَاق الرَّوْيَان: أَلْفَان ومِائتَان وعَشْرُون دِرْهَمًا. أفنة: ثَمانِيةٌ وأَرْبَعُون أَلْفَ دِرْهمٍ.

خَوارَزم: أَرْبَعمُائِة أَلْفٍ وتِسْعَةٌ وثَمانُون أَلْفَ دِرْهمٍ. آمُل: مِائتَا أَلْفٍ وثَلاثَة وتُسْعُون أَلْفًا وأَرْبَعمِائِة دِرْهمٍ. ورَاء النَّهْر: بُخَارىٰ: أَلْفُ أَلْفٍ ومِائَةُ أَلْفٍ وتِسْعَةٌ وثَمانُون أَلْفًا ومِائتَا دِرْهمٍ غِطْرِيفيَّة. السُّغْد وسَائِر كُور نُوح بن أَسَد: ثَلاثُمِائِة أَلْفٍ وسِتَّةٌ وعشْرُون أَلْفًا وأَرْبعمِائة دِرْهمٍ.

منها علىٰ فرْغَانَة، مِائتَا أَلْفٍ وثَمانُون أَلْفًا مُحَمَّديَّة. وعلىٰ مَدائِن التُّرْك سِتَّة آلَافٍ وأَرْبَعُون أَلْفًا وأَرْبعمِائة دِرْهمٍ خُوارَزمِيَّة. ومن الكَرابِيس الغِلَاظ الكُنْدَجيَّة أَلْفٌ [ومِائَة] [a] وسَبْعةٌ وثَمانُون ثَوْبًا.

ومن المُرُورِ وصفَائِح الحَدِيد أَلْفٌ وثَلاثُمِائِة قِطْعة نِصْفَين. فالجَمِيع أَلْفَا أَلْفٍ [ومِائَة] [b] واثْنَان وسَبْعُون أَلْفَ دِرْهمٍ مُحَمَّديَّة [١].

[a] في ابن خُرَّداذْبه: قبروغش.

[b] ساقطة من الأصل، والتتمة من ابن خُرَّداذْبه.

[١] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣٨.

منها علىٰ السُّغْد والمَعْدن بالبُتَّم ومَعْدَن الملح بكِسِّ ألْف ألْفٍ وتِسْعَة وثَلاثُون دِرْهمًا مُحمَّديَّة. وكِسُّ ونَسَف والبُتَّم من كُورِ السُّغْد.

٣ أسْرُوشَنَة: خَمْسُون ألْفَ ألْف دِرْهمٍ، وثمانِمائةٍ وأرْبَعُون دِرْهمٍ محمَّديَّة. [وألْفَانِ مُسبَّبَـيَّة][a].

الشَّاش ومَعْدَن الفِضَّة: ستُّمائَة ألْفٍ وسَبْعَة آلَاف [ومِائَةِ][b] دَرْهمٍ مُسبَّبَـيَّة.

٦ خُجَنْدَة: مِائةُ ألْفِ دِرْهمٍ مُسبَّبَـيَّة[1].

[a] ساقطة من الأصل، والتتمة من ابن خُرَّداذْبه

[b] في ابن خُرَّداذْبه: الزمثان.

[1] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣١-٣٩.

القَوْل في التُّـرْك

٣ ورُوِيَ عن حُذْيفَة أنَّه قال: تَغلبُ التُّرْك علىٰ الكُوْفَة، وتَغلبُ الخَزَرُ علىٰ الجَزِيرَة، وتَغلبُ الرُّومُ علىٰ الشَّام. ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لتُخْرِجنَّ التُّرْكُ أهْلَ العِرَاق من بِلَادِهم».

٦ قال: وكَتبَ عُمْرُ ﷺ إلىٰ عُمَّـالِه: إذا أَصَبْتُم أحَدًا من الأَتْرَاكِ فاضْرِبُوا عُنقَهُ، فإنَّ لهم خَرْجَةً بعد المِائَتين، فإذا خَرجُوا كانوا أشَدَّ كَلَـبًا علىٰ ما في أيْدِيكُم ممَّا في أيْدِيهم. ويُرْوىٰ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «التُّرْكُ أوَّلُ من يَسْلبُ أُمَّتِي ما خُوِّلُوا»[1].

٩ ويُرْوَىٰ عن عَبْد الله بن عبَّاس أنَّه قال: والله لتَكُوننَّ الخِلَافَة في ولَدِي حتَّىٰ تغْلِبُ علىٰ عزِّهِم الحُمْرُ الوجُوُه الذين وجُوههُم كأنَّها المجَانُّ المُطْرَقَةُ.

ويُرْوىٰ عن أبِي هُرَيْرَة أنَّه قال: لَا تقُومُ السَّاعَة حتىٰ يَجِيءُ قَوْمٌ عِرَاض الوجُوهِ، ١٢ صِغَارُ العُيُون، فُطْسُ الأنُوفِ، حتىٰ يَرْبِطُوا خُيولَهُم بشَاطِئِ دِجْلَة[2].

[1] لم تثبت هذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الصحاح السِّت ولا في غيرها من الكتب، لا صحيحًا ولا حسنًا ولا ضعيفًا؛ وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: تركستان]، ج٢، ص٢٣-٢٤.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه بسندٍ إلى أبي هريرة ولفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا كأن وجوههم المجان المطرقة»، قال سفيان وزاد فيه أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رواية: «صغار الأعين، ذلف الأنوف، كأن وجوههم، المجان المطرقة».

انظر: صحيح البخاري: [باب قتال الترك، الشعر] رقم الحديث: ٢٩٢٩.

ويُرْوَىٰ أنَّ مُعَاوِيَة ﷺ قال: لا تَبْعثُوا الرَّابِضيْنِ أُتْرُكُوهُما ما تَركُوكُم: التُّرْك والحَبَشَة. وفي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «اتْرُكُوا التُّرْكَ ما تَركُوكُم»[١].

٣ وقالوا: لا تَضَعُ الشَّاةُ بالتُّرْكِ أَقَلَّ من أرْبَعةٍ، ورُبَّما وضَعَتْ خَمْسةً أو سِتَّةً كما تضَعُ الكَلْبَة. فأمَّا اثْنِينَ وثَلاثَةٌ فإنَّما يكُون في الفَذِّ [a] [٢]. وهي كِبَارٌ جِدًّا ولها أَلَايَا عِظَامٌ تجُرُّهَا علىٰ الأَرْضِ.

٦ [بُلْدَان التُّرْك]

قال: وبُلْدَانُ الأَتْرَاكِ[٣]: التُّغْزْغز. وبلَادهُم أوْسَعُ بُلْدَان الأتْرَاك، حَدُّهُم الصِّينُ والتُّبَّتُ. والخَرْلَخُ والكَيْماك والغُزُّ، والجُفْرُ، [b] والبَجَنَاك، [c] والتُّرْكَش، وأرْكُش، ٩ وخِفْشَاخُ [d] وخِرْخِيزُ، وبها [١٧١و] مِسْكٌ، وهي من هذا الجَانِبِ [من] النَّهْر.

---

[a] رسمت في الأصل: الفرد، وفي ياقوت: نادرًا.

[b] رسمت في الأصل: الجعر، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه، وياقوت.

[c] رسمت في الأصل: البحتاك، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه، والمختصر.

[d] رسمت في الأصل: خشفاح، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه.

---

[١] انظر نص الحديث وتخريجه فيما تقدم ص٢١٩.

[٢] والمعنى: أن الشاة إذا أفذت ولدت ولدًا واحدًا. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٥٠٢؛ ألايا: جمع ألية. وهي الشحمة التي تكون للشاة.

[٣] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣١-٣٢؛ المختصر ص٣٢٩؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، [مادة: تركستان]ج٢، ص٢٣-٢٤.

فأمَّا مَدِينة فَارَاب، فإنَّ فيها مَسْلَحةً[a] للمُسْلِمِين[١]. والأُخْرَىٰ أتْرَاكُ الخَرْلُخِيَّة. وجمِيعُ مَدَائِن التُّرْكِ سِتَّ عَشْرة مَدِينةً. وقال بَعْضُ العُلَمَاء: بالتُّرْكِ أجْنَاسُ التُّرْكِ.

٣ الخَرْلخُ: وهم ما يكُونُ إلىٰ نَاحِية سَمَرْقَنْد، وهم عِتَاقُ التُّرْك.

والبَذْكَشِيَّةُ: وهم أصْحَابُ اللِّحَىٰ العِظَام. والغُزُّ والتُّغُزْغُز، والكَيْمَاك: وهم المُلُوكُ، وهم أوْغَل في بِلَادِهم وأعَزُّهُم عند جَمِيع التُّرْك. والبشنَاكيَّة والشَّغْريَّة،

٦ والتُّغُزْغُز[٢] عَرَب التُّرْك، وهم أصْحَابُ عُمُدٍ ويَحِلُّونَ ويَرْحَلُونَ. والبَذْكشيَّة: أصْحَابُ بِنَاءٍ وقُرىً.

قال: وبَعثَ هِشَامُ بن عَبْدِ المَلِكِ رجُلًا إلىٰ مَلِك التُّرْك يَدْعُوهُ إلىٰ الإسْلَام. قال:

٩ فَدخَلْتُ إليه وهو يَتَّخِذ سِرْجًا فقال للتُّرْجُمان: من هذا؟ قال: رَسُولُ مَلِك العَرب. قال: غُلَامِي؟ قال: نعم. فأمَر بي إلىٰ بَيْتٍ كَثِير اللَّحْمِ قَلِيلِ الخُبْز. [b)ثمَّ اسْتَدْعَانِي وقال لِي: ما بُغْيَتُك؟ فتلطَّفْتُ له وقُلْتُ: إنَّ صَاحِبي يُرِيد نَصِيحَتك ويَرَاك علىٰ

١٢ ضَلَالٍ ويُحِبُّ لك الدُّخُولَ في الإسْلَام.

قال: وما الإسْلَامُ؟ فأخْبَرتهُ بشَرائِطِه وحَظْرِه وإبَاحَته وفُروضِه وعِبَادتِه، فتَركَنِي أيَّامًا]b)، فلمَّا كَان ذَاتَ يَوْمٍ ركَب في عَشْرَةِ أنْفُسٍ مع كلِّ واحِدٍ منهم لِوَاءٌ.

١٥

---

a) رسمت في الأصل: مصلحة. والتصويب من ابن خُرَّداذْبه.

(b – b) ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت.

---

[١] قارن: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣١.

[٢] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: تركستان]، ج٢، ص٢٣-٢٤.

وأمَر أنْ أُحْمَل فحُمِلْتُ علىٰ دَابَّةٍ. فصَعِد تَلًّا وحَوْلَ التَّلِّ غَيْضَةٌ. فلمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أمَر واحِدًا من أُولئِك العَشرَةِ أنْ يَنْشُر لِوَاءَهُ ويُلِيحُ به. ففعَل. فوَافَىٰ عَشْرةُ آلَافِ مُدَجَّجٍ. كلُّهم يقُول: جَاهِ جَاه، حتىٰ وقَفُوا تحْتَ التَّلِّ ومعَهُم صَاحِبهُم .

فكَفَّر[1] للمِلكِ، فمَا زَال يأمُر واحِدًا واحِدًا أنْ يَنْشُر لِواءَهُ ويُلِيح به، فإذا فعَل [ذلك] وافَىٰ عَشْرَة آلَافِ مُدَجَّجٍ، فوَقفُوا تَحْتَ التَّلِّ وصعِدَ صَاحِبهُم حتىٰ نَشرَ الألْوِيةَ كلَّها، وصَار تَحْتَ التَّلِّ مِائَة ألْفِ مُدجَّجٍ فقال للتُّرْجُمان: قُل لهذا الرَّسُول يُعْلِم صَاحِبهُ أنَّ لَيْسَ في هَؤلاءِ حَجَّامٌ ولا إسْكَافٌ ولا خَيَّاطٌ. فإذا أسْلَمُوا من أين يَأكُلونَ؟

وآخِرُ خُرَاسَان من نَاحِية الشَّاش، نُوشَجَان الأعْلَىٰ[2]. فمن نُوشَجَانَ إلىٰ مَدِينة خَاقَان مَلِك التُّغْزغُز مَسِيرةُ ثَلاثَةِ أشْهُرٍ في قُرىٰ كِبارٍ وخِصْبٍ وأسْوَاق. وأهْلُهَا أتْرَاكٌ، وفِيهم مجُوسٌ يَعْبُدُون النَّار، وفيهم زنَادِقةٌ علىٰ مَذْهب مَانِي.

والمَلِكُ في مَدِينةٍ عظِيمةٍ كَثِيرةِ الأهْلِ والأسْوَاقِ ولها اثْنَا [١٧١ظ] عشَر بَابًا حَدِيدًا. وعن يَسارِها كَيمَاك، وأمَامهَا الصِّينُ علىٰ ثَلاثِمِائَةِ فَرْسخٍ. فأمَّا مَلِكُ كَيمَاك وأصْحَابه فبَادِيةٌ يَتَّبعُونَ مسَاقِط القَطْر ويحِلُّون ويَرْتحِلُون في طَلَبِ الكَلَأ.

[1] أي انحنى تعظيمًا له. انظر : ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ك ف ر] ج٥، ص١٥٠.

[2] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣٠-٣١.

وقال عَلِيُّ بن ربَّن كاتب المَازَيَار: [في] أحْصَنِ مدِينةٍ بُنِيَت علىٰ وجْهِ الأرْضِ: أنَّ ملِكًا من مُلُوكِ التُّرْكِ أتىٰ سَبْخَةً ومُسْتَنْقَع مَاءٍ عَادِيٍّ أجَاجِيٍّ في طَرَفٍ من أطْرَاف سُلْطَانِهِ، فصَرف المَاء عنه، ثمَّ حفَر أسَاسًا عَرْضهُ أرْبَعُونَ ذِرَاعًا. ثمَّ أمَر فرُفِع من قَرارِ الحَفْرِ سُورَان بالآجُرِّ والكِلْسِ، عَرْضُ كلِّ سُورٍ عَشْرَة أذْرُعٍ، وبينهما فضَاءٌ عَرضُهُ عشْرُونَ ذِرَاعًا. فلمَّا انتَهىٰ بالسُّورَين إلىٰ وجْهِ الأرْضِ، طمَّ الفَضَاء الذي بينهما بالرَّمْلِ وأنْبَل بينهما[1].

فكُلَّما ارْتفَعا جعَل الرَّمْلُ في وسَطِها حتىٰ رفَعهُما خَمْسِين ذِرَاعًا. ثم بنَىٰ في المَدِينةِ له ولرَعيَّتِهِ من المَنَازِل والقُصُورِ وحفَر حَوْلَهَا خَنْدَقًا ثمَّ جرَف إليها المَاء. فلم تَلْبث أنْ عَادَت بعد سَنةٍ أجَمَةً عظِيمةً من أعْظَمِ الآجَام، وأوْدَعهَا أهْلهُ ونَفِيس أمْوَالِهِ فصَارت أمْنَع مَدِينةٍ بُنِيت علىٰ قُلَلِ الجِبَال أو في قَرارِ الأرْضِ.

وأنَّ مَلِكًا من ملُوك التُّرْكِ رامَها- والتُّرْكُ أغْلبُ الأُممِ وأشَدُّ احتِيَالًا علىٰ نَقْبِ المُدُنِ والحُصُونِ من المَوَاضِع البَعِيدَة- فسَارَ إليها ونزَلَ علىٰ فَرَاسِخ منها، وأمَر نقَّابِيه أن ينْقَبُوا فنَقَبُوا حتىٰ بلَغُوها، فلَمَّا صَارُوا إلىٰ الأجَمَة التي حَوْلَهَا خَرجَ عليهم المَاء في النَّقَبِ. فمَا زَالُوا يَحْتَالُون فيه وهو مرَّةً يغْلِبهُم ومرَّةً يغْلِبُونه حتىٰ اسْتوىٰ لهم قَطْعهُ، وظنُّوا أنَّهم قد ظفَرُوا بالمَدِينة لمَّا أفْضُوا إلىٰ السُّورِ وأخَذُوا في نَقْبِهِ. فلمَّا نقبُوه خَرجَ عليهم الرَّمْلُ المُنْهَال، فكانوا لَا يُخْرِجُون منه شَيْئًا إلَّا سَالَ من جَوانِبِهِ أضْعَافهُ. فلمَّا رَأوْا ذلك عَلِمُوا ألَّا حِيلَة بهم فَانْصرفُوا خَائِبِينَ.

[1] أي أحكم بناءهما بالحجارة العظيمة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٦٤٠.

[من خَصَائِص بُلْدَان التُّرك]

٣ قالوا: والنَّعْجَةُ تضَعُ في بِلَادِ التُّرْكِ عِدَّةً من السَّخْلَةِ[١] في البَطْنِ الواحِدَة، ربَّما وضَعتْ سَبْعَةً وسِتَّةً وخَمْسَةً. فأمَّا أرْبَعةٌ وثلَاثَةٌ [١٧٢و] ، فجَمِيعُ موَاشِيهِم علىٰ هذا. والتُّرْكُ إذا أرَادَتْ أن تُحلِّفَ رجُلًا أتَتْ بصَنمٍ من نُحَاسٍ فتَنْصَبهُ ثمَّ تُحْضِرُ قَصْعَةً ٦ فتُصَيِّـرُ فيها مَاءً وتَضَعُ بين يَدِي الصَّنَم، ثمَّ يُجْعَل في القَصْعَةِ قِطْعَةُ ذَهبٍ وكَفُّ دُخْنٍ ويُؤتَىٰ بسَراوِيلِ امْرَأةٍ فيُوضَعُ تَحْتَ القَصْعَةِ.

ثمَّ يقُولُون للمُسْتَحْلَف: إنْ نقَضْتَ هذا العَهْد أو غَدَرْتَ أو خُنْتَ، فيُصَيِّرك اللهُ ٩ امْرَأةً تَلْبسُ سَرَاويْلَها، وسلَّط عليك من يقَطِّعُك قِطَعًا مثل هذا الدُّخْنِ، واصْفَّر لَوْنُكَ مثل اصْفِرَار الذَّهب. ثمَّ يشْرَبُ بعد اليَمِين ذلك المَاء. فما يَفْعَلهُ إنْسَانٌ منهم يحنَثُ إلَّا مَاتَ أو أصَابتهُ بَلِيةٌ.

١٢ وفي بِلَادِهم السَّمُّور والفنَكُ الجيِّد. وهم أرْمَىٰ الأُمَمِ كلِّها بالنُّشَاب. وإذا وُلِـدَ للرَّجُلِ منهم ولَدٌ ربَّاهُ وعالَهُ وقَام بأمْرِه حتىٰ يَحْتَلِم. فإذا بلَغَ الحُلُمَ دفَع إليـه قَوْسًـا وسِهامًا وأخْرَجهُ عن مَنْزِلهِ وقال له: احْتَـلْ لنَفْسِـك. ثـمَّ يَصِـيرُ ولَـدهُ عِنْـده مثـل ١٥ الغَرِيب الذي لا يَعْرِفهُ. هذه سُنَّتهُم في أوْلَادِهم.

---

[١] السخلة: ولد الشاة من المعز والضأن، ذكرًا كان أو أنثى. نفسه، ج١١، ص٣٢٣.

(a ومنْهُم قَوْمٌ [يَبِيعُون] بَنِيهم وبنَاتِهِم وتَزْوِيـجِهِم(a، [ومن سُنَّتهم](b أنَّ جَوارِيهم مُكشَّفَات الشُّعُور، فإذا أرَادَ الرَّجُل أنْ يتزَوَّج نظَر إلىٰ التي يُرِيدُ وألْقَىٰ علىٰ رَأسَها مِقْنَعةً. فإذا فعَل ذلك فقد صَارت امْرَأتهُ لا يَمْنعهُ عنها والِدٌ ولا يَدْفعهَا أخٌ[١]. وفي بِلادِهم الخَتْو الجَيِّد، وهو جَبْهَةُ دابَّة تُصَادُ في بلَدِهم.

[خَبرُ تَمِيم بن بَحْر المُطَّوِعِيِّ]

(*وذكرَ تَمِيمُ بن بَحْرِ المُطَّوعِيُّ[٢]: أنَّ بلَدهُم شَدِيدُ البَرْدِ. وإنَّما يُسْلَكُ [فيه](b سِتَّة أشْهُرٍ في السَّنةِ، وأنَّه سَلكَ إلىٰ بِلَادِ خَاقَان التُّغْزغِزيِّ علىٰ بَرِيدٍ أنْفَذهُ خَاقَانُ إليه، وأنَّه كان يَسِيرُ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ ثَلاثَ سِكَكٍ بأشَدِّ سَيرٍ وأحثِّه.

(a-a) في ياقوت: ومنهم من يبيع ذكور ولده وإناثهم بما ينفقون.

(b) ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

[١] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة تركستان]ج٢، ص٢٤.

(*) من هنا يبدأ التطابق بين المصنف وبين ما سجله تميم بن بحر المطوعي في رحلته.

[٢] تميم بن بحر المطوعي، أغلب الظن أنه عاش حياة الجهاد والمرابطة في الثغور الإسلامية، وكان قد توجه إلى خاقان الترك (التغزغز) بمهمة دبلوماسية تعود إلى الفترة ما بين١٤٣هـ/ ٧٦٠ م، ١٨٤هـ/ ٨٠٠ م. انظر: فاسيلي فلاديمروفتش بارتولد: تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين هاشم، الكويت، ١٩٨١م.

فسَار عِشْرِينَ يَوْمًا في بَرَارٍ فيها عُيُونٌ وكَلأٌ، ولَيْسَ فيها قَرْيةٌ ولا مَدِينةٌ غَيرُ أصْحَابِ السِّكَكِ وهم نُزُولٌ في خِيَام. وأنَّه كَان البَرِيدُ[a] حَمَلَ معه زَادًا لعِشْرِينَ ٣ يَوْمًا، وذلك أنَّه عَرِفَ أمْرَ تِلْكَ المَدِينة وأنَّها مَسَافةُ عِشْرِينَ يَوْمًا في بَرارٍ فيها عُيونٌ وكَلأٌ.

ثمَّ سَارَ بعد ذلك [١٧٢ظ] عِشْرِينَ يَوْمًا في قُرىٰ مُتَّصِلةٍ وعِمَاراتٍ كَثِيرةٍ، أهْلُهَا ٦ كلُّهُم أو أكْثَرُهُم أتْرَاكٌ. منهم عبدَةُ النِّيرَانِ علىٰ مَذْهبِ المَجُوس ومنهم زَنَادِقةٌ. وأنَّه بعد هَذِه الأيَّام وصَلَ إلىٰ مَدِينة المَلِكِ. وذكَر أنَّها مَدِينةٌ عَظِيمةٌ حَصِينَةٌ، حَوْلهَا رَسَاتِيقُ عَامِرةٌ وقُرىٰ متَّصِلَة ولها اثنا عَشْر بَابًا من حَدِيدٍ مُفْرِطةَ العِظَمِ.

٩ قال: وهي كَثِيرة الأهْلِ والزِّحَامِ والأسْوَاقِ والتِّجَارَات، والغَالِبُ علىٰ أهْلهَا مَذْهَب الزَّنَادِقَةِ. وذكر أنه حَزَر ما بَعْدها إلىٰ بِلَاد الصِّين فمَيَّزهُ ثَلاثمِائةِ فَرْسخٍ. قال: وأظُنَّهُ أكثَرَ من ذلك.

١٢ قال: وعن يَمِينِ مَدِينةِ مَلِكِ التُّغُزْغُز، بِلَاد التُّرْكِ لا يُخَالِطهُم غَيْرهُم. وعن يسَارِهَا بِلَادُ كَيْمَاك وأمَامَهم بِلَادُ الصِّين. وذكَر أنَّه نظَر قبلَ وصُولِهِ إلىٰ المدَينةَ- بخَمْسَةِ فرَاسِخ- إلىٰ خَيْمَةٍ للمَلِكِ من ذهَبٍ علىٰ سَطْحِ قَصْرِه تِسْعمائةِ رجُلٍ[١]، ١٥ وذكَرَ أنَّ خَاقَان مَلِك التُّغُزْغُز كان مُخَاتِنًا لمَلِكِ الصِّين، وأنَّ مَلِكَ الصِّينِ يُحمِلُ إليه في كلِّ سَنةٍ خَمْسمائَةِ ألْفِ فرَنْدٍ[٢].

[a] رسمت في الأصل: البرية.

[١] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣٠-٣١.

[٢] الفرند: هو السيف. انظر: ابن سيده: المخصص، ج٢، ص١٥.

[ذكر نوشَجَان الأعْلَىٰ]

٣ وذكر أنَّ بين نُوشَجَان الأعْلَىٰ وبين الشَّاش علىٰ طِرَازِ أرْبَعِين مَرْحَلةً للقَوافِلِ، فمن سَارَها علىٰ دَابةٍ وكان مُنْفَرِدًا قطَعَهَا في شَهْرٍ. قال: ونُوشَجَان الأعْلَىٰ بها أَرْبعُ مُدنٍ كِبَارٍ وأَرْبَعٌ صِغَارٌ. وأنَّه حَزرَ المُقَاتَلةَ في مَدِينةٍ واحِدةٍ علىٰ شَطِّ بُحَيْرةٍ هناك، ٦ فميَّزَهُم نحو عِشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ بالسِّلاحِ التَّام. ولَيْسَ في جَمِيع أجْنَاسِ التُّرْكِ أشدَّ منهم، وأنَّهم إذا اجْتَمعُوا مع الخَرْلَخِيَّة لحربٍ، كان منهم مِائةُ رَجلٍ ومن الخَرْلَخِيَّة أَلْفُ رجُلٍ، وعلىٰ هذا يَخْرجُون في جَمِيعِ حرُوبِهم.

٩ وذكرَ أنَّ هذه البُحَيْرةَ شَبِيهَةٌ بالحَوْضِ المُربَّعِ، وأنَّ حَوْلَهَا جِبَالًا شَامِخَة فيها من جَمِيع أصْنَافِ الشَّجَرِ. قال: وهُناكَ رسْمُ مَدِينةٍ قَدِيمةٍ، لم أجِدْ في الأتْرَاكِ من يَعْرِفُ خبَرَهَا ولا من بنَاهَا ولَا من كان أهْلُها ولا متىٰ خَرِبَت، وأنَّه نظَر فيها إلىٰ نَهْرٍ ١٢ يشُقُّها لا يُلْحَقُ غَوْرهُ هناك. ورَأيْتُ فيه أنْوَاعًا من الحَيَوانَاتِ البَحرِيَّة ما رَأيْتُ مِثْلَهَا. وكذلك [١٧٣و] رَأيْتُ به طُيورًا لم أرَ في شَيءٍ من البُلْدَانِ مثلها.

قال: وأهْلُ النُّوشَجَان وغَيْرهُم ومَا يَقْرُب منهم من المُدِن والقُرَىٰ يَطُوفُونَ بها ١٥ في سَنةٍ مَرةً واحِدةً في أيَّام الرَّبِيع ويَجْعَلونَ ذلك عِيدًا. قال: ويَدْخُلُها المَاء من نَاحِية التُّبَّت من مِائَةٍ وخَمْسِين نَهرًا كِبَارًا وصِغَارًا.

وكذلك من نَاحِية التُّغْزْغُز والكَيْمَاك. وذكَر أنَّ طُولهَا مَسِيرَةُ أرْبَعِين يَوْمًا علىٰ الجِمَال وأنَّ الفَارِسَ يقْطَعُها في مُدَّةِ شَهْرٍ إذا جدَّ في السَّيْرِ.

٣ وذكَر أنَّه وجَدَ مِلَك التُّغْزْغُز حين [ذَهبَ] إليه مُعسْكِرًا بالقُرْبِ من مَدِينتهِ وأنَّه حَزَر جيْشَهُ الذي حَوَّل سُرَادِقِهِ- دون غيرهم- فكَانُوا نَحْوًا من اثْنَي عَشْر أَلْفَ رَجُلٍ. قال: وبَعْد هَؤلَاءِ سَبْعَةَ عَشْر قَائِدًا مع كلِّ قَائِدٍ ثَلاثَةُ آلَافٍ.

٦ قال: وبَيْن القَائِد والقَائِد مصَالِحُ من خِيَامٍ، والقُوَّادُ ومن معَهم من المصَالِح بأَجْمَعِهم مُحِيطُون بالعَسْكَر، ولهم في إحَاطَتِهم فُرْجَةٌ يكون مِقْدارُهَا أَرْبَعَة أَبْوَابٍ إلىٰ نَاحِية العَسْكَر. وجَمِيع دوَاب المَلِك ودوَاب الجُنْدِ ترْعَىٰ فيما بين سُرَادِقِ الملِكِ ومواضِع ٩ القُوَّاد، ولا تتَخلَّص منها دَابةٌ إلىٰ خَارِج العَسْكَر.

[طَرِيقُ الكَيْمَاك]

١٢ وسَأَلْنَاه عن طَرِيق كَيْمَاك من طِراز [١]. فذكَر أنَّ الطَّرِيقَ يَسْرَة طِرَاز إلىٰ قَرْيتَين في مَوْضِعٍ يُقالُ له كَواكِت[a] عَامِرتَيْنِ أَهْلِيَّتَينِ ومسَافَتهما من طِرَازَ سَبْعَةُ فَرَاسِخ.

---

[a] رسمت في الأصل:كراكب. والتصويب من قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة؛ وفي ابن خُرَّداذْبه: كويكت، وكرنكث.

---

[١] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٣٠-٣١؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص١٩٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٨.

ومن هذا المَوْضِع [إلىٰ مَدِينةِ] [a] مَلِك كَيْماك مَسِيرَة ثَمانِينَ يَوْمًا للفَارِس المُجِدِّ يَحْمِلُ معه زَادَه. وأنَّ جَمِيعَ ذلك صَحَارَىٰ وبرَارِي ومَفَاوِز واسِعَةٌ كَثِيرةُ الكَلَأ
٣ والعُيُون، وفيه مَراعِي الكَيْماكِيَّة [١].

وذكَر أنَّه سَلكَ وحْدَهُ هذه الطَّرِيق ووجَد مَلِكَ كَيْماك مع عَسْكَرِه في خِيَامٍ وبقُرْبِه قُرىٰ وعِمَارَاتٌ وأنَّه يَنْتَقِلُ من مَوْضِعٍ إلىٰ مَوْضِعٍ يَتَّبِعُ الكَلأَ. وأنَّ دوابَّهم
٦ كَثِيرةٌ دَقِيقَةُ الحوَافِر. وحزَرَ من في عسْكَرِه فوجَدهُم نحو عشْرِين ألْفَ فَارِسٍ *) [٢].

[خَبر أبي الفَضْل الوَاشَجَرْدِيِّ]

٩ وذكر أَبُو الفَضْلِ الوَاشْجَرْدِيُّ [٣] أنَّ مَلِكَ التُّغُزْغُز غَزَا مَلِكَ الصِّين مَرَّتَيْنِ في أيَّام الرَّشِيد، وقيل ذلك في أيَّامِ المَهْدي [١٧٣ظ] وكانت غَزْوَتهُ ما بين أسْرُوشَنة إلىٰ سَمَرْقَنْد. وأنَّ عَامِل سَمَرْقَنْد حَاربهُ في عِدَّة وقَائع، وكانت لهم حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ.

١٢ ثمَّ إنَّ صَاحِب سَمَرْقَنْد رُزِقَ النَّصْـرَ عليه فهزَمَهُ وقَتلَ خَلْقًا من أصْـحَابه. ويقـال إنَّهُ كان في سِتِّمِائَةِ ألْفٍ بين فَارِسٍ ورَاجِل من أهلِ الصِّين.

---

[a] زيادة يقتضيها السياق.

---

[١] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٢٠٩.

[٢] *) إلى هنا ينتهي ما نقله ابن الفقيه من رحلة تميم بن بحر المطوعي.

[٣] نسبة إلى واشجرد، وهي قرية من قرى ما وراء نهر جيحون، وبها كان الثغر والمرابطة.

فغَنِم المُسْلِمُون غَنِيمةً عظِيمَةً وأَسَرُوا خَلْقًا، فَأَوْلَادُهُم الذين بسَمَرْقَنْد يَعْملُونَ الكَاغِد الجَيِّد وأَنْوَاع السِّلَاح والآلَات التي لا تُعْمَلُ في مُدِنِ خُرَاسَان إلّا بسَمَرْقَنْد.

٣ ومن عَجَائِب بَلَدِ التُّرْكِ حصَىٰ عِنْدهُم يَسْتَمْطِرُونَ [به] مَا شَاءوا من مَطَرٍ وثَلْجٍ وبَرْدٍ وغير ذلك. وأَمْرُ هذا الحَصَىٰ عندهم مَشْهُورٌ مُسْتَفِيضٌ لا يَنْكِرهُ أَحَدٌ من الأَتْرَاكِ. وهو عند مَلِك التُّغُزْغُز خَاصَّةً ليس يُوجَدُ عند أحدٍ من ملُوكِهم غَيْره.

٦ وحَدَّثَنِي أَبُو عَبْد الله الحُسَين بن أَسْتَاذَوَيْه، حدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيم بن الحَسَن، حدَّثنا هِشَام بن السَّائِب الكَلْبِيُّ عن أَبِي مَلِيحٍ، عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لم يتزوج إبراهيم عليه السلام علىٰ سَارَةَ حتىٰ مَاتَتْ. فتَزَوَّجَ امْرَأَةً من العَرَبِ العَارِبة

٩ يقال لها قَنْطُورا بنت مَقْطُور[1].

فولَدتْ له: مَدْيَن ومَداين. وهو مَدْين ويَقِشَان وأَشْتَق وشُوح. فأَمَر إِبْرَاهِيم عليه السلام أَنْ يُضَمَّ إليه من ولَدِه إِسْمَاعِيل وإِسْحَاقَ ومَدْاين ويَقِشَان، ويَخْرُج عنه مَدْين

١٢ وأَشْتَق وشُوح. فقالوا له: يا أَبَانَا كَيْف تَسْتَجِيزُ أَنْ تَتْرُكَ عندكَ إِسْمَاعِيل وإِسْحَاق ومَداين ويقْشَان في الأَمْنِ والدِّعَةِ وتُخْرِجنا نحن عنك إلىٰ الغُرْبَة والوحْشَةِ والوَحْدَة؟ فقال: بذلك أُمِرتُ ولكنِّي سَأُعَلِّمكُم اسْمًا من أَسْمَاءِ الله تعَالىٰ

١٥ لتَسْتَنْصِروا به علىٰ أَعْدَائِكُم وتَسْتَنْزِلوا به الغَيْثَ إذا أَجْدَبْتمُ.

[1] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٣٠٨-٣١١.

فعلَّمَهُم إِيَّاه وخَرجُوا سَائِرين حتىٰ نزَلُوا مَوْضِع خُرَاسَان. فتنَاسَلُوا هناك وقهَرُوا بذلك الاسْمِ جَمِيعَ من نَاوَأهُم. فاتَّصَل خَبرُهُم بالخَـزَر- وهم من وَلدِ يَافِث بن نُوْحٍ- فصَارُوا إليهم وحَالفُوهُم وتزَوَّجُوا إليهم، وأقَامَ بعْضهُم عندهم وانْصَرفَ البَاقُون إلىٰ بَلدِهِم[1] [١٧٤و].

وحدَّثَ أبُو العَبَّاس عِيسَىٰ بن مُحَمَّد بن عِيسَىٰ المَرْوَزِيُّ[2]: فقال: لم نَزلْ نَسْمَع في الثُّغُور الخُرَاسَانيَّة التي من ورَاء النَّهْرِ وغيرها من الكُوَر المُوازِيةِ لِبلَاد التُّرْكِ الكَفرَةِ الغُـزِّيَّـة والتُّـغُزْغزِيـَّة والخَرْلُخِيـَّة.

وفيهم المَمْلَكةُ ولهم في أنْفُسِهم شَأنٌ عَظِيمٌ ونِكَايةٌ في الأعْدَاءِ شَدِيدةٌ، إنَّ من التُّرْكِ من يَسْتَمطِر في أسْفَارهِ وغيرها فيُمْطَر ويَحدُثُ ما يشَاءُ من مَطَرٍ وبَرْدٍ وثَلْجٍ ونحو ذلك[3]. فكُنَّا بين مُنْكِرٍ ومُصدِّقٍ حتىٰ رَأيتُ دَاودَ بن مَنْصُور بن أبي علي البَاذَغِيسيَّ- وكان رجُلًا صَالحًا قد توَلَّىٰ خُرَاسَان فَحُمِد أمْرهُ- وقد خلَا بابْنِ مَلِك التُّرْكِ الغُـزِّيـة وكان يقال له بالقِيق بن حيَّويْهِ.

[1] هذا الخبر مر ذكره فيما تقدم ص٣٨٥.

[2] عيسى بن محمد بن عيسى بن سليمان المروزي الطهماني، أبو العباس، كان رئيسًا نبيلًا كثير الفضائل، أحد أشراف خراسان بنفسه وآبائه وأسلافه. توفي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٠٠؛ السمعاني: الأنساب، ج٩، ص١٠٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٩٩١.

[3] بنصه لدى ياقوت الحموي: انظر: معجم البلدان،[مادة: تركستان]ج٢، ص٢٤-٢٥.

فقال له: بلَغنَا عن التُّرْكِ أنَّهم يَجْلِبُون المطَر والبَرْدَ والثَّلْجَ متىٰ شَاءُوا فما عندك في ذلك؟ فقال: التُّرْكُ أذلُّ وأحْقَرُ عند الله من أنْ يسْتَطِيعوا هذا الأمْر، والذي ٣ بلَغَك فهو حَقٌّ ولكن له خَبرٌ أُحدِّثك به: كان بَعْضُ أجْدَادِي رَاغِمًا أباه- وكان المَلِك في ذلك العَصْر- وشَذَّ عنه واتَّخَذَ لنَفْسِه أصْحَابًا من مَوالِيه وغِلْمانه وغيرهم ممَّن يُـحبُّ الصَّعْلكَة[a] ، ومضَىٰ سَائِرًا في شَرِقِ البِلَاد وغَرْبِها[b] ، يُغِيرُ علىٰ النَّاسِ ٦ ويَصِيدُ ما يَظْهَر له ولأصْحَابِه.

فانْتَهىٰ به المَسِيرُ إلىٰ بَلدٍ ذَكرَ أهْلهُ أنَّه لا مَنْفَذ لأحَدٍ وراءَ جَبلٍ لهم. فقال لهم: وكيف ذلك؟ قالوا: لأنَّ الشَّمْسَ تطْلَعُ من ورَاءِ هذا الجَبلِ، وهي قَرِيبةٌ من الأرْضِ ٩ جِدًّا فلَا تقَعُ علىٰ شَيءٍ إلَّا أحْرَقتْهُ.

قال: أفَلَيْسَ هناك سَاكِنٌ ولا وحْشٌ[c] ؟ قالوا: بلىٰ. قال: فكَيفَ يتَهيَّأُ لهم المُقَام علىٰ ما ذكَرتُم؟ قالوا: أمَّا النَّاس فلهُم أسْرابٌ تَحْتَ الأرْضِ وغِيرانٌ في الجِبالِ، فإذا ١٢ طَلعتِ الشَّمْسُ بَادَرُوا إليها فاسْتَكنُّوا فيها حتىٰ تَرْتفِع الشَّمْسُ عنهم[1] .

a) رسمت في الأصل: الصعلك.

b) رسمت في الأصل: الغرب.

c) رسمت في الأصل: ولا حين.

[1] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: تركستان] ج٢، ص٢٤-٢٥.

وأما الوَحْشُ فإنَّها تَلْقطُ حصَىٰ هناك قد أُلْهِمتْ مَعْرفتَهُ، فتَأْخُذ كلُّ وَحْشِيَّـةٍ حصَاةً من ذلك الحَصىٰ بفِيهَا وتَرْفَعُ رَأسَها إلىٰ السَّماءِ فتُظِلُّها عند ذاك غَمامَةٌ تَحْجِب بيْنَها وبين الشَّمْس.قال: فقَصَد جَدِّي تِلْكَ النَّاحِية فوجَد الأَمْرَ علىٰ ما بَلغهُ.

قال: فلمَّا بَدأتِ الشَّمْسُ في الطُّلُوعِ بَادَرت الوحُوشُ إلىٰ ذلك الحَصَىٰ فجَعلَتْهُ في أفْوَاهِها [١٧٤ظ] ورَفعَتْ رُؤوسَها إلىٰ السَّماءِ فأَظَلَّتها الغَمائِمُ. قال: فحَملَ هو وأصْحَابِه عليها يكُدُّونَها، فلَّما أدْرَكها اللُّغُوبُ ألْقَتْ ذلك الحَصَىٰ من أفْوَاهِها، فأَمَر أصْحَابه بَلقْطِه ليَعْرفهُ.

ففَعلُوا وجَاءُوا به، فعَرفَهُ وتَتبَّعهُ هو وأصْحَابه في تِلْك البـرِيـَّة فأَخَذوهُ وشَالُوهُ حِيالَ الشَّمْسِ فأظَلَّهم الغَمامِ ونَجوا من وَقْعِ الشَّمْسِ وحَرِّها. ثم جَمعُوا منه ما قَدرُوا عليه وحَملُوه إلىٰ بِلادِهم. فهُم إذا سَافرُوا وأرَادُوا المَطَر أبْرَزُوا منه شَيئًا يَسِيرًا تَركُوه فيَنتَشِر عند ذلك غَيْمٌ ويُوافِي المَطر. وإنْ هُم أرَادُوا الثَّلْج والبَرَدَ زادُوا فيه فيُوافِي الثَّلْجُ والبَرْدُ.

ويقال إنَّهم إذا أوْمَئُوا به إلىٰ جِهةٍ من الجَهات، مُطِرت تلك الجِهَة أو أُبْرِدَت. فهذه قِصَّتهُم وليست هذه من حِيلَتهِم ولا قُدْرَتِهم ولكنَّها من قُدْرَة الله تعالىٰ[١].

قال أبو العَبَّاس: ثمَّ وردتُ مَدِينة الشَّاش واجْتمَع إليَّ قَومٌ من أهْلِها لهم أفْهَامٌ ومَعْرفَةٌ وعِلْمٌ بأحْوالِ التُّركِ فسَألْتهُم فقالوا: عِندنَا من جُمْلَةِ الأمْرِ ما عِنْدك.

---

[١] انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: تركستان]ج٢، ص٢٤-٢٥.

فأما التَّفْسِير الذي ذكَر بالقِيق، فهو أعْرَف به إذ كان يُخْرِج الحَدِيثَ عن آبَائِه. فقال: ولَقِيْتُ هناك شَيْخًا من الكُتَّابِ القُدَماءِ يقال له حَبِيبُ بن عِيسَى، وكان قد جَمعَ أخْبَار وقَائِع نُوْحِ بن أسَدٍ[1] وحُروبِهِ مع التُّرْكِ، وفَهم أمُور ذلك الصُّقْعِ، فأخْرَج إليَّ نسْخَة كِتَاب من عَبْد الله بن طَاهِرٍ إلى نُوْح بن أسَدٍ، وفي آخِرِهِ نُسْخَةِ كتَابِ المَأمُون إليه يَأمُرهُ بالمَسْألةِ والبَحْثِ عما تَتكَلَّمُ به التُّركُ في الاسْتِمْطَار. قال حَبِيبٌ: فجَمعَ نُوحٌ مشَايِخ البَلدِ ومُسْلِمِي التُّرك فسَألَهم عن الأمْرِ فلم يَخْتَلفُوا في أنَّه حَقٌّ إلَّا أنَّهم لم يَعْرِفُوا العِلَّة فيه.

قال أبُو العبَّاس: فَسمِعتُ إسْمَاعِيلَ بن أحْمَد أمِيرَ خُرَاسَان[2] يقول: غَزَوتُ التُّركَ في بعْضِ السِّنينَ في نحو عِشْرينَ ألْفَ رجُلٍ من المُسْلِمينَ فخَرجَ إليَّ منهم نحْوَ سِتِّينَ ألْفًا في السِّلاحِ الشَّاكِّ فوَاقعتَهُم أيَّامًا. فإنِّي ليَوْمًا في قِتَالِهم إذ اجْتَمعَ إليَّ خَلْقٌ من غِلْمَانِ الأتْرَاكِ وغيرهم من الأتْرَاكِ المُسْتَأمنَة فقالوا لي: إنَّ لنا في عَسْكَرِ الكَفَرةِ قَرَابَاتٍ وإخْوانًا وقد أنْذَرُونَا وخوَّفُونَا بمَوافَاةِ [١٧٤و] فُلَانٍ قال: وكان هذا الذي ذكَرُوه عِندهُم كالكَاهِنِ، وكَانُوا يَزْعمُونَ أنَّه يُنْشِئ سحَابَ البَرْدِ والثَّلْجِ وغير ذلك، فيَقْصِدُ بها من يُرِيدُ إهْلَاكهُم فقالوا: قد عَزمَ أنْ يُمْطِر عَسْكَرنَا بَرْدًا عِظَامًا لا تُصِيب البَردةُ إنْسَانًا إلَّا قتلَتْهُ.

---

[1] نوح بن أسد بن سامان، من ولاة العباسيين الأقوياء، ولاه الخليفة العباسي المأمون سمرقند، ثم بلاد ما وراء النهر تباعًا لبني طاهر، توفي سنة ٢٤٥هـ/٨٦٠م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٠٦-١٠٧. النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٠٥-١٠٦.

[2] انظر فيما تقدم ص٣٨٢.

[قال] فانْتَهرتهُم وقُلتُ لهم: ما خَرجَ الكُفْرُ من قلُوبكُم بعد، وهل يَسْتَطِيعُ هذا أحَدٌ من البَشرِ؟ قالوا: قد أنْذَرنَاكَ وأنت أعْلمُ والمُوعِد غَدَاة عند ارْتِفَاع النَّهار.

٣ قال: فلمَّا كان من الغَدِ وارْتفعَ النَّهارُ نشَأتْ سَحَابةٌ عَظِيمةٌ هَائِلةٌ من رَأسِ جَبلٍ كُنتُ مُسْتَندًا بعَسْكَري إليه. ثمَّ لم تزل تَنْتَشرُ ويَزِيدُ أمْرهَا حتى أظَّلتْ عَسْكَري كُلَّه. فهَالَنِي سَوادُهَا وممَّا رَأيتُ منها ومَا سَمِعْتُ فيها من الأصْوَاتِ الهَائِلة،

٦ وعَلِمتُ أنَّهَا فِتْنةٌ، فنَزلتُ عن دَابَتِي وصَلَّيتُ رَكْعَتينِ وأهْلُ العَسْكَر يَمُوجُ بعضَهُم في بَعْضٍ لا يشكُّونَ في البَلاءِ.

فدَعَوْتُ الله ﷻ وعفَّرتُ وجَهْي في التُّرابِ وقلت: اللَّهمَ أغِثْنَا إنَّ عِبَادك

٩ يَضْعفُون عن محِْنتكِ، وأنَا أعْلَمُ أنَّ القُدْرةَ لك وأنَّه لا يَمْلِكُ الضُّر والنَّفعَ إلَّا أنت، إنَّ هذه السِّحَابة إنْ مطَرت علينَا كَانت فِتنَةً للمُسْلِمينَ وسَطْوةً للمُشْرِكين، فاصْرِف عنَّا شرَّهَا بحَوْلكَ وقُوَّتِك يَا ذا الحَوْلِ والقُوَّة.

١٢ قال: فأكْثَرتُ [الدُّعَاء] ووجْهِي في التُّرابِ رَغْبةً ورَهْبةً إلى الله وعِلْمًا أنَّه لا يَأتِي الخَيرُ إلَّا من عِنْدِهِ ولا يَصْرِفُ السُّوءَ غيره. فبيْنمَا أنا كذلك إذ تبَادَر إليَّ الغِلْمَان وغيرهم من الجُنْدِ يُبشِّرونَ بالسَّلامَةِ وأخَذُوا بعَضُدِي يُنْهِضُونَني من سَجْدَتي

١٥ ويقولون: انْظُر، انْظُر أيُّها الأمِير[١].

[١] قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: تركستان]ج٢، ص٢٦.

فرَفعْتُ رَأسِي وإذا السَّحَابَة قد زَالتْ عن عَسْكَري وقَصدتْ عَسْكَر التُّركِ تُمْطِر عليهم بَرْدًا عِظَامًا. وإذا هُم يَمُوجُون وقد نفَرتْ دَوابُّهم وتَقلَّعت خِيَمهُم.

٣ وما تَقعُ بَردَةٌ علىٰ واحِدٍ منهم إلَّا أوْهَنتهُ أو قَتلَتْهُ. فقال أصْحَابِي: نَحْمِلُ عليهم. فقلت: لا، لأنَّ عذَابَ الله أدْهَىٰ وأمَرُّ.

فلم يَفْلِت منهم إلَّا القَلِيل وتَركُوا عَسْكَرهُم بجَمِيع ما فيه وهَربُوا. فلمَّا كان

٦ من الغَدِ جِئْنَا [١٧٥ظ] إلىٰ عَسْكَرهِم فوجَدْنَا فيه من الغنَائِم ما لَا يُوصَف. فحَملْنَا جَمِيع ذلك وحَمدْنَا الله علىٰ السَّلامَةِ وعَلِمْنَا أنَّه هو الذي سهَّل لنَا ذلك ومَلَّكْنَا إيَّاهُ والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين[١].

٩

---

[١] علق ياقوت الحموي في نهاية هذا الخبر بقوله: « هذه أخبار سطرتها كما وجدتها والله أعلم بصحتها». انظر: معجم البلدان، [مادة: تركستان]ج٢، ص٢٦.

ذكْرُ بَعْض مُدُن الأَتْرَاك وعجَائِبها

قال سَعِيدُ بن الحسَنِ السَّمَرْقَنْدِيُّ[1]: منهم بَادِيةٌ يَحِلُّونَ ويَرْتَحِلُونَ وينْتَجِعُون الغَيْثَ ويتَّبِعُون الكَلأَ كما تَفْعلُ البَوادِي في بلَدِ الإسْلَام. وهؤلاء لا يَدِينُون لَمِلِكٍ ولا يُعْطُونَ طَاعةً لأحَدٍ، يَغِيرُ بعْضَهُم علىٰ بَعْضٍ فيَسْبُونَ الحُرَمَ والذَّرَارِي.

وربَّما فَارقَ القَوْمُ منهم الحيَّ الذي كانوا فيه وصَارُوا إلىٰ حَيٍّ آخر، ومعهم من حُرمِ أهلِ ذلك الحَيِّ الذين قد صَارُوا إليه، وأوْلَادهُم قد اسْتَعْبَدوهم، فلا يُطَالِبُونهم بهم، وهم يَنْظِرونَ إليهم عَبِيدًا لهم سُنَّـةٌ فيهم وشَيءٌ قد اصْطَلحُوا عليه.

ولهم مُدنٌ كَثِيرةٌ في بعْضِها تُجَّارٌ وأمْوالٌ وفي جميعَها أَسْوَاقٌ. فمنها مَدِينةُ التُّغُزْغُزِ: وهي أكْبَر مَدائِنهُم وأحْصَنهَا ولها سُورٌ عَظِيمٌ مَبْنِيٌ بالصَّخْرِ وله خَنْدَقٌ دَائِرٌ به، فيه مَاءٌ غَزِيرٌ. وأَهْلهَا لهم شِدَّةٌ وإقْدَامٌ في الحَرْبِ وأَكْثَرُ سِلَاحهِم السُّيوف.

ومن مُدُنهِم أيضًا مَدِينةٌ يقال لها "مَبوس" تَقْرُب من الشَّاشِ، وهي كَبِيرةٌ أيضًا. وأهْلُها بغَيرِ دينٍ، وهُم شِرَارُ خَلْقِ الله، يَغِيرُ بعْضُهم علىٰ بعْضٍ ويَقْتُل أَقْدَرهُم ضَعِيفَهُم ولا يَأْمَن الأَخُ أَخَاهُ ولَا الوَالِد أَبْنَاءه. يأكُلُون جَمِيعَ الحيوَانَات. الزِّنا فيهم ظَاهِرٌ، يَدْخُل الوَاحِد منهم إلىٰ مَنْزِل الآخَر فيَفْتَرِش حُرْمَتهُ وهو ينْظُر إليه لا يَمْتَعِضُ من ذلك ولا يُنْكِره. ولَيْسَت لهم شَجَاعةٌ وفيهم جَمالٌ وأكثرُ رجَالِهم مؤنَّـثُون. ويَشْرَبُون الدَّم وفي وسَطِ مدِينتَهُم بُحَيْرةٌ غَزِيرةُ الماءَ إذا مَات الوَاحِدُ منهم أُلْقِي فيها.

---

[1] لم أقف له على ترجمة.

ومن مُدُنهم أيضًا مَدِينةٌ يقال لها "دَي" لا يقُول أهْلهَا بالحَرْبِ بل يُؤدُّونَ الإتَاوَة إلىٰ كُلِّ من غَلَبتْ يَدهُ عليهم. ويَنْكِحُون كلَّ ما لحقُوهُ من امْرَأةٍ أو غُلامٍ أو ٣ حَيوانٍ [١٧٦ و].

ومن مُدُنِهم مَدِينةٌ يُقَال لها "سُور" يقُاتِل أهْلُها أهْلَ الشَّاشِ وأهْلَ سَمْرقَنْد، ولهَم بَأسٌ شَدِيدٌ ونِكَايةٌ عَظِيمةٌ، ولهم أوْهَاقٌ[1] يَرْمُون بها في الحَرْبِ ولا تكَادُ ٦ تُخْطِئ. وفي رِجَالِهم جَمالٌ وفي نِسَائِهم قُبْحٌ. وهم يُنْكِرون الزِّنا ويَقْتُلون من يَفْعَلهُ من الذَّكرِ والأُنْثىٰ. ولهم نَبِيذٌ يتَّخِذُونهُ من عقَاقِير يَعْرِفُونها يُسْكِرُ الرَّطْلُ الوَاحِد بالبَغْدَادِيِّ[2] منه سُكْرًا مُفْرطًا.

٩ ومن مُدُنهم مَدِينةٌ يقال لها "خَرِيسم" أكْثَرُ غَارَة أهْلَها علىٰ المَدِينةِ التي يقال لها "سُور"، وإذا أسَرُوا من أهْلِها إنْسَانًا قطَّعُوهُ وطَبخُوهُ وأكَلوهُ. وهم هَمجٌ لا يَكادُ بعْضُهم يَفْقَه قَوْلًا ولَا يَعْرِف شَيئًا. وإذا خَلا القَوِيُّ منهم بالضَّعِيف نكَحهُ. ولهم ١٢ أيضًا بَأسٌ شَدِيدٌ.

ومن مُدُنهم أيضًا مَدِينةٌ يقال لها "أغْرس" أهْلَهَا قد خَالفُوا جَمِيع الأتْرَاك باعْتِدَال الطَّبْعِ وسَلامَةَ النَّاحِية. يأكُلُون لحْمَ أكْثَر الحيَوان بعد الذَّبْحِ ويَعْبُدونَ ١٥ أوْثَانًا لهم. وفيهم عُلَماءُ بمَذْهَبِهم، ولا يَرُونَ الزِّنا ويَجْتَنِبُونَ الفَوَاحِش، ولهم بَيْتُ عِبَادةٍ مُفْرِطُ الطُّولِ والعَرْضِ والارْتِفَاع. يَزْعُمُون أنَّه نزَلَ من السَّماءِ علىٰ هَيْئَته التي

---

[1] الوهق: لفظة معربة عن الفارسية، وتعني الحبل الذي يطرح في أعناق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ. انظر: ابن سيده: المخصص، ج٢، ص٤٧٣.

[2] انظر فيما تقدم ص١٥٨.

هو عليها. ويقُولُون: إنَّما نَعْبُد الأوْثَان لتُقرِّبنَا إلىٰ الله وتَشْفَعُ لنَا عِنْدَه لأنَّها بغَيرِ ذُنُوب. ولهم مَلِكٌ منهم.

ومن مُدُنِهم مَدِينةٌ يقال لها "كرشيم" يَأكُل أهْلُها كلَّ ما دبَّ علىٰ وجْهِ الأرْضِ بغَيْرِ تَذْكِيةٍ. ولهم إقْدَامٌ وصَوْلَةٌ. وهم عُرَاةٌ كالبَهائِم يَلْقَىٰ الرَّجُل المَرْأةَ في الطَّرِيقِ فيُجَامِعهَا والنَّاسُ ينْظُرون إليه. وهم أصْحَاب بِياتٍ وأكْثَر قِتَالهم بالنُّشَاب المَسْمُوم ولا يُعْطُون طَاعةً لأحَدٍ.

ومن مُدُنهم مَدِينةٌ يقُالُ لها "دكس" لأهْلِها بَأسٌ شَدِيدٌ وصَبرٌ علىٰ القَتْلِ. وبعْضُهم شَدِيدُ الحُبِّ لبَعْضٍ وغَنِيُّهم يعُودُ علىٰ فَقِيرهم. ولهم يَسَارٌ ظَاهِرٌ من المَواشِي والخَيْلِ وغَير ذلك. ومنهم تُجَّارٌ يَخْرجُونَ إلىٰ بَلدِ الإسْلَامِ. ولهم وفَاءٌ بالعَهْدِ إذا عَاهَدُوا. ويُقْتَلُ منهم دون جَارَه أو من يَعْرِفهُ من غيرِ بلَدهِ، إلَّا أنَّ الزِّنا عندهم غيرُ مُسْتَنْكرٍ. ومَدِينتُهُم كَثِيرةُ [١٧٦ظ] الخَيْرِ، غزِيرَةُ المِيَاهِ والبسَاتِين. ولهم ضُرُوبٌ من الفَاكِهةِ عجِيبةٌ لا تُعْرَفُ في بلَدِ الإسْلَام.

ومنهم مَدِينةٌ يقال لها "كيساه" تَقْرُب من بَلدِ الخَزَر. فأهْلُها يَغْزُون علىٰ الخَزَر، وهم من شَرِّ خَلْقِ الله، إذا دخَلَ الغَرِيبُ مَدِينتَهُم نكَحُوه. وإذا وجَدُوا رَجُلًا مع غَلامٍ جعَلُوا الغُلَامَ له أبَدًا.

وفي بلَدِهِم ضَربٌ من الحَيوانِ يَأكُل النَّاس، يكُونُ في قَدْرِ الكَلْبِ إلَّا أنَّه شَدِيدُ الضَّرَاوَة علىٰ النَّاسِ قلَّ من يُفْلِتُ منه إذا نظَر إليه، سَرِيع الخَطْو يَسْبقُ الخَيْلَ

المُضَمَّرةَ. ولهم نَبِيذٌ أبْيَض طَيِّبُ الرَّائِحةِ والطَّعْمِ. يأكُلُون المَيْتة والدَّمَ مثل السِّبَاع. قَلِيلَةٌ رحْمَتهُم، لِئَامُ الظُّفْرِ، قِبَاحُ الوُجُوهِ، قِصَارُ الأجْسَام.

٣ ومن مُدُنهم مَدِينةٌ يقال لها "دَانِي" رِجَالُها طُوالٌ ونِسَاؤهَا قِصَارٌ. ومَدِينتُهُم بين الخَزَر والرُّومِ. فهم يُقَاتِلُون هؤلاء وهؤلاء. ولهم قُوَّةٌ علىٰ الخَزَر ولا قوَّةَ [لهم] علىٰ الرُّوم. يَأكُلُون جَمِيعَ الحَيوَانِ ويَلْحَسُونَ جِرَاحَاتِهِم ويُقَاتِلُون بالسُّيوفِ، ولَا صَبر

٦ لهم علىٰ النُّشَاب.

يتزَوَّجُ الرَّجُل منهم بمِائَةِ امْرَأة ورُبَّما ذَبحَ الوَاحِد منهم امْرَأتَهُ ووَلَدهُ بحَضْرَةِ أبي المَرْأَة وأُمهَا وإخْوتِها وأكَلهَا هو وهم. ولهم جَبلٌ فيه ضَرْبٌ من الحيَّات لا يَقتلُ

٩ سُمهَا. ولهم عَقَارِبُ مُفْرِطَةُ العِظَم، كثِيرةٌ في منَازِلهُم، ليْسَت قتَّالَة رُبما أكَلُوها. وعِنْدهُم خُفَّاشٌ يكُون الوَاحِد منهم مثل الحَمامَة الكَبِيرةِ وأعْظَم.

ومن مُدُنهم مَدِينةٌ يُقال لها "سكوب" وأهْلُها يتكلَّمُونَ بالسُّرْيَانيَّة. ولهم

١٢ شَجَاعةٌ وإقْدَامٌ ونِسَاؤهم تُقاتِلنَ معهم قِتَالًا شَدِيدًا. والزِّنا في نِسَائِهم طَبْعٌ مُركَّبٌ، تَنْظُر الوَاحِدةُ منهنَّ إلىٰ الرَّجُلِ الذي تَشْتَهِيه فَتقْبِضُ عليه ولا يَمْلِكُ شَيئًا من نَفْسِه. وتَمْضِي به إلىٰ جَبلٍ بالقُرْبِ من المَدِينةِ فيه غِيرَانٌ وكُهُوفٌ، فتجْعَلهُ في بعْضِ تِلْكَ

١٥ الغِيَرانِ ولا يَسْهُلُ له الخُروج. وتَجِيئه بجَمِيع ما يَحْتَاج إليه. ولا يَجُوز لزَوْجٍ- إنْ كانَ لها- أو أخٍ أو ولَدٍ منْعَها من ذلك. وكذا الرَّجُلُ لَا يُمْكِنهُ الخَلَاص من يدَها إنْ كانت [١٧٧و] امْرَأةً أو وَلدًا أو غيرَ ذلك من الأهْلِ. فمتَىٰ يأبَىٰ عليها قتَلتْهُ.

وكذلك [إنْ] منعَها منه مَانِعٌ اسْتَنْجَدت بالنِّسَاء اللَّواتِي علىٰ مذْهَبها فقَاتَلنَ معها حتىٰ يبْلُغْنَ لها ما تُرِيد، لأنهُنَّ علىٰ مَذْهبٍ واحدٍ فبَعْضُهُنَّ يرقُبنَ بعْضًا. فإذا ضَجِرتْ منه أو ملَّتهُ أو هَوِيتْ سِوَاه صَرفَتْهُ إلىٰ منْزِلهِ ثمَّ لم يَقْدِرهَا غيرها علىٰ أنْ يَقْتَطِعهُ لأنهَا تَمْنَعُ من ذلك كانَ معَها أو لم يكن.

ولهذه المَدِينة حمَّةٌ عجِيبةُ النَّفْعِ، تَخْرُج من كَهْفٍ في جَبلٍ شَاهِقٍ، لا يَصِلُ إنْسَانٌ إلىٰ الكَهْفِ الذي هي فيه، وإنمَّا تَجْرِي فيه إلىٰ عَشْرَةِ أبْيَاتٍ مبْنِيَّة بالصَّخْرِ: سَبْعَةٌ للرِّجَالِ، وثَلاثَةٌ للنِّسَاء. مَاؤهَا في الشِّتَاءِ شَدِيدُ الحَرِّ ويَنْقُصُ حرُّهُ في الصَّيفِ.

وفي هذا الجَبَلِ ثَعَالِبُ سُودٌ وحُمرٌ وبُلْقٌ، قلَّ ما يُصْطَادُ شَيءٌ منها لتَغَلْغُلهَا بين الشَّجَرِ وقِلَّة نزُولها إلىٰ السَّهْلِ. وهي أصْبَرَ الحَيوانِ علىٰ الثَّلْجِ، وكذلك جمِيعُ ما في هذا الجَبَلِ لأنَّ الثَّلجَ يقَعُ فيه أكْثَر السَّنة. ولهم مُدنٌ كَثِيرةٌ ولمْ نَذْكُرهَا، ومُدُنٌ ما وصَلَ إليها إنْسَانٌ من المُسْلِمِينَ ولا غَيرهم يَجِيئنا بصِحَّة خبَرهَا لأنَّها واغِلَةٌ في المَشْرِق لا يَبْلغُها أحَدٌ ولا يَقْصِدهَا تَاجِرٌ ولا غَيْره.

أَلْقَابُ مُلُوكِ خُرَاسَانَ والمُشِرق والتُّرْكِ والنَّواحِي المُلْتَصِقَة بهم[١]

مَلِك نَيْسَابُور	:	كَيَان
مَلِك مَرْو	:	مَاهُويه
مَلِك سَرْخَس	:	زَاذُويه
مَلِك أَبِيوَرْد	:	بَهْمَنَه
مَلِك نَسَا	:	إيرَان[a]
مَلِك غَرْجِسْتَان	:	بَراز بَنْده[b]
مَلِك مَرْو الرُّوذِ	:	كَيْلَان
مَلِك زابُلِسْتَان	:	فَيْرُوز
مَلِك كَابُل	:	كَابُل شَاه
مَلِك التِّرْمِذ	:	تِرْمِذ شَاه
مَلِك البَامِيَان	:	شِيربَامِيَان
مَلِك السُّغْد	:	إخْشِيد[c]

[a] في ابن خُرَّداذْبه: أبراز.

[b] في الأصل: بران بنده. والتصويب من ابن خُرَّداذْبه.

[c] في ابن خُرَّداذْبه: فيروز.

[١] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص٢٩؛ البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: إدوارد ساخاو، لاييزج، ١٩٢٣م، ص١٠٠-١٠١

مَلِك فَرْغَانَة	:	أيضًا إخْشِيد
مَلِك رُوبسْتَان[a]	:	رُوبسْتَان شَاه[a]
مَلِك الجُوزَجَان	:	كُوزَكَان خُدَاه[b]
مَلِك خُوَارِزْم	:	خُوَارِزْم شَاه[c]
مَلِك الخُتَّل	:	شِيرخُتَّلَان[d]
مَلِك بُخَارَىٰ	:	بُخَارَىٰ خُدَاه
مَلِك أسُروشَنَة	:	أفْشِين
مَلِك سَمَرْقَنْد	:	طَرْخُون
مَلِك سَجِسْتَان وبِلَاد الدَّاوَر	:	رتُبْيِل [١٧٧ظ]
مَلِك هَرَاة وبُوشَنْج وبَاذَغِيس	:	بَرَازَان
مَلِك كَشّ والرُّخَّج	:	نَيْدُون
مَلِك مَا وَرَاءَ النَّهر	:	شَاهانْشَاه[e][١]

[a] كما في الأصل: في ابن خُرَّداذْبه: الريوشاران.

[b] في الأصل:كوكوبار خذاه. والتصويب من: البيروني.

[c] في ابن خُرَّداذْبه: خسر وخوارزم.

[d] في الأصل:ملك الخنش: خنش كيلان، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه.

[e] في الأصل: شارشاه، والتصويب من: ابن خُرَّداذْبة.

[١] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٦، ٤٠-٤١.

[ألْقَاب مُلُوكِ التُّرك]

أمَّا مُلُوك التُّرك[١]: هَيْلُوب خَاقَان. جَبْغُويه[a] شَابه خَاقَان. سَنْجِبو خاقان. ٣ مَانُوش خَاقَان[b]. فَيْرُوز خَاقَان. ومن ملوكهم الصغار: طَرْخَان، ونَيْزَك، وخُورتِكِين، وتَمُّون وسُهْراب وغُوزْك.

****

٦ تمَّ الكِتَاب بحَمْدِ الله تعَالى إلى هَاهُنا.

تَألِيف أحْمَد بن مُحَمَّد بن إسْحَاق

الهَمَذَانِيِّ

٩ المَعْرُوف بابن الفَقِيه

من كِتَاب أخْبَارِ البُلْدَان.

والحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِين،

١٢ وصَلَّى اللهُ على نَبِيِّه مُحَمَّدٍ

خَاتِمِ النَّبِيِّينَ

ورسُولِ ربِّ العَالَمِين.

[a] في الأصل: جغبون، والتصويب من ابن خُرَّداذْبه.

[b] في الأصل: مومابوس خاقان.

[١] انظر: ابن خُرَّداذْبه: المسالك والممالك، ص١٦، ٤٠-٤١.

ملاحق الكتاب





قَائِمَة خَرَاج السَّواد

أوضَح ابن الفَقِيه في القِسْم الذي خصَّصَهُ للحَدِيث عن السَّواد وحُدُوده وأعْلَامه بعض التَّنْظِيمات الإدَارِيَّة العَامة المُتعَارف عليها والتي استُخْدِمت لتَسْهِيل أعمَال الإحِصَاء المَالِي وتَيْسِير عمَليَّات الجِبَاية في موَاسِم الغلَّات.

وفصَّل ما يُسْتَأدَى عيْنًا وما يُجْمَع من الأمْوَال، فأعْطَى صُورَةً واضِحَةً لإقْلِيم السَّواد وما يتَميَّز به من ثَروَات ومَرافِق وخَيْرَات، فجَاءَت قَائِمة خَراج السَّواد عند ابن الفَقِيه أَتمَّ وأوْضَح من القَائِمة التي أوْرَدهَا «ابن خُرَّدَاذبَه»، إذ تَحْـوِي إضَـافَات وتفَاصِـيل لَيْسَـت في قَائِمَـة «ابن خُرَّدَاذبَه». ومن خِلَال مُقَارنَة ما وَرَد في القَوائِم الثَّلاثَة التَّالِية نَخْلُص إلى النَّتَائِج التَّالية:-

- تُمثِّل قَائِمة «ابن الفَقِيه» الحَالَة المَالِيَّة للدَّوْلَة العبَاسِيَّة خِلَال الرُّبع الأوَّل من القَرْنِ الثَّالِث الهِجْرِي/ الثَّامِن الميلَادِي، وتَحْدِيدًا بعد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، لأنَّ هذه أوَّل سَنة يُوجَد حِسَابُها في الدَّوَاوِين بعد أن احْترَقَت في أيَّام الفِتْنَة بين الأمِين والمَأمُون سنة ١٩٧هـ/٨١٢م.
- عَرضَ «ابن الفَقِيه» المَوارِد المَالِيَّة الخَاصَّة بالسَّواد فعَدد رَسَاتِيقه والتي بلَغت ٤١ رُسْتَاقًا.
- بيَّن «ابن الفَقِيه» مقَادِير ما يُجْبَى من مُخْتَلِف نوَاحِي طسَاسِيج السَّواد من الحِنْطَة والشَّعِير بالأكْرَار، وكذلِك مِقْدَار ما يُحَصَّل من أمْوَال بالدَّرَاهِم.
- والنَّتِيجَة التي تُسْتَخْلَص أنَّ القَائِمَتينِ مُتطَابقَتان في أغْلَب البيَانَات.

وفي الجَدْوَل التَّالي عَقدتُ مقَارنَةً لَما ورَد في القَائِمَتينِ مع مُقَارنته بما وَردَ لدَى «قُدَامَة بن جَعْفَر»، وهي قَائِمةٌ له أهمِيَّتها الخَاصَّة لبَيان مِقْدَار الجِبَاية، وأصْنَاف الغَلَّات التي كانت تُسْتَأدَى من هذه المنْطَقة الشَّاسِعة من أرْضِ العِرَاق.

قَائِمةُ خَراج الدُّنْيَا

عَمد «ابن الفَقِيه» إلى إيرَاد قَائِمة خَراج الدُّنْيَا كما أسْمَاهَا بعد قَائِمة السَّواد، ليُوضِّح حقِيقَة حَجْمِ الأمْوَال التي تُسَاهِم بها «بُلْدَان العِرَاق وسَوادِه» في مِيزَانيَّة الدَّوْلَة، واعْتَمدَ في هذه القَائِمة علىٰ مَصْدَرٍ مَوثُوق لا يرْقَىٰ إليه شّك- هو نَفْس مَصْدَر الجَهِشْيَارِيِّ- ورَجعَ بهذه القَائِمة إلىٰ أواخِر خِلَافة المَهْدِيِّ وأوائِل خِلَافة الرَّشِيد سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م.

ولهذه القَائِمة أهمِيَّتهَا الخَاصَّة لأنَّها تُكمِّل قَائِمة «الجَهِشْيَارِيِّ»، وبالجمع بينهما بات لدينا - لأوَّل مَرَّة - نَصًّا تَامًّا للقَائِمة التي عَرضَها «الوَزِير ابن المُطَرَّف»، يَضُمُّ عَرضًا تفْصِيليًّا لموَازنَة الدَّوْلة العبَاسيَّة في أوْج مَجدَها.

تقديرات خراج السواد / الجانب الغربي						
الطسُّوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	كمية الحنطة (بالكر)	كمية الشعير (بالكر)	الورق (بالدرهم)	مقارنات
الأنْبَـار	٥	٢٥٠	٢٣٠٠	١٠٤٠٠	٣٥٠،٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: الورق:١٥٠،٠٠٠ درهم قدامة:الورق:٤٠٠،٠٠٠ درهم. الحنطة:١١،٨٠٠٠ كُر الشعير:٦،٤٠٠ كُر.
قُطْربُل	١٠	٢٢٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠.٠٠٠	----------------------
مَسْكنَ	٦	١٥٠	٣٠٠٠	١٠٠٠	١٥٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره: ١٥٥بيدرًا؛ الشعير:٢٠٠٠ كر]
بَادُورَيَا	١٠	٤٢٠	٣.٥٠٠	٢٠٠٠	١.٠٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: الرساتيق:١٤؛ الشعير: ١٠٠كر؛ الورق: ٢.٠٠٠.٠٠٠].
بَهُرسِير	١٠	١٤٠	١.٧٠٠	١.٧٠٠	١٥٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره:٢٤٠، الحنطة:١.٩٠٠كر]
الرُّومَقَان	١٠	٢٤٠	٣.٣٠٠	٣.٠٥٠	٥٤٠.٠٠٠	[قدامة: الشعير: ٣.٣٠٠ كر؛ ابن خرداذبة؛ وقدامة: الورق: ٢٥٠.٠٠٠].
كُوثى	٩	٢١٠	٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٥٠.٠٠٠	[قدامة: الورق: ٣٥٠.٠٠٠].
نهر دَرْقِيطَ	٨	١٢٥	٢٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: رساتيقه: ٩، والشعير٢٠٠٠ كر]

نهر جَوْبَرَ	١٠	٢٢٦	٢.٧٠٠	١٠.٠٠٠	١٥٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره:٢٢٧؛ الحنطة: ١.٧٠٠ كر ؛ أما في قدامة: ١.٥٠٠ كر؛ الشعير: ٦٠٠٠ كر] .
كُوْرة الزَّوَابي	١٢	٢٤٤	١.٤٠٠	٧.٢٠٠	١.٠٠٠.٠٠٠	[ابن خرداذبة وقدامة: الورق:٢٥٠.٠٠٠].
بابل وخطرنية	١٢	٣٧٠	٣٠٠٠	٥٠٠٠	٣٥٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: رساتيقه: ١٦؛ وبيادره ٣٧٨ بيدرًا].
الفَلُّوجَةِ العُلْيـا	١٥	٢٤٠	٥٠٠	٥٠٠	٧٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: الحنطة: ١.٥٠٠]
الفَلُّوجَةِ السُّفْلى	٦	٩٢	٢٠٠٠	٣٠٠٠	١٨٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره:٧٢؛ الشعير: ١٠٠٠ كر؛ قدامة: الورق: ٢٨٠.٠٠٠ درهم].
النَّهْرينِ	٣	١٨١	٣٠٠	٤٠٠	٤٥.٠٠٠	-------------------
عين التَّمر	٣	١٤	٣٠٠	٤٠٠	٤٥.٠٠٠	-------------------
الجُبَّة والبُداة	٨	٧١	١.٢٠٠	١.٦٠٠	١٥٠.٠٠٠	[قدامة: الحنطة: ١.٥٠٠]
سُورا وبَرْبيسَما	١٠	٢٥٠	٧٠٠	١.٤٠٠	١٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره٢٦٥؛ الشعير والأرز: ٢.٤٠٠. وفي قدامة: الحنطة: ١.٥٠٠ كر].
بَارُوسَما ونهر الملك	١٠	٦٦٤	١.٥٠٠	٤.٥٠٠	٢٥٠.٠٠٠	[قدامة: الحنطة: ٣.٥٠٠؛ الشعير: ٤.٠٠٠؛ الورق: ١٢٢.٠٠٠ درهم].

السِّيبَيْن والوقُوف	——	——	٥٠٠	٥.٥٠٠	١٥٠.٠٠٠	
فُرَاتُ بَادَقْلَى	١٠	٢٧١	٢٠٠٠	١.٥٠٠	٩٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: رساتيق:١٦؛ الشعير والأرز:٢.٥٠٠؛ وفي قدامة: الورق: ٦٢.٠٠٠درهم]
السَّيْلَحِين	——	٣٤	١٠٠٠	١.٥٠٠	١٤٠.٠٠٠	
رُوذمَسْتَان	—	—	٥٠٠	٥٠٠	١٠.٠٠٠	[قدامة: الورق: ٢٠.٠٠٠درهم].
نِسْتَر	٧	١٦٣	١.٢٥٠	٢.٠٠٠	٣٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره: ١٧٣؛ في قدامة: الحنطة: ٢.٠٠٠]
إيغَارُ يقْطِين	——	——	——	——	٢٠٤.٨٤٠	——
كور كَسْكَر	——	——	٣٠٠٠	٢٠.٠٠٠	٢٠٠.٠٠٠	[قدامة: الورق: ٢٧٠.٠٠٠درهم]

تقديرات خراج السواد/ الجانب الشرقي						
الطسُّوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	كمية الحنطة (بالكر)	كمية الشعير (بالكر)	الورق (بالدرهم)	مقـــــــارنات
بُزُرْجَسَابور	٩	٢٦٠	١.٥٠٠	٢.٠٠٠	٣٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره: ١٦٣ بيدرًا؛ الحنطة: ٢.٠٠٠؛ الشعير: ٢.٢٠٠ كر]
الرَّاذَانَين	١٦	٣٦٢	٤.٨٠٠	١.٠٠٠	١٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: رساتيقه: ١٩؛ الشعير: ٤.٨٠٠ كر؛ الورق: ١٢٠.٠٠٠ درهم].
كلَوْاذَى ونَهْرُبِين	٣	٤٣	١.٦٠٠	١.٥٠٠	٣٣٠.٠٠٠	ــــــــــ
جَازِر والمدينة العتيقة	٧	١١٨	١.٠٠٠	١.٥٠٠	١٧٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره: ١١٦ بيدرا؛ الشعير: ١.٤٠٠ كر؛ وجازر: من الورق: ١٤٠.٠٠٠؛ المدينة العتيقة: الورق: ١٥٠.٠٠٠؛ وفي قدامة: الورق لجازر والمدينة العتيقة: ٢٤٠.٠٠٠ درهم]
مَهْرُوذ وسِلْسِل	ــ	ــ	٢٠٠٠	٢.٥٠٠	٢٥٠.٠٠٠	[قدامة: الشعير: ١.٥٠٠ كر؛ الورق: ١٥٠.٥٠٠٠ درهم

جلولاء وجلولاء	٥	٦٦	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: بيادره:٧٦ بيدرا]
الذِّيبَيْن	٤	٢٣٠	٧٠٠	١.٣٠٠	٤٠.٠٠٠	[قدامة: الحنطة:١.٩٠٠كر]
الدَّسكَرةِ والرَّساتيق	٧	٤٤	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٧٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: الحنطة: ١٠٠٠كر؛ وفي قدامة: ١.٨٠٠كر؛ الشعير: ١٠٠٠كر؛ وفي قدامة: ١.٤٠٠كر]
بَراز الرُّوز	٧	٨٦	٣٠٠٠	٥٠٠٠	١٢٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: رساتيقه:٦ رساتيق ؛ بيادره: ٢٦ بيدرا؛ الشعير: ٥.٥٠٠كر؛ وفي قدامة: الشعير: ٥.١٠٠كر]
البَنْدَنيجَين	٥	٥٤	٦٠٠	٥٠٠	١٠٠.٠٠٠	[قدامة: الورق: ٣٥.٠٠٠درهم]
النَّهْرَوانَات	٢١	٣٨٠				
الأعلى			٢.٧٠٠	١.٨٠٠	٣٥٠.٠٠٠	[قدامة: الحنطة: ١.٧٠٠كر]
الأوْسَط			١٠٠٠	٥٠٠	١٠٠.٠٠٠	
الأسْفل			١٠٠٠	١.١٠٠	١٥٠.٠٠٠	[ابن خُرَّداذْبه: الشعير: ١.٢٠٠كر؛ وفي قدامة: الحنطة: ١.٧٠٠كر؛ الشعير: ١.٣٠٠كر؛ الورق ٥٣.٠٠٠ درهم

بَادرَايا وباكُسَيا			٤.٧٠٠	٥٠٠٠	٣٣٠.٠٠٠	
إسْتَان شاذ فيروز					١.٨٠٠٠٠٠	



تقدير خراج الدّنيا		
قائمة ابن الفقيه		
الإقليم	**مقدار الجباية من الأموال**	**مقدار الجباية من الأمتعة و العروض**
كَسْكَر	١١،٦٠٠،٠٠٠ دِرْهَم	ـــــــــــــــ
كُوَر دِجْلَة	٢٠،٨٠٠،٠٠٠ دِرْهَم	ـــــــــــــــ
حُلْوَان	٤،٨٠٠،٠٠٠ دِرْهَم	ـــــــــــــــ
الأَهْوَاز	٢٥،٠٠٠،٠٠٠ دِرْهَم	صُنُوف السُكَّر: ٣٠٠،٠٠٠ ألف رطل
فَارِس	٢٧،٠٠٠،٠٠٠ دِرْهَم	مَاء الوَرد: ٣٠٠،٠٠٠ ألف قَارُرة. مَاء الزَّبِيب والمَيْبَة: ١٢٠،٠٠٠ رَطْلٍ. السَّفَرْجل: ٢٠٠،٠٠٠ سَفَرْجَلة. الرُّمان: ٢٠٠،٠٠٠ رُمانَة. الزَّبيب الفَارِسيّ: سَبْعة أكْرَار. السَّكَنْجَبِين: ٥،٠٠٠ رطْلٍ. الطِّين السِّيرافي: ٥،٠٠٠ رطْلٍ.
كَرْمَان	٤،٢٠٠،٠٠٠ دِرْهَمٍ	الثِّياب البمِّيَّة والخبيصِيَّة: ٩٦،٠٠٠دينار
مَكْرَان	ـــــــــــــــ	ـــــــــــــــ
السِّند	ـــــــــــــــ	ـــــــــــــــ
سَجِستان	ـــــــــــــــ	ـــــــــــــــ
خُرَاسَان	ـــــــــــــــ	ـــــــــــــــ
جُرْجَان	ـــــــــــــــ	ـــــــــــــــ

قُومَس	————	————
طَبِرستَان، والرُّيان، ودُنْبَاوَنْد	————	————
الرَّيُّ	————	————
أصفَهَان	————	————
هَمَذان ودَسْتَبي	————	————
ما هى البَصْرة والكوفة	————	————
شَهْرُوز وما يليها	————	————
الموصِل	————	————
الجَزِيرَة ، والدِّيارات، الفُرَات	————	————
أَذْربِيجَان	————	————
مُوقَان وكَرْخ	————	————
جِيلان	————	————
أَرْمِينيَّة	————	————
قِنِّسْرِين والعَواصِم	————	————
حِمْص	————	————
دِمشق	————	————

الأُرْدن	ــــــــــــ	ــــــــــــ
فِلِسْطِين	٣٦٠،٠٠٠ دِيْنَار	ومن جَمِيع أَجْنَاد الشَّام من الزَّبيب: ٥٠٠،٠٠٠ رَطْلٍ التُّفَاح: ٢٠٠،٠٠٠ تُفَّاحة. التِّين: ١٠،٠٠٠ مَنًّا. الخرُّوب: ٣٠،٠٠٠ رَطْلٍ.
مِصْر سِوى تِّنيس ودِمياط والأشمونين	٣،٩٤٠،٠٠٠ دِينار	الثِّياب الديبيْقي: ٢٠،٠٠٠ ثَوْبٍ.
الإسْكَنْدريَّة	١،٨٠٠،٠٠٠ دِرْهَم	ــــــــــــ
بَرْقَة	١،٠٠٠،٠٠٠ درهَمٍ	ــــــــــــ
إفريقِيَّة	١٣،٠٠٠،٠٠٠	البُسُط الكِبَار: ٥٠٠ بُسَاط. الزِّيت: ١٠٠،٠٠٠ رَطلٍ.
مكَّة والمدِينة	٣٠٠،٠٠٠ دِينار	التَّمر الصَّيْحَاني: ١٠٠٠ رَطْلٍ. الصَّياح: ٥٠ رطْلًا.
اليَمن	٨٧٠،٠٠٠ دِينار	العَنبَر: ٨٠ رَطْلًا. الحُلل والثِّياب: ٤،٠٠٠ ثَوْبٍ. الوَرْس: ٥،٠٠٠ رَطلٍ. الزَّبيب: ٥٠٠ قَفِيز.
اليَمامة، والبحرين، وعُمَان، وسِيراف	٣،٠٠٠،٠٠٠ دِرْهَمٍ	الثِّياب الصُّحَاريَّة: ٥٠٠ ثَوْب. التَّمر اليَمانِيُّ: ٢٠٠،٠٠٠ رَطْلٍ.

تقدير خراج الدّنيا		
قائمة الجهشياري		
الإقليم	**مقدار الجباية من الأموال**	**مقدار الجباية من الأمتعة و العروض**
كَسْكَر	١١،٦٠٠،٠٠٠	ــــــــــــ
كُوَر دِجْلَة	٢٠،٨٠٠،٠٠٠	ــــــــــــ
حُلْوَان	٤،٨٠٠،٠٠٠	ــــــــــــ
الأَهْوَاز	٢٥،٠٠٠،٠٠٠	صُنُوف السُكَّر: ٣٠ ألف رطل
فَارِس	٢٧،٠٠٠،٠٠٠ دِرْهَم	مَاء الوَرد: ٣٠،٠٠٠ ألف قَارُرة. مَاء الزَّبِيب الأَسْوَد: ٢٠،٠٠٠ رطْلٍ. الرُّمان والسَّفَرْجل: ٢٥٠،٠٠٠ . الأَنْبِجات: ١٥،٠٠٠ رَطْلٍ. الزَّبيب الفَارِسيُّ: سَبْعة أكْرَار. الطِّين السِّيرافي: ٥٠،٠٠٠ رطْلٍ.
كَرْمَان	٤،٢٠٠،٠٠٠ دِرْهَمٍ	الثِّيَاب البَمِّيَّة والخبيصِيَّة: ٥٠٠ ثوب التَّمر: ٢٠،٠٠٠ رَطْلٍ الكَمُّون: ١٠٠ رَطْلٍ
مَكْرَان	٤٠٠،٠٠٠ دِرْهَمٍ	ــــــــــــ
السِّند	١١،٥٠٠،٠٠٠ دِرْهَمٍ	طعام الكَيْرخ: ١،٠٠٠،٠٠٠ قَفِيز. الفيَّلَة: ٣ أفْيلَة. الثِّياب الخَشَبيَّة: ١٠٠٠ ثَوْبٍ. الفُوَط: ٤٠٠٠٠ فُوطَة.

		العُود الهِندي: ١٥٠ مَنًّا. سَائِر أَصْناف العود: ١٥٠ مَنًّا. النِّعال: ٢٠٠٠ زوج.
سَجِستان	٤،٦٠٠٠،٠٠٠ دِرْهَمٍ	الثِّياب المعْنِيَّة: ٣٠٠ ثُوب. الفَانِيذ: ٢٠،٠٠٠ رَطْلٍ.
خُرَاسَان	٢٨،٠٠٠،٠٠٠	نُقُر الفِضَّة: الأَمناء ٢٠٠٠ نقُرة. البراذين: ٤٠٠٠ برْزّون. الرقيق: ١٠٠٠ رأس. المتَاع: ٢٧،٠٠٠ ثَوْبٍ. الإِهْليلِج: ٣٠٠ رَطْلٍ
جُرْجَان	١٢،٠٠٠،٠٠٠	الأَبْرِسيم: ٢٠٠٠ منًّا.
قُومَس	١،٥٠٠،٠٠٠	نُقر الفِضَّة: الأَمناء ١٠٠٠ نقُرة. الأكْسِية: ٧٠ كِساء. الرُّمان: ٤٠،٠٠٠ رُمانَة.
طَبِرستَان، والرُّيان، ودُنْبَاوَنْد	٦،٣٠٠،٠٠٠	الفُرش الطَّبَرِيِّ: ٦٠٠ قِطْعة. الأَكْسِيَة: ٢٠٠ كِساء. الثِّياب: ٥٠٠ ثَوْب. المنَادِيل: ٣٠٠ مَندِيل. الجَامَات: ٦٠٠ جام.
الرَّيُّ	١٢،٠٠٠	الرُّمان: ١٠٠،٠٠٠ رُمانَة. الخُوخ: ١٠٠ رَطْل.
أصفَهَان	١١،٠٠٠،٠٠٠	العَسَل: ٢٠،٠٠٠ رَطْلٍ. الشَّمع: ٢٠،٠٠٠ رَطْلٍ.

هَمَذان ودَسْتَبي	١١،٨٠٠،٠٠٠	الرَّب والرَّمانين: ١٠٠٠ منًّا. العَسَل الأرونْدي: ٢٠،٠٠٠ رَطْلٍ
ما هى البَصْرة والكوفة	٢٧،٧٠٠،٠٠٠	ـــــــــــ
شَهْرُوز وما يليها	٢٤،٠٠٠،٠٠٠	ـــــــــــ
الموصِل	٢٤،٠٠٠،٠٠٠	العَسَل الأبيض: ٢٠،٠٠٠ رَطْلٍ.
الجَزِيرَة ، والدِّيارات، الفُرَات	٣٤،٠٠٠،٠٠٠	ـــــــــــ
أَذْربِيجَان	٤،٠٠٠،٠٠٠	ـــــــــــ
مُوقَان وكَرْخ	٣٠٠،٠٠٠	ـــــــــــ
جِيلان	ـــــــــــ	الرَّقيق: ١٠٠ رَأس. البزّ والطَّيْلَسان: ـــــ العَسَل: ١٢ زَقًّا. البُزَاة: ١٠ بُزاة. الأَكْسِية: ٢٠ كساء
أَرْمِينيَّة	١٣،٠٠٠،٠٠٠	البُسَط المَحفُورة: ٢٠ بساطًا. الرَّقم: ٥٨٠ قطعة. المَالح: ١٠،٠٠٠ رَطْلٍ. الطَّريخ: ١٠،٠٠٠ رَطْلٍ. البُزاة: ٣٠ بازِيًا. البِغَال: ٢٠٠ بغل.
قِنَّسْرُين والعَوَاصِم	٤٩٠،٠٠٠ دِينَار	ـــــــــــ

حِمْص	٣٢٠،٠٠٠ دِينَار	الزَّبيب: ١٠٠٠ راحلة.
دِمشق	٤٢٠،٠٠٠ دِينَار	ـــــــــــ
الأُرْدن	٩٦٠٠٠ دِينَار	ـــــــــــ
فِلِسْطِين	٣٢٠،٠٠٠ دِيْنَار	الزَّبيب: ٣٠٠،٠٠٠ رَطْلٍ
مِصْر سِوى تِّنيس ودمِياط والأشمونين	١،٩٢٠،٠٠٠ دِينار	ـــــــــــ
الإِسْكَنْدريَّة	١،٠٠٠،٠٠٠ درهَمٍ	ـــــــــــ
بَرْقَة	١٣،٠٠٠،٠٠٠	البُسُط: ١٢٠ بِسَاطًا
إفريقِيَّة	٣٠٠،٠٠٠ دِينار	ـــــــــــ
مكَّة والمدِينة	٨٧٠،٠٠٠ دِينار	ـــــــــــ
اليَمن	ـــــــــــ	ـــــــــــ
اليَمامة، والبحرين، وعُمان، وسِيراف	١،٠٠٠،٠٠٠ درهَم	ـــــــــــ



الكشَّافات التحليليَّة



البلدان والمواضع والأماكن

ت

خ

ز

ق

الأعـــــلام

ت

ش

ك

الفِرق والقبائل والأجناس والطوائف والجماعات


دار الكتب والوثائق القومية
The National Library and Archives of Egypt

المصطلحات والألقاب والوظائف

ش

ق

ك

ل

الآيات القرآنية

الآيـــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾	١٠٢	البقرة	٤١٥
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾	٢٣٤	البقرة	٢١١
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾	٢٣٤	البقرة	٢١٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾	١١٨	آل عمران	٢١٨
﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾	٦٦	النساء	٥٩٦
﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾	٥٠	المائدة	٦٠٧
﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾	١١٢	الأنعام	١٠٤
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾	٥٠	الأعراف	١٦٩
﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾	١٢٨	الأعراف	٢٣٧
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٦	الأنفال	٤٥٩
﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾	١٢٣	التوبة	٧١٥
﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾	١٨٨	التوبة	٧١٦
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٣	يونس	٢٠٦
﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾	٧	هود	٥٦٠
﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٥	إبراهيم	٦٠٦
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾	١٢٦	النحل	١٤٩
﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	٣٥	النور	٦٠٦
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾	٤٥	النور	٥٦٠

القــــوافي

الــــــــراء

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الطــاء				
وَاسِطِ	الطويل	بَشَّار بن بُرْد	٤	٢١٤
العــين				
فَيَنْصَدِع	البسيط	خُفاف بن نُدْبَة	١	١١٨
طَالِعُ	الطويل	الحُسَين بن أبي سَرح	٤	٤٩٥
مزَارِعُ	الطويل	محمد بن حبيب الضبي	٥	٥٢٨
منقع	الرجز	ــــــــــ	١	٥٦١
نَزَعا	البسيط	وَهْب بن شَاذَان الهَمَذَانيُّ	٩	٥٧٠-٥٧١
يُلْمِع	الطويل	الغَطَمَّش الضَّبِّيُّ	١	٦٨١
الفــاء				
قَصْفُ	الوافر	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٥	٣٠٢
نْصَرِفِ	البسيط	ــــــــــ	٢٢	٤٠٢-٤٠٤
الشُّفُوفِ	الوافر	ــــــــــ	٤	٥٩٧
القــاف				
سَحِيقِ	الوافر	ــــــــــ	٣	١٠٣
السوق	البسيط	ــــــــــ	٢	٤٥٥
سَحِيقِ	الكامل	ــــــــــ	٢٤	٣٢٧-٣٢٨
بِباقِ	الوافر	مكْحُول ابن حُرْثة	٢	٣٩٢
مُتَّفِقِ	البسيط	مُحمَّد بن بشَّار	٤٢	٥٨٢-٥٨٤
العِرَاقَا	المتقارب	أبو دُلَف العَجْلِيُّ	٢	٥٨٦

عِتَاقَا	المتقارب	عَبْدُ الله بن طَاهِر	٤	٥٨٧
		الكـــــاف		
إِلَيْكِ	الوافر	ـــــــــــ	٢	٣٠١
		اللـــــلام		
الجَمَلْ	الرمل	أعشى همذان	٢	١٥٤
وآجِلَا	الرجز	حُمَيْد الأَرْقَط	٣	١٩٧
العَقْلِ	الطويل	ابن هرمة	٢	٣٤٨
تَفْعَلَا	الطويل	أبو جعفر المنصور	١	٣٤٩
طَائِلُ	الطويل	أبو العالية الشامي	٢	٣٩١
ومَنْزِلِ	الطويل	عبد الله بن المعتز	٣	٤١٢
الأَوَّلِ	الرجز	أبو النَّجم العِجْلِيُّ	١	٥٣٣
ارْتَحِلْ	مجزوء الخفيف	ـــــــــــ	١	٥٤٠
مِيلِ	الوافر	ـــــــــــ	٢	٥٤٧
والمَلَلِ	البسيط	مُحَمَّد بن بشَّار	٥	٥٥٦
مقيلا	الكامل	جَرِير	٢	٥٦٢
الجِبَالَا	المتقارب	أبو دُلَف العَجْلِيُّ	٣	٥٨٦
بالعَيَاطِلِ	الطويل	خَالِد بن فُرَيضٍ الهُجَيْمِي	٤	٥٩٩
تَمِيل	الطويل	ـــــــــــ	٥	٦٠٠
المهَوَّلُ	الطويل	الْكُمَيْت	١	٦٣٠
النَّخْلِ	الطويل	خُلَيْدُ بن عَيْنَيْنِ العَبْدِيُّ	١	٣١٩
الزُّلَالِ	الخفيف	ـــــــــــ	٣	٦٧٢

النـــون

رَهِينُ	الطويل	ـــــــــ	٣	٦٠٣
العُيُونُ	الوافر	الأَشْجَع بن عمرو السُلَميُّ	٤	٦٠٣
والحَدَثَانِ	الطويل	ابْن الْحَاجِب	١٢	٦١٢
الصِّينِ	البسيط	ـــــــــ	٧	٦٥٧
أصْبَهانِ	الخفيف	ـــــــــ	٢	٦٧٣
حُسَيْنِ	الطويل	عُمَر بن سَعْد بن أبِي وَقَّاص	٢	٦٨٧
أضْنَانِي	البسيط	ابن كَرْبَويه الرَّازِي	٣٥	٦٨٧-٦٨٩
قَارونُ	الكامل	أبو تمَّام	٢	٧٠٦
قَحْطَانُ	البَسِيط	عصابَة الجَرْجَرائِيُّ	٤	٧٥٦
هَمْذَانُ	البَسِيط	ـــــــــ	٣	٧٦٢
لِلْعَابِرِينَا	الوافر	ـــــــــ	١	٧٦٧
حُلْوانَا	الخفيف	عَليُّ بن الجَهْم	٦	٧٧١
الدَّفِينَا	المتقارب	ابن المُبارك	٦	٧٧٢
بِالْجُوزَجَانِ	الوافر	كَثِير بن الغريزة النَّهْشَلِي	١	٧٨٢

الهــــاء

مُقاتِلُهْ	الطويل	أَصْغَر بن حَسَّان المازِنِي	٧	١٠٦
الحِجَارَه	مجزوء الرجز	الحَجَّاج بن عَتِيك الثقفي	١	١٢٥
قُصُورُها	الطويل	ـــــــــ	٤	١٧٠
قَذِرَهْ	المنسرح	أَبُو تَغْلِب	٢	١٧٠

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فَتبادَلَه	الطويل	————	١	١٧٩
دَهَاهَا	مخلع البسيط	دعبل	٤	٣٥١
دَاثِرهُا	المنسرح	الخريمي	١٤	٣٥١-٣٥٢
قُصُورُهَا	الطويل	————	٢	٣٨٩
غَرَّة	المتقارب	————	٩	٣٩٠
رُقُودُهَا	الطويل	يزيد بن نبيه الكُلابيّ	٥	٣٩٤
أقْدَارِهَا	المتقارب	علي بن الجهم	٢٥	٤٠٠-٤٠١
سِوَاهَا	الكامل	————	٤	٤٠٥
ظَلَّلَها	البسيط	مُحَمَّد القَاسِم بن يَحْيى المُرْتجَى	١٩	٥٢١-٥٢٢
وظَاهِرُه	الطويل	————	٢	٥٢٨
بَانِيهَا	البسيط	————	١	٥٣٩
عِبْره	الطويل	————	٥	٥٤١
ورْشَانُها	الطويل	محمد بن بشار	١٤	٥٥٥-٥٥٦
وجَنَاتِه	الطويل	————	١	٥٦١
أَسْوَدُه	الرجز	العُكْلِيُّ	٩	٥٦٢
أوائِلُهْ	الطويل	أحْمَد بن بشَّار	٦	٥٨٠
خُجَنْدَه	الوافر	————	٢	٧٨٥

اليـــاء

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
مَذَاهِبي	الطويل	الهَيْثَمُ بن عِيسَى الكاتبُ	٥	٣٩٢
بَالِي	البسيط	————	٤	٥٣٢
الوَادِي	الطويل	————	١	٥٣٦

الصَادِي	البسيط	القطامي	١	٥٥٧
اعتِصَاري	الرمل	عدي بن يزيد	١	٥٥٩
رَحِيلِي	الخفيف	————	٢	٦٧٣
نَائِيًا	الطويل	مَالِك بن الرَّيْبِ التَّيْمِيُّ	٢	٧٦٦



ثَبَتُ المصـادر والمراجع وبيان طبعاتها

أولًا: المصــادر

- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م.

  الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

- الأخطل: غياث بن عمرو بن طارقة بن الفدوكس، المتوفي ٢٩هـ/ ٦٥٠م.

  ديوان الأخطل، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي، المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٥م.

  نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة تشرولي وآخرون، المعهد الشرقي، نابولي ـ روما، ١٩٧٩م.

- الأزهري، أحمد بن محمد الهروي، المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨١م.

  تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، بيروت، ٢٠٠١م.

- الأصفهاني: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، المتوفى ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م.

  طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠م.

- بحشل: أبو الحسن أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزّاز الواسطي، المتوفى ٢٩٢هـ/٩٠٥م.

تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، المتوفى٢٥٦هـ/ ٨٧٠م.

التاريخ الكبير، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، د.ت.

الجامع الصحيح المعروف بـ (**صحيح البخاري**) طبعة مؤسسة المكنز الإسلامي، برلين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

- بشَّار بن بُرد، المتوفى ١٦٧هـ/٧٨٣م.

ديوان بشار بن بُرد، جمعه وحققه وشرحه: محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر، طبعة جديدة ٢٠٠٧م.

- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي،ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.

أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت،١٩٩٦م.

فتوح البلدان، تحقيق أنيس الطبَّاع ، بيروت ١٩٧٧م.

- البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، المتوفى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م.

الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: إدوارد ساخاو، ليبزج، ١٩٢٣م.

تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبعة القاهرة ٢٠٠٣م عن طبعة دائرة المعارف العثمانية.

- البيهقي: فريد خراسان على بن زيد البيهقي، المتوفى ٥٦٥هـ/١١٧٠م.

تاريخ بيهق وذكر العلماء والأئمة والأفاضل الذين نبغوا فيها أو انتقلوا إليها، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، دار اقرأ، دمشق، ٢٠٠٤م.

- الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م.

سنن الترمذي، طبعة المكنز الإسلامي، برلين، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- التنُّوخي: أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود البصري، المتوفى،٣٨٤هـ/٩٩٤م.

الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دارصادر، بيروت، ١٩٧٨م.

- ابن تيميَّة: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، المتوفى: ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م.

مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ١٩٩٥م.

- ثابت بن قرة: أبو الحسن ثابت بن قرة بن مروان بن كرايا الحراني، المتوفى ٢٨٨هـ/٩٠١م.

جوامع لما قاله بطلميوس في قسمة الأرض على البروج والكواكب، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ٢٠١٠م.

- الثَّعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، المتوفى ٤٢٩هـ/١٠٣٨م،

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

تاريخ غرر السِّير المعروف بغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، تحقيق: زوتنبرج، طهران، ١٩٦٣.

- الجاحظ: أبو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، المتوفى: ٢٥٥هـ٨٦٩م،

البخلاء، تحقيق: طه الحاجري: دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م.

البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت٢٠٠٢م.

التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

الحنين إلى الأوطان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.

الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، ١٩٤٠-١٩٤٧م.

فخر السودان على البيضان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.

المحاسن والأضداد، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.

- ابن الجرَّاح: أبو عبد الله محمد بن داود، المتوفى ٢٩٦هـ/٩٠٩م.

من اسمه عمرو من الشعراء، تحقيق: عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١١م.

- الجُرجاني: أبو أحمد بن عدي المتوفى: ٣٦٥هـ/٩٧٦م.

الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن جُلجُل: أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، ت. بعد سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٨م.

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المتوفى، ٥٩٧هـ/١٢٠١م.

أخبار الحمقى والمغفلين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق سهيل ذكار وآخرين، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.

- ابن الحائك الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود، المتوفى بعد ٣٦٠هـ/٩٧٠م.

صفة جزيرة العرب، منشورات دار بريل، ليدن، ١٨٨٤م.

- أبو حاتم الرازي، محمد عبد الرحمن بن إدريس المنذر التميمي، المتوفى ٣٢٧هـ/٩٣٩م.

الجرح والتعديل، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٥٢م.

- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المتوفى ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م،

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة بيروت المصورة عن طبعة مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٤١م.

- ابن حِبَّان البُستي: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معد التميمي، المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٥م،

الثقات، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، ١٩٧٣م.

مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، القاهرة، ١٩٩١م.

- ابن حبيب: أبو جعفر بن حسين بن أميه بن عمر الهاشمي البغدادي، المتوفى ٢٤٥ هـ/٨٦٠م.

المُحَبَّر، تحقيق: إيليزه ليختنش اشتتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٤٢م.

- ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، المتوفى: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م.

تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، سوريا، ١٩٨٦م.

لسان الميزان، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٩٧١م.

- ابن حزم: أبو محمد على أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، ت. ٤٥٦هـ/١٠٧٠م.

جمهرة أنساب العرب، طبعة بيروت المصورة عن طبعة دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨٣م.

- أبو الحسن الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل المتوفى٣٢٤هـ/٩٣٦م.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق:هليموت ريتر، النشرات الإسلامية رقم ١ الصادرة عن المعهد الألماني في بيروت، ١٩٦٨م.

- أبو حنيفة الدينوري: أحمد ابن داود، المتوفى، ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م.

الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ومراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.

- الحمْيَري: إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، المتوفى ١٧٣هـ/٧٨٩م.

ديوان السيد الحميري، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.

- أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس، المتوفى نحو ٤٠٠هـ/١٠١٠م.

البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

- الخَطِيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت،المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٠٧م.

تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٧م.

- ابن خُرَّداذْبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المتوفى حوالي ٢٨٠هـ/٨٩٣م.

المسالك والممالك، تحقيق: ميخائيل جان دي خويه، مطابع بريل، ليدن ١٨٨٩م.

- خليفة بن خياط: أبو عمرو بن خليفة الشيباني العصفري البصري ٢٤٠هـ/٨٥٤م.

تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م .

- الخوارزمي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف البلخي، المتوفى ٣٨٧هـ/٩٩٧م.

مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.

- الخوارزمي: أبو بكر محمد بن العباس، المتوفى ٣٨٣هـ/٩٩٣م.

مفيد العلوم ومبيد الهموم، بيروت، ١٩٩٧م.

- الدار قطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان البغدادي، المتوفى ٣٨٥هـ/٩٩٥م.

المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

- ابن دريد الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن المتوفى: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م.

جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي الأموي القرشي، المتوفى:٢٨١هـ/ ٨٩٤م.

كتاب الحلم، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٢م.

قِصَر الأمل، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م.

- أبو البقاء الدميري: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الشافعي، المتوفى ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.

حياة الحيوان الكبرى، بيروت، ٢٠٠٣م.

- الدولابي: أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الرازي، المتوفى: ٣١٠هـ/٩٢٢م.

الكنى والأسماء، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م.

- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، المتوفى، ٧٤٨هـ/١٣٤٨م.

سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، بيروت، ١٩٩٧م.

- الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد،المتوفى٥٠٢هـ/ ١١٠٩م.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م.

- أبو عبد الرحمن السُّلمي: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابوري، المتوفى ٤١٢هـ/١٠٢٢م.

طبقات الصوفية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٨م.

- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المتوفى ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م.

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت، ١٩٩٢م.

- ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن منيع الزهري كاتب الواقدي، المتوفى٢٣٠هـ/٨٤٥م.

كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

- السمعاني: عبد الكريم محمد بن منصور التميمي، المتوفى٥٦٢هـ/١١٦٧م.

الأنساب:تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٩٦٢م.

- ابن سلَّام الجمحي: أبو عبد الله بن عبيد، المتوفى، ٢٣٢هـ/٨٤٧م.

طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م.

- ابن سلَمة الأزدي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الحجري الطحاوي، المتوفى٣٢١هـ/٩٣٣م.

شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.

- ابن سِيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي المتوفى ٤٥٨هـ/١٠٦٦م.

المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- الشهرستاني: أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أحمد الشافعي، المتوفى ٥٤٨هـ/١١٥٣م.

الملل والنحل، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٥١م.

- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المتوفى: ٢٣٥هـ/٨٥٠م.

الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، ١٩٨٩م.

- الشيزري: أبو اسحاق إبراهيم بن علي،المتوفى٤٧٦هـ/١٠٨٣م.

طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك، المتوفى٧٦٤هـ/١٣٦٣م.

الوافي بالوافيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،٢٠٠٠م.

- الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله البغدادي، المتوفى ٣٣٥هـ / ٩٤٧م.

أدب الكُتَّاب، تصحيح وتعليق: محمد بهجت الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٩٢٣م.

الأوراق، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.

- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المتوفى ٣٦٠هـ/٩٧٠م.

المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، ١٩٩٦م.

المعجم الكبير: تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية: القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

- الطبري: محمد بن جرير، ت٣١٠هـ/٩٢٢م.

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

- ابن طيفور: أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر،المتوفى٢٨٠هـ/٨٩٣م.

بلاغات النساء، القاهرة ١٩٠٨م.

كتاب بغداد، تحقيق: عزت العطار الحسيني، الخانجي، القاهرة، ط٣.

- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النُمري القرطبي، المتوفى، ٤٦٣هـ/١٠٧١م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.

جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الرياض، ١٩٩٤م.

- ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري، المتوفى ٢٥٧هـ/٨٧١م.

  فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحُجيري، بيروت، ١٩٩٦م.

- ابن عبد ربه الأندلسي: شهاب الدين أبو عمر أحمد عبد ربه القرطبي، المتوفى ٣٢٨هـ/٩٤٠م.

  العقد الفريد، شرح وتحقيق: أحمد أمين وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م.

- أبو عبيد البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

  المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

  معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، المصورة عن طبعة، القاهرة، ١٩٤٥م.

- أبو عبيد البغدادي: القاسم بن سلام الهروي الأزدي، المتوفى ٢٢٤هـ /٨٣٨ م.

  الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨١م.

- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، المتوفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م.

بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المتوفى ٥٧١هـ/١١٧٥م.

تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

- عمر بن الأزرق الكرماني.

أخبار البرامكة، نشره إحسان عباس ضمن كتاب: شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد بن عمر، المتوفى: ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م.

السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، تحقيق: رضاء الله ابن محمد إدريس، الرياض، ١٩٩٦م

- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المتوفى: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م.

المجمل في اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

- أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني، المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٧م.

كتاب الأغاني : تحقيق :إحسان عبَّاس، ابراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر ، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.

مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م.

- الفردوسي: أبو القاسم الحْسن بن اسحق بن شرف شاه الطوسي، المتوفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م.

الشاهنامة، ترجمها نثرًا: الفتح بن علي الابنداري، تحقيق: عبد الوهاب عزام، طهران، ١٩٧٠م.

- الفسوي: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، ت٢٧٧هـ/ ٨٩٠م.

المعرفة و التاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨١م.

- ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، المتوفى: ٦٤٣هـ/١٢٤٥م.

طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، بيروت،دار المعرفة، ١٩٩٢م.

- أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي، ت.٣٥٦هـ/٩٦٧م.

الأمالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- عبد القادر بن عمر البغدادي، المتوفى ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

- ابن الفقيه الهمذاني: أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني، المتوفى في حدود ٣٤٥هـ/٩٥٦م.

مختصر كتاب البلدان، تحقيق:ميخائيل جان دي خويه، ليدن، ١٨٨٥م.

- ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم، المتوفى٢٦٧هـ/٨٨٩م.

الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.

المعــارف،تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.

- قدامة بن جعفر بن زياد الكاتب البغدادي، المتوفى ٣٣٧هـ/٩٤٨م.

الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار النشر، بغداد، ١٩٨١م.

- القرطبي:شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي، المتوفى ٦٧١هـ/١٢٧٣م.

الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

- القزويني:عماد الدين أبو يحيى زكرياء بن محمود الأنصاري، المتوفى ٦٨٢هـ/١٢٨٣م.

أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،١٩٧٩م.

التدوين في أخبار قزوين، بيروت، ١٩٨٧م.

- القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني، المتوفى ٦٤٦هـ/١٢٤٨م.

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة بيروت المصورة عن طبعة القاهرة، ١٩٠٣م.

إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م-١٩٧٤م.

- القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري، المتوفى ٨٢١هـ/١٤١٨م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.

- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البصري، المتوفى ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، ١٩٦٠م.

- المبرِّد: أبو العَبَّاس محمد بن يزيد المتوفى: ٢٨٥هـ/٨٩٨م.

الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

- المرزُباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران المتوفى، ٣٨٤هـ/٩٩٤م.

معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، مكتبة القدسي، ١٩٨٢م.

- المزِّي: أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي الكلبي، المتوفى، ٧٤٢هـ/١٣٤٢م.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عوَّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

- المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن على، المتوفي، ٣٤٦هـ/٩٥٧م.

التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة العصرية، بغداد، ١٩٨٣م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، ١٩٨٩م.

- مسكوَيه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي، المتوفى ٤٢١هـ/١٠٣٠م.

تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، ٢٠٠٢م.

- مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري، المتوفى٢٣٦هـ/ ٨٥١م.

نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط٣، دت.

- ابن المعتز: عبد الله بن محمد العباسي المتوفى: ٢٩٦هـ/٩٠٩م.

طبقات الشعراء: تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، دت.

- المقدسي: مطهر بن طاهر المقدسي، المتوفى ٣٥٥هـ/٩٦٦م.

البدء والتاريخ، تحقيق: كليمان هوار، باريس، ١٩٠١م.

- ابن المقفع: عبد الله بن المقفع،المتوفى ١٤٢هـ/٧٥٩م.

كتاب الأدب الكبير والأدب الصغير، دار الجيل، بيروت، د. ت.

- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري،المتوفى٧١١هـ/١٣١١م.

لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م.

- النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق، المتوفى ٣٨٠هـ/٩٩٠م.

الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م.

- النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر، المتوفى ٣٤٨هـ/٩٥٩م.

تاريخ بخارى، ترجمة وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

- أبو نُعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المتوفى ٤٣٠هـ/١٠٣٩م.

تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، ١٩٩٠م.

- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، المتوفى: نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٥م.

الأوائل، طبعة دار البشير، القاهرة، ١٩٨٨م.

جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- هروشيش: (باولوس أوروسيوس)

كتاب تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.

- الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، المتوفى ٢٠٧هـ/٨٢٢م.

كتاب الرِّدة، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٠م.

- وكيع: محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي، المتوفى: ٣٠٦هـ/٩١٩م،

أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية، القاهرة،١٩٤٧م.

- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المتوفى: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.

معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣ ص ١١٩٩.

معجم البلدان، طبعة ويستنفلد المعادة في دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي، المتوفى ٢٩٨هـ/٩٠٢م.

البلدان، تحقيق: دي خويه، ليدن، ١٨٩١م.

- أبو يوسف القاضي : يعقوب بن حبيب الأنصاري، المتوفى ١٨٢هـ/ ٧٩٨م.

كتاب الخراج، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

ثانيًا: المـراجـع

- آدشير:

الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م.

- إبراهيم شبوح:

أنظار في مشكلات النص الجغرافي التراثي، منشور ضمن أبحاث المؤتمر الخامس لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٥.

- أغناطيوس كراتشكوفسكي

تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م.

- أندريه ميكيل

جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، ترجمة: إبراهيم خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣م.

(الجغرافيا)، بحث منشور ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، بإشراف رشدي راشد ، وبمعاونة ريجس مورلون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣م

- أيمن فؤاد سيد

النصوص الجغرافية غير المنشورة حصر وتقييم، منشور ضمن أعمال المؤتمر الخامس لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٥م.

نشر التراث التاريخي ودراسته، ضمن كتاب قواعد تحقيق المخطوطات الإسلامية ومناهجها، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٣م.

- جواد علي

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٨٠م.

- حسين مؤنس

تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.

- درويش النخيلي

السفن الإسلامية على حروف المعجم، نشر جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م.

- رينهات دوزي

تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٩م.

- شارل بلَّا

من كتاب الأمصار وعجائب البلدان، مجلة المشرق، بيروت، ١٩٦٦م.

- شاكر خصباك

علم الجغرافيا عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

- صالح أحمد العلي

كتاب البلدان للجاحظ، تحقيق: مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م.

- طه الحاجري

الجاحظ حياته وآثاره، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.

- عبد الله يوسف الغنيم

نظرات في تحقيق النصوص الجغرافية العربية، منشور ضمن أبحاث المؤتمر الخامس للمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٥م.

- عبد الرحمن حميدة

أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣م.

- عبد العزيز الدوري

تاريخ العراق الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٥م.

مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

- علي جمعه محمد

المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

- فاروق عمر فوزي

الجاحظ مؤرخًا، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٨م.

- فؤاد سيزكين: علي بن ربَّن: نصوص ودراسات، فرانكفورت، ١٩٩٦م

أرسطوطاليس عند العرب، نصوص ودراسات، فرانكفورت، ٢٠٠٠م.

تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي وآخرون، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩١م.

مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، بجامعة فرانكفورت، ١٩٨٧م.

نصوص ودراسات حول الآلات الفلكية ودور الرصد في العالم الإسلامي، فرانكفورت، ١٩٩٨م.

نصوص ودراسات حول بقراط عند العرب، سلسلة الطب الإسلامي، فرانكفورت، ١٩٩٨م.

- فاسيلي فلاديمروفتش بارتولد

تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين هاشم، الكويت، ١٩٨١م.

- فالترهنتس.

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

- فلاديمير مينوريسكي.

رحلة أبو دُلف الينبوعي نشرها في القاهرة، ١٩٥٥م.

رحلة تميم بن بحر المطوعي، بروكسل، ١٩٤٨م.

- كمال عرفات نبهان.

عبقرية التأليف العربي، وعلم علاقات النصوص، القاهرة ٢٠٠٣م.

- نعيم ذكي فهمي.

دور اليهود في تجارة العصور الوسطى، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩١٧م.

- هنري عبود.

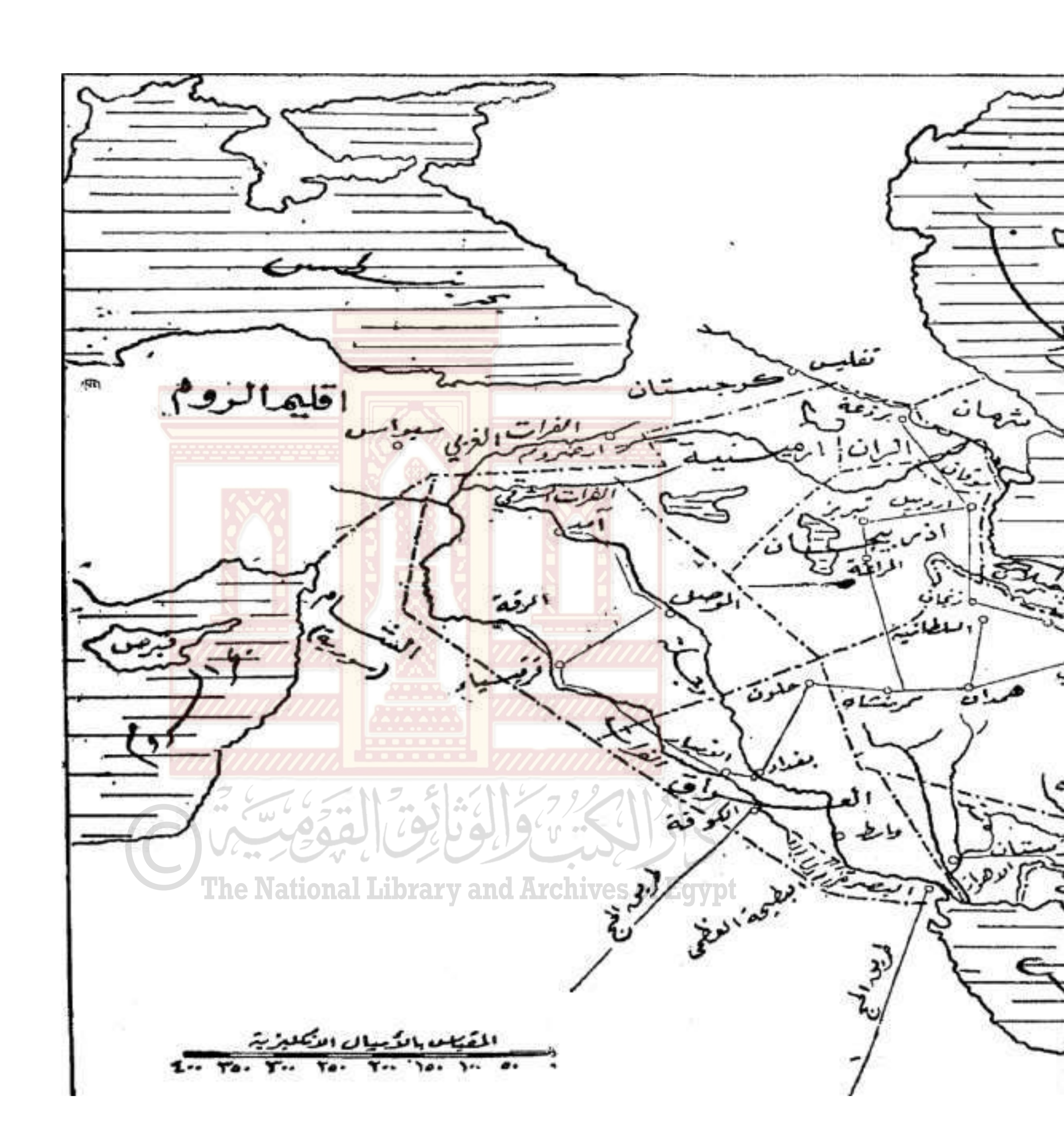
معجم الحضارات السامية، بيروت، ١٩٨٨م.

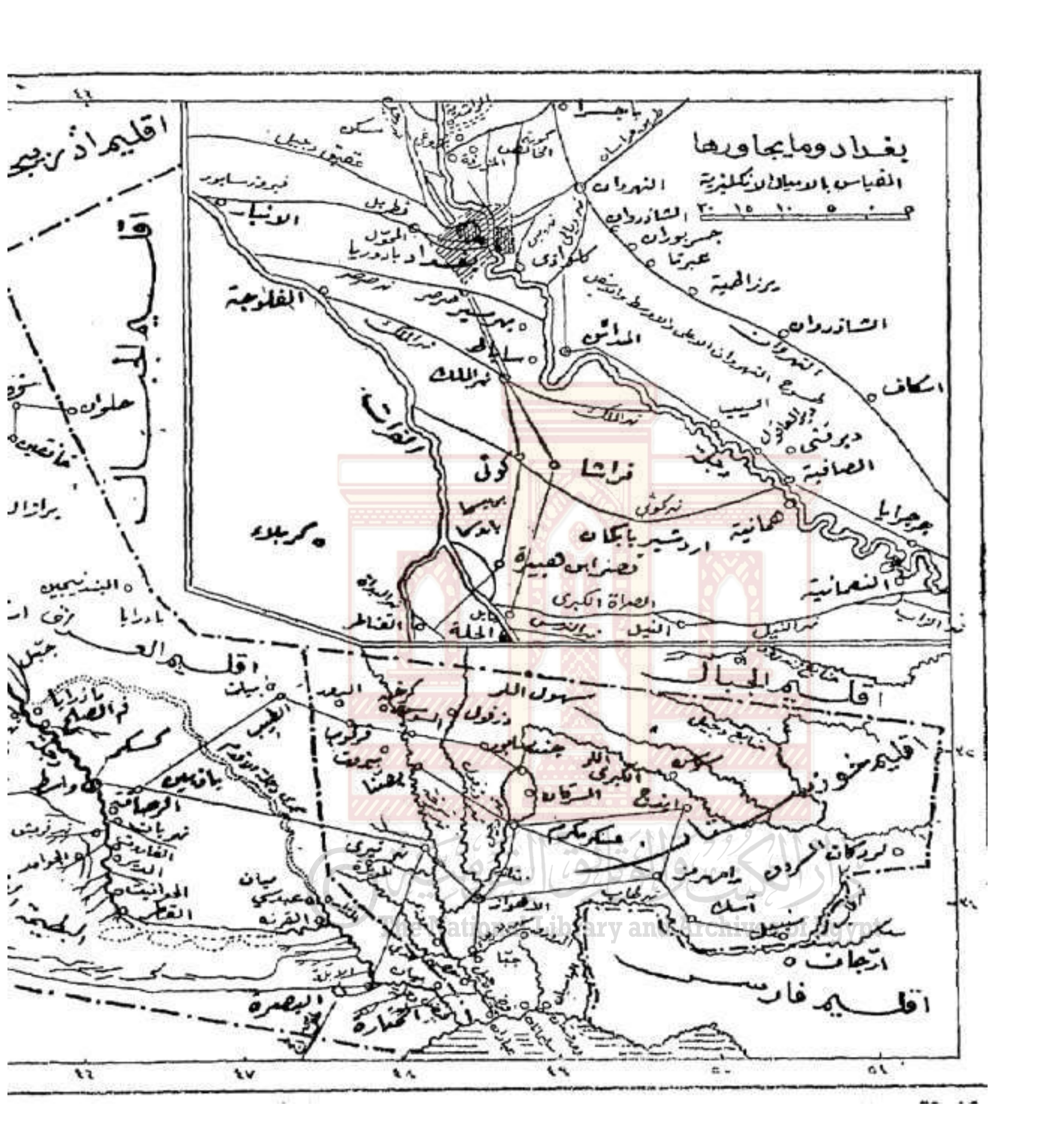
الخرائط



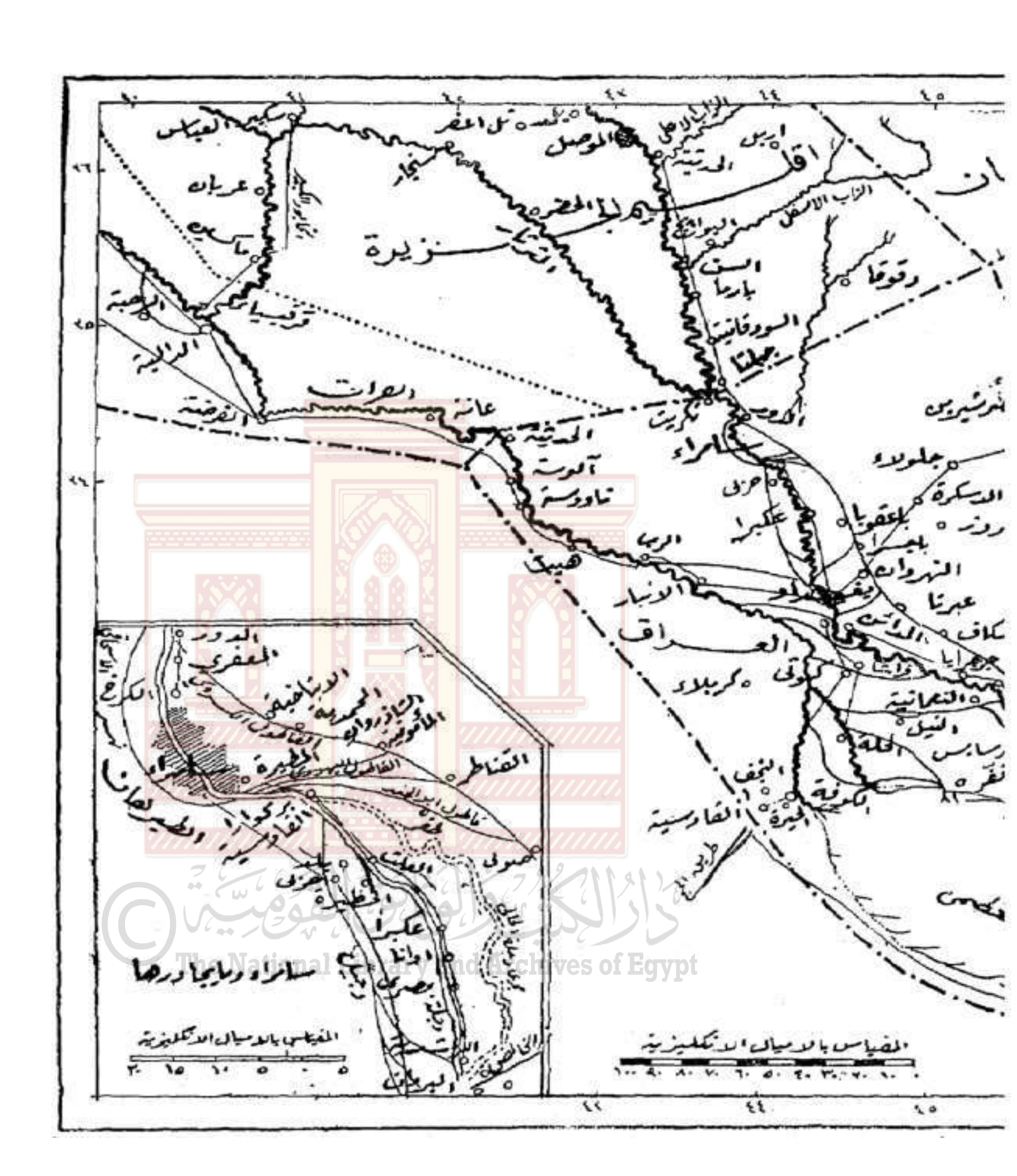


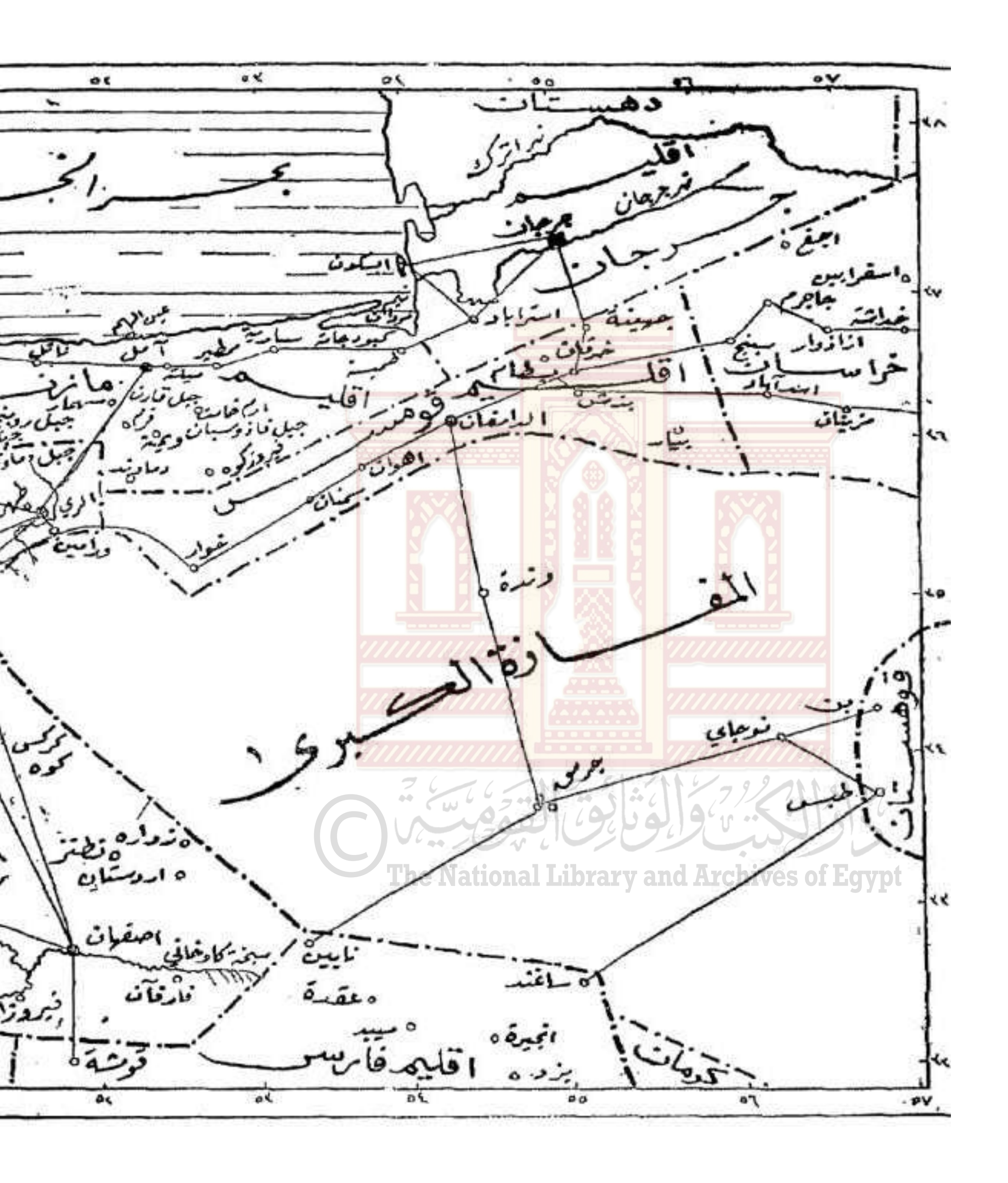
خوارزم
جرجان
طبرستان
خراسان
الصغد
قوهستان
المفازة الكبرى
فارس
سجستان
كرمان
مكران
بخارا
سمرقند
بلخ
مرو
هراة
نيسابور
شيراز
اصطخر
يزد
كرمان
سيراف
هرمز
كابل
غزنة
فرغانة
جند
سغناق
اسبيجاب
الشاش


اقليم الروم
سيواس
الفرات الغربي
الفرات الشرقي
آمد
كرجستان
تفليس
برذعة
شروان
الران
ارمينية
اردبيل
تبريز
اذربيجان
المراغة
زنجان
السلطانية
الموصل
الرقة
قبرس
الشام
قرقيسيا
حلوان
كرمنشاه
همذان
بغداد
العراق
الكوفة
واسط
البصرة
البطيحة العظمى
المقياس بالأميال الانكليزية
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ ٣٠٠ ٣٥٠ ٤٠٠

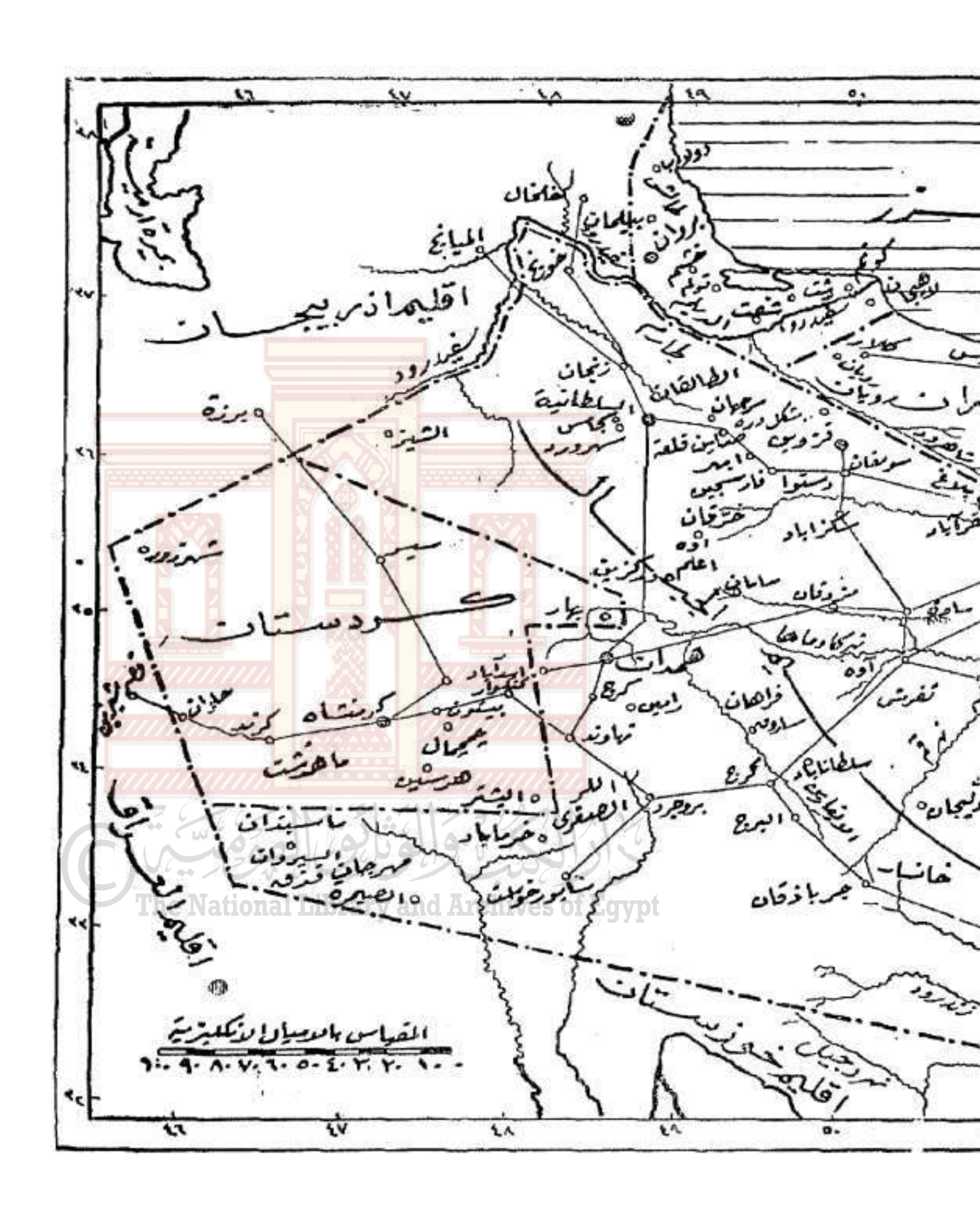


بغداد وما يجاورها
القياس بالاميال الانكليزية
النهروان
الشاذروان
الانبار
الفلوجة
بغداد
المدائن
نهر الملك
الفرات
كوثى
فراشا
كربلاء
قصر ابن هبيرة
اردشير بابكان
الصراة الكبرى
الحلة
القناطر
النيل
اسكاف
الصافية
جرجرايا
النعمانية
حلوان
البندنيجين
بادرايا
اقليم العراق
اقليم الجبال
اقليم خوزستان
واسط
الطيب
عسكر مكرم
الاهواز
رامهرمز
ارجان
البصرة
اقليم فارس


الموصل
الجزيرة
الفرات
دجلة
تكريت
سامراء
هيت
الأنبار
العراق
كربلاء
الكوفة
النجف
الحيرة
القادسية
عكبرا
جلولاء
بعقوبا
النهروان
النعمانية
النيل
الحلة
سامراء وما يجاورها
المقياس بالاميال الانكليزية



دهستان
اقليم جرجان
نهر جرجان
جرجان
استراباد
اسفرايين
جاجرم
خداشة
خراسان
بسطام
اقليم قومس
الدامغان
سمنان
بيار
المفازة الكبرى
نوجاي
بن
قوهستان
اصفهان
نايين
ساغند
عقدة
ميبد
الجبيرة
يزد
اقليم فارس
كرمان
الري
آمل
سارية
فيروزكوه
دماوند
كركس كوه
نطنز
اردستان
قوشة


اقليم اذربيجان
كردستان
الميانج
زنجان
الطالقان
السلطانية
قزوين
همذان
كرمنشاه
حلوان
نهاوند
بروجرد
سلطاناباد
البرج
ماهدشت
برزة
الشيز
سيسر
المقياس بالاميال الانكليزية
اقليم خوزستان